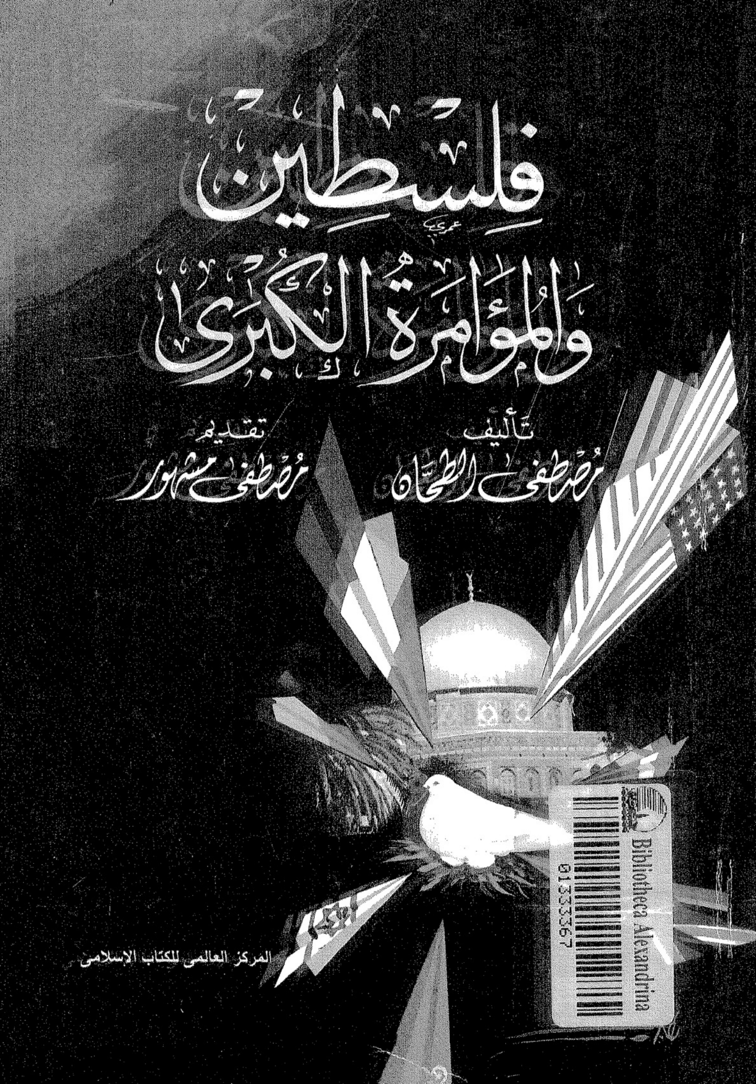

فلسطين
والمؤامرة الكبرى
تأليف
مصطفى الطحان
تقديم
مصطفى مشهور
المركز العالمى للكتاب الاسلامى
Bibliotheca Alexandrina
01333367

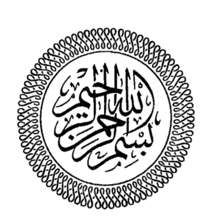
فِلَسْطِين

وَالمُؤَامَرَةُ الكُبْرَى

تأليف
مُصطفى الطحان

تقديم
مُصطفى مشهور

المركز العالمى للكتاب الإسلامى



المركز العالمي للكتاب الاسلامي - الكويت

ص.ب ٨٦٣١ السالمية 22057

ت : ٢٤٤٢٣٨١ - ٢٤٤٢٣٨٠ فاكس ٢٤٤٢٣٨٢

الطبعة الأولى ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

قضية فلسطين قضية المسلمين جميعا ، وهي قضية محورية للإخوان المسلمين ، وقد تعهدها إمامنا الشهيد منذ الأيام الأولى لقيام الجماعة ومنذ ثورة عز الدين القسام ، ولاتزال الجماعة تولي هذه القضية كل الاهتمام ، وتسعى لتجييش مشاعر المسلمين جميعاً نحو هذه القضية ، والتى أحسب أنها تتصاعد كل يوم ، ويجيّش العدو الصهيونى القوى العالمية لتسانده ــ ليس ضد الفلسطينيين فقط ولكن ضد العالم الإسلامي والإسلام ككل . ويكثر اتهام الإسلام بالارهاب والعنف فى حين أن العدو الصهيونى هو أصل الإرهاب والتطرف ، وقد أدانته هيئة الأمم المتحدة بالعنصرية ، ولكن نجد الولايات المتحدة الأمريكية تسعى وتضغط على أعضاء الهيئة حتى نجحت فى إلغاء هذا القرار . ولكن الواقع الذى نشهده منذ عشرات السنين يؤكد هذه العنصرية وهذا الحقد الذي يملأ صدر كل صهيونى و كل يهودى ـ جندياً كان أو مستوطنا .

ولعل حادث المسجد الإبراهيمى في الخليل ـ الذي حدث فى شهر رمضان عام ١٤١٤ هـ وفي أثناء صلاة الفجر والمصلون سجود ــ يوضح بصورة لا تحتمل أى تأويل مدى الحقد والنذالة والخسة التى تضمرها كل عناصر هذا العدو الصهيوني نحو الإسلام والمسلمين.

ثم إنهم لم يتخلوا عن شعارهم « إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات » ، ويخططون لذلك على مراحل ، ونراهم يتسلطون على انتخابات الرئاسة الأمريكية وعلى الجانب الإعلامى والاقتصادى هناك إلى حد ما ، فنجد أن أمريكا تنفذ كل ما يريده العدو الصهيونى . ولعل تصريح كلينتون الأخير بأن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيونى دليل على ذلك .

وهذه المفاوضات التى يحاول العدو ومن يناصرونه أن يفرضوها على دول الطوق وعلى بعض الفلسطينيين ، وكذا السوق الشرق أوسطية ، وإلغاء المقاطعة ـ كل هذه المحاولات لن تنال من نظرة المسلمين جميعاً للقضية ، ولن يتحقق إى سلام مع هذا العدو الحقود طالما أنه يحتل أى جزء من أرض فلسطين الحبيبة التى تحتضن القدس الشريف والمسجد الأقصي : أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وقد قام الأخ مصطفى الطحان بإعداد هذا الكتاب الطيب ، يوضح فيه تطور هذه القضية فى صوره أقرب ما تكون للواقع . ويجب على كل مسلم أن يعيش حقيقة هذه القضية ، وأن يتحرى الدقة فى معرفة كل ما يدور ، ولا يكتفي بظواهر الأمور التى تنشر في الصحف ، والتى كثيراً ما يشوبها الزيف والتضليل .

جزى الله الأخ مصطفى الطحان خيرا ، ونفع به ، وتقبل منه هذا الجهد الطيب .

مصطفى مشهور

فلسطين والمؤامرة الكبرى

كثيرا ما نستخدم كلمة مؤامرة للتعبير عن بعض الانحراف في مسيرة أمتنا ، أواعتداء خصومها عليها ، ومحاولات القوى الخارجيّة أوالداخليّة تغيير معالمها وأسلوب حياتها .. ولكننا عندما نتحدّث عن فلسطين .. فإننا نتحدّث عن مؤامرة كبرى .. عن مؤامرة امتدّت مئات السنين .. تخطط بمكر ودهاء ، وتحالف القوى الصليبيّة في العالم ، وتتخذ جميع الأسباب التي هيأت لها في النهاية تحقيق حلم اليهودية باقامة دولة عظمى لها في فلسطين .

* عام ١٧٩٩م عندما تحركت أطماع الفرنسيين لاخضاع الشرق ، وغزا نابليون مصر .. أصدر بيانه الشهير الذي جاء فيه :

" إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش هنا .. هي التي جعلت من القدس مقري العام .. إنني لا أطالب ورثة فلسطين الشرعيين باحتلال وطنهم فحسب بل أطالبهم بضمان ومؤازرة هذه الأمّة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين " ..

* عام ١٨٩٧ عندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا بزعامة تيودور هرتزل .. قرر المؤتمر إقامة دولة يهوديّة في فلسطين تحت رعاية الدولة العثمانيّة .. وعندما جاء تيودور هرتزل لمفاوضة السلطان عبد الحميد ولقي منه الصدّ المعروف .. عاد إلى زملائه في المؤتمر الصهيوني وقرروا إن وجود السطان عبد الحميد على رأس الدولة العثمانيّة يمثّل عقبة كبرى أمام مصالح اليهود .. فعملوا على إزاحته عام ١٩٠٩م .. وبعد ذلك أدخلوا الدولة العثمانيّة التي صار اليهود يتلاعبون بقيادتها ، الحرب العالمية الأولى ليحطموها نهائيا .. ويقسّموها مزعا .. ليتمكّنوا من التفرّد بفلسطين .

* الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م كانت بتحريض اليهود لتحطيم الدولة العثمانيّة والاستفراد بفلسطين .. والحرب العالمية الثانية كانت بتحريض اليهود لإقامة الوطن

القومي اليهودي بصورته النهائيّة في فلسطين .

* سايكس بيكو عام ١٩١٦م ، ووعد بلفور عام ١٩١٧م ، والجنرال اللنبي عندما دخل القدس أواخر عام ١٩١٧م ، كلها محطات يهوديّة .. وأجزاء واضحة من مؤامرة إقامة إسرائيل على أنقاض فلسطين وشعبها ..

* فلسطين للفلسطينيين شعار رفعه اليهود للاستفراد بفلسطين وعزلها عن محيطها العربي والإسلامي .. القومية التركية والقوميّة العربيّة التي حاربت وحدة البلاد الإسلامية .. وجرّأت زعيما مثل فيصل بن الحسين ليعلن : " أننا نحن العرب ، وخاصّة المثقفين ، ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونيّة .. ولسوف نعمل كل ما وسعنا لمساعدة اليهود ، ونتمنّى لهم وطنا ينزلون فيه على الرحب والسعة " .

كل هذه الممارسات .. كانت جزءا من المؤامرة التي حاكها اليهود بدهاء ومكر شديدين لتنفيذ مخططاتهم ..

* الثورات الشعبيّة الفلسطينيّة التي بدأت منذ عام ١٩١٩م لم تتوقف إلاّ بقرار من زعماء الدول العربية الذين كانوا على علاقة وثيقة بحكومة الانتداب .. ففي ثورة عام ١٩٣٦م التي تعاهد الشعب فيها على استمرار الثورة حتى تتحقق المطالب .. وعندما أعيا الأمر بريطانيا .. استنجدت بحكام العرب الذين وجّهوا نداءهم في أكتوبر ١٩٣٦م جاء فيه : (إننا بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله بن الحسين ندعوكم إلى الإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء . معتمدين على حسن نوايا صديقتنا بريطانيا ..)

* عشرات القرارات التي أصدرتها بريطانيا .. ومجلس الأمن من بعد .. إنما كانت لتثبيت الكيان اليهودي خطوة بعد خطوة .. وكلّها أجزاء متكاملة في المؤامرة .

* الجيوش العربيّة التي دخلت عام ١٩٤٨م إلى فلسطين وهي تعلن أنها ستقضى على اليهود وتعيد الحق المغتصب إلى الشعب الشقيق .. إنما كانت لتثبت الخطّة المتفق عليها وراء الكواليس والتي تقضي بإقامة دولة إسرائيل ..

* الحرب الرسميّة عام ١٩٤٨م .

* معاهدة رودوس عام ١٩٤٨م .

* حرب الأيام الستّة عام ١٩٦٧م .

* حرب عام ١٩٧٣م .

* اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م .

* ضرب الفدائيين في الأردن عام ١٩٧٠م .

* تصفية العمل الفدائي في لبنان وتشريد المقاتلين الفلسطينيين في المنافي العربيّة البعيدة .

* اتفاق غزّة – أريحا أولا ..

هذه وغيرها .. محطات في دروب المؤامرة الكبرى .. التي بدأت بإقامة كيان يهودي تحت جناح الدولة العثمانيّة .. إلى إقامة إسرائيل الدولة اليهوديّة في فلسطين .. إلى إقامة إسرائيل التوراتيّة الكبرى .

إن قيام إسرائيل في منطقتنا .. وتوسعها على حساب شعبنا .. هي المؤامرة الحقيقيّة الكبرى التي أصابت أمتنا .. وهي التحدي الحقيقي التي يواجهنا منذ إعلان اليهود حربهم علينا .. وحتى اليوم ..

إن خلاص أمتنا .. وسؤددها .. وكرامتها .. تعتمد أساسا على الخلاص من هذه المؤامرة وتحطيمها ..

وليس الأمر مستبعدا وهو لا يحتاج إلى أكثر من طليعة مؤمنة وقيادة راشدة ، تعزم عزمتها وتتوكل على ربّها وتستعيد حقوقها .. وتحطّم المؤامرة على رؤوس أصحابها .

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)

المقدمة

الشعب الفلسطيني ودوره في الكفاح

تحمل الشعب الفلسطيني مسؤولية كاملة في الدفاع عن أرضه ووطنه .

وإذا كانت المؤامرة التي استهدفته أكبر منه وأقوى .. إلاّ أنه لم يستسلم ولم يساوم .

وإذا كانت الشعوب تتفاوت بين قوةٍ وضعفٍ .. وبين أصالة وتفريط .. فان الشعب الفلسطيني في أرض الرباط كان في الذؤابة . عجمت عوده الظروف ، وعلمته الليالي السود ، وشدت من أزره أرض الحرم .. وأعلت قامته المقاومة التي لم تلن .

ثورة اثر ثورة .. وكفاح متصل .. ويوم قررت الامم المتحدة ظلماً وجوراً اقامة دولة يهودية على أرضه .. ويوم قررت دول الجامعة العربية الدخول إلى فلسطين لتحريرها .. يوم قالوا للمناضل الفلسطيني : كف يداك فقد انتهى دورك ونحن سنكفيك .. يومها فقط ضاعت القضية .

في ١٥ أيار ١٩٤٨م ، تاريخ دخول الجيوش العربية ، لم تكن القوات اليهودية تحتل الاّ جزءا ساحليا ممتدا من غرب يافا الى شرق حيفا ، وجزءاً آخر يحاذي بحيرة طبرية عند حدود سوريا ، وكانت بقية أجزاء فلسطين مصونة بيد الشعب بما في ذلك القدس القديمة والأحياء العربية الكبيرة في القدس الجديدة والناصرة وعكا ورأس العين واللد والرملة وقرى جنين والخليل وبيت صفافا ورام الله ونابلس وجملة وزرعين ونورس والمزار ودير غزالة ، إلى جانب النقب كله وغزة وآلاف القرى في الجليل .

مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني ذكر في كتابه (١) :

يبلغ مجموع ما استولى عليه اليهود يوم انتهاء الانتداب البريطاني نحو مليوني دونم أي نحو ٧٪ من مجموع أراضي فلسطين ، أكثرها من أملاك الدولة التي منحتها لهم

---

(١) حقائق عن قضية فلسطين – الحاج أمين الحسيني ص ١١ .

حكومة الانتداب البريطانية .
أما بقية الأرض فقد احتفظ بها الشعب بالرغم من كل المضايقات والضغوط التي تعرض لها من أجل التخلي عن أرضه .

كانت مهمة القوات البريطانية في فلسطين مزدوجة .. فهي من جانب منشغلة في تهيئة القوة اليهودية لاستلام السلطة واقامة الدولة اليهودية .. وهي من الجانب الآخر منشغلة بتحطيم معنويات الشعب الفلسطيني والتضييق عليه ومصادرة سلاحه والقضاء على منظماته وخاصة مجلسه الاسلامي الأعلى الذي يمثل الرمز الذي يتطلع الشعب إليه ..

ومن عجب أن اجتماعات الجامعة العربية كانت تتبنى النظرية نفسها .. فجيوشها التي ستدخل فلسطين ولجانها ، هي التي ستقرر مستقبل البلاد .. حتى أن بعض الحكام العرب كان يتصور أن مشكلته ومشكلة اليهود واحدة وهي :
المنظمات الشعبية الفلسطينية أو المفتي الحاج أمين الحسيني بالذات . وكان أول قرار اصدرته القيادة العربية بعد دخول فلسطين هو إلغاء المنظمات الشعبية الفلسطينية السياسية والجهادية .

ولقد حاول بعض أهل البلاد من الفلسطينيين بالرغم من كل الظروف القاسية الداخلية والخارجية الدفاع عن بلدهم .. ما وسعهم الأمر ذلك ..
ولنستمع إلى شهادة لواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق قائد عام القوات المصرية بفلسطين يقول مخاطبا الفلسطيين :
" لقد كان لموقفكم النبيل المشرف ، وايمانكم بنصرة الحق أحسن الأثر في نفسي ونفس جنودي ، فلقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها ، كما احتملتم ضغط العدو بإذاعاته الكاذبة ومنشوراته ، ولقد كنتم رابطي الجأش ثابتي العزيمة ، فلم تسببوا لي متاعب في الخلف بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، فباسمي واسم جنودي أشكركم أولا

وأهنئكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة وأبشركم بنهاية سارّة بفضل الله .[1]

وانني علي يقين أنه لو تركت قضية فلسطين لأهلها ، واقتصرت مهمة الدول العربية المحيطة على تقديم العون والتدريب والحماية .. لما آل الأمر في فلسطين إلى ما وصلت إليه .. ويؤكد هذه الحقيقة الجنرال هنري ميتلاند ولسون الذي شارك في المعارك ضد الفلسطينيين يقول : إن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ، ويقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح.[2]

وبعد ..

فهذا كتاب فلسطين بين قدسية أرضها وتفريط المسلمين بحقها .

أقدمه لأبنائنا الشباب ليتعرّفوا على قضاياهم ، وأهمها بكل تأكيد هي قضية فلسطين .

ففلسطين كانت باستمرار مركز الصراع بين المسلمين وأعدائهم .. ودراسة التاريخ تبين لنا عمق وامتداد المؤامرة التي تعرّض

لها المسلمون من أجل تهويد جزء من بلادهم واقامة دولة لليهود فيها .

وأحب أن يعلم جيلنا :

* أن استرجاع فلسطين يحتاج عملا كبيرا دؤوبا ، وتخطيطا محكما ، وعزيمة لا تلين ، وايمانا لا يخامره شك بنصر الله .
* وإن المسلم سيعود لفلسطين مهما طال الزمن .. فتلك بشارات نبينا لنا .. وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى .

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن . (المرجع السابق) ص ٤١٨ .

(٢) حقائق عن القضية الفلسطينية (المرجع السابق) ص ١٤

* وإن اعتبارنا كأمة عظمى مرهون باسترجاعنا لأولى القبلتين وثالث الحرمين .. فليهيء الشباب نفسه لدوره .

والحمد لله رب العالمين

مصطفى محمد الطحان

استانبول في ١٧ جمادي الأول ١٤١٤هـ

١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣م

الفصل الأول

عمر بن الخطاب يتسلم بيت المقدس

فلسطين هي أرض الاسراء التي ذكرها الله بقوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير . . . ﴾ (الاسراء – ١) .

والمسجد الأقصى الذي باركه الله . . والذي تشد الرحال إليه . . هو في القدس في فلسطين . ففلسطين اذن بلد مقدس ومبارك . . والتفريط فيه هو تفريط في شخصية الأمة الاسلامية ومقدساتها . . ولفلسطين أهمية خاصة في السابق واللاحق . . وهي اليوم على رأس القضايا الاسلامية التي تحتاج إلى نظرة جديدة وموقف حاسم . لا يهمنا كثيراً أن نبحث في تاريخ فلسطين القديم . . من سكنها ومن لجأ إليها ومن تركها . . وحسبنا أن نبدأ من الفتح الاسلامي واستسلام المدينة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونقتطف هنا ترجمة من مخطوط تاريخي هام قديم باليونانية وجده عبد الله التل (قائد معركة القدس سنة ١٩٤٨م ثم حاكمها العسكري) في دير المصلبة في القدس ، يسجّل بالتفصيل حادث مجيء الخليفة : [١]

« لما اشتدّ حصار جيوش المسلمين ببيت المقدس سنة ٦٣٦م ، أطلّ البطريرك صفرونيوس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة ، وقال لهم : إنا نريد أن نسلّم ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم . فقدّموا له أمير الجيش ، فقال : لا ، انما نريد الأمير الأكبر ، نريد أمير المؤمنين . فكتب أمير الجيش إلى عمر بن الخطاب يقول : ان القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك لديك شخصياً . فخرج عمر من

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية – عبد الله التل ص ١٢٧ .

المدينة قاصداً بيت المقدس ومعه راحلة واحـدة وغلام ، فلما صار في ظاهر المدينة ، قال لغـلامه : نحـن اثنان والراحـلة واحدة ، فـان ركبت أنـا ومشيت أنـت ظلمـتك ، وان ركبت أنت ومشيت أنا ظلـمتني ، وان ركبنا الاثنان : قصمنا ظهرها ، فـلنقتسم الطريق مثالثـة . وأخذ عمر يركب مـرحلة ويقود مرحلـة وتمشي الراحلة أمـامهما متخـففة من حمل أحد مرحلة ، وهكـذا استمر عمر يقسم الطريق مثالثة بـين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة حتى بلغ جبلا مشرفا عـلى القدس ، صادف أن كـانت ببلـوغه قد انتهت مرحلة ركوبـه ، فكبّر من فوق الراحلة . [1] ولما فرغ من تكبيره ، قال لغلامه : دورك . . . اركب ، فقـال الغلام : يا أمـير المؤمنـين ! لا تنزلن ولا أركـبن ، فإنّا مقبـلون على مدينة فيها مدنية وحضارة ، وفيها الخيول المطهمة المسرجة والعربات المذهبة ، فاذا دخلنا على هذه الصورة – أنا راكب على الراحلة وأمير الومنين آخذ بمقودها – هزئوا بنا ، وسخروا من أمرنا ، وقد يؤثّر ذلك عـلى نصرنا ، فقال عمر : دورك . . . ولو كان الدور دوري مـا نزلت وما ركـبت ، أما والدور دورك فـوالله لأنـزلن ولتركـبن . ونزل عمر وركب الغلام الراحلـة وأخذ عمر بمقودها فلما بلغ سور المديـنة وجد نصاراها في استقباله خارج بابـها المسمى بباب دمشق ، وعلى رأسهم البطريـرك صفرونيوس ، فلما رأوه آخذاً بمقـود الراحلة وغـلامه فوق رحلـها ، أكبروه وخـروا له ساجديـن . فأشاح الغلام عليهم بـعصاه من فوق رحلها وصاح فيهم : ويحكـم ، ارفعوا رؤوسكم ، فانه لا ينبغي السجود إلاّ لله . فلما رفعوا رؤوسهم ، انتحى البطريرك صفرونيوس ناحية وبكى فتأثـر عمر وأقبل علـيه يطيب خاطـره ، ويواسيه قائلاً : لا تحـزن ، هوّن عليك ، فالـدنيا دواليك ، يوم لك ويوم عليك . فقال صفرونيوس : أظـننتني لضياع الملك بكيت ؟ والله مـا لهـذا بكـيت ، وانما بكـيت لمّا أيقنـت أن دولـتكـم علـى الدهـر باقـية تـرقّ ولا

---

(١) وسمي الجبل منذ ذلك اليوم « جبل المكبر »

تنقطع . . فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمرّ ثم تنقرض مع السنين » .

وخطب عمر في تلك الجموع الحاشدة مستهلاً خطبته بقوله : **يا أهل إيلياء ، لكم ما لنا وعليكم ما علينا** . ثم دعاه البطريرك صفرونيوس لتفقد كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة) فلبى الدعوة ، وأدركته الصلاة وهو فيها ، فالتفت إلى البطريرك وقال له : أين أصلي ؟ فقال له مكانك صلّ . . فقال : ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجدا .

وابتعد عنها رمية حجر وفرش عباءته وصلى . . وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا . ثم سأل عمر البطريرك صفرونيوس عن موضع المسجد الأقصى فدلّه ، فوجده مغمورا بالقمامة ففرش عمر عباءته وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويلقيها في الأودية ، واقتدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيرا . . . ثم بنى عليه مسجدا .

العهد العمري

وقد أعطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عهداً إلى أهل أورشليم ، ننقل فيما يلي نصه الكامل :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان ، أعطاهم لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلُبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان (هكذا) ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة للهجرة . (١)

---

(١) تاريخ الطبري الجزء الثالث ص ٦٠٩ .

الفصل الثاني

فلسطين في ظل الحروب الصليبية

وبعد فتح القدس تقدم المسلمون ففتحوا الأجزاء الباقية من فلسطين ، ابتداء من قيصرية (قيسارية) وسامارية ونابلس واللد ويافا وعسقلان حتى غزة .

ولقد اعترف المؤرخون الغربيون بأن سكان فلسطين استقبلوا المسلمين كمخلّصين لهم من ظلم احتلال واضطهاد اليونانيين الأرثوذكس وجورهم [١] .

واستقرت المنطقة بعد الفتح الاسلامي . . وعامل الحكم الاسلامي جميع السكان – المسلمين منهم وغير المسلمين – معاملة كريمة شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء . والاسلام وحده ، من بين جميع الأديان في تاريخ الأمم والشعوب ، الذي عامل اليهود والمسيحيين معاملة كريمة . . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذميا فقد آذاني ».. وعليه فان اليهود ،الذين كانوا يعيشون أسوأ أيامهم في أوروبا ويتعرضون للاضطهاد تلو الاضطهاد هناك ، كانوا يلقون من المسلمين كل رعاية وتسامح .

وكانت للقدس مكانة خاصة في نفوس المسلمين . . ففيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين . . وجميع المسلمين يحفظون الحديث الذي رواه معاذ رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاذ ! ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش حتى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم

---

(١) يقول مؤرخ بريطاني رسمي لفلسطين : اليهودُ ، السماريون ، المسيحيون ، كلهم استقبلوا العرب كمخلصين من اضطهاد اليونانيين الأرثوذكس وجورهم . ولم يسيطر العرب على أية مدينة في سوريا بقوة السلاح ، فكلها قبلت – عاجلاً أو آجلاً – الشروط السخية للرؤساء العرب . (من كتاب تاريخ فلسطين القديم لظفر الاسلام خان ص ١٤٦) .

القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة » . والحديث عن فلسطين وتاريخها يقتضي أن نعطي لمحة عن الحروب الصليبية . تلك الحروب التي غزت - بتحريض مباشر من البابا - الشرق الاسلامي ، وقذفته بتسع حملات صليبية شرسة ، قادها ملوك أوروبا وفرسانها ، بهدف القضاء على المسلمين وابادة هذا الجنس " الملعون" في نظرهم . . وجعلوا على رأس أهدافهم أن تكون فلسطين وبيت المقدس بالذات مركز دولتهم الصليبية .

والحديث عن الحروب الصليبية . . حديث عن مأساة مستمرة . . فهم وان قالوا ان الحروب الصليبية انتهت مع الحملة التاسعة عام ١٣٥٩م . . الاّ أن التاريخ يشهد ، وجيلنا المعاصر يعرف كذلك ، بأن الحروب الصليبية مستمرة . . ولن تتوقف أبداً .ولقد ذكر السلطان عبد الحميد (رحمه الله) في مذكراته : « بأن الصليب سرعان ما يتحد اذا كان الهلال خصمه » . ان فرنسا عندما دخلت الجزائر عام ١٨٣٠ . . دخلتها **وقادة الاحتلال** يصرحون : ان هدف فرنسا إبادة المسلمين لِيُعْبَدَ المسيح وحده في أرض الجزائر . **وغورو** القائد الفرنسي عندما احتل سوريا بعد الحرب العالمية الأولى لم ينس أن يزور قبر صلاح الدين ليقول : (اليوم انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين) . لقد كانت الحروب الصليبية لطخة عار في جبين العالم النصراني . . لم يستطع حتى أحقد مؤرخيهم الاّ أن يعترف بوحشيتها واجرامها . . (١)

---

(١) استعد الصليبيون لواجبهم " المقدس " ، خلال مسيرتهم عبر أوروبا . وكان طريقهم علماً على نهر من الدماء . لمعت فوقه الشعل الكالحة للبيوت المشتعلة . لقد كان غير المسيحيين جميعهم أعداء الله بالنسبة اليهم ، وحين فتحت القدس بابها أعملوا السيف في كل مسلم ، رجل أو أمرأة أو طفل ، لدرجة أن الصليبيين كان عليهم أن يخوضوا في الدماء حتى الركبة لكي يصلوا إلى كنيسة القيامة .
Hyamson P P 19-20,22-23

ان المسلمين عندما تسلّموا بيت المقدس من بطريركها صفرونيوس نالوا شهادته ، فقد قال لسيدنا عمر رضي الله عنه : ان دولتكم على الدهر باقية . . فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة .

واليهود الذين عاشوا في فلسطين – أيام الحكم الاسلامي – يذكرون مرغمين أنهم كانوا يعيشون في جو كله حلم وتسامح . .

أما الصليبيون فعندما تحكموا كانت تخوض خيولهم إلى الركب في دماء المسلمين . . واليهود عندما احتلوا فلسطين لم يفعلوا أقل من ذلك بحال . . وكل اناء بالذي فيه ينضح .

الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٩م

ابتداء من عام ٩٧٠م بدأ النصارى في اسبانيا حرباً مسلحة نشطة ضد المسلمين . . انتهت بسقوط الدولة الأموية في الأندلس في السنين الأولى من القرن الحادي عشر الميلادي . ولقد شجع هذا السقوط الكنيسة والأمراء الأوربيين بتحريض مباشر من البابا (بينيدِكْت الثامن) على غزو صقلية وسردينيا .

أما الحملة الصليبية الأولى التي خرجت من أوروبا . . قاصدة بيت المقدس ، فقد كانت بقيادة جودفري أوف بويلون ، واستطاعت هذه الحملة التي بلغ عدد المشتركين فيها ٦٠٠ ألف مقاتل أن تستولي على القدس في يوليو (تموز) ١٠٩٩م ، وأصبح بذلك جودفري أول حاكم صليبي لبيت المقدس .

وعندما سمّى جودفري نفسه (حامي كنيسة القيامة) زاعماً أنه جاء لتحرير نصارى

الشرق من ظلم المسلمين . . في هذا الوقت لم يستطع أن يدخل الكنيسة الاّ عبر نهر من الدماء فقد قتل من المسلمين المدافعين عن حرمة المدينة سبعين ألف مسلم . كما أحرق كل شيء وصلت إليه يده ، فقد كان الجميع – أطفالا ونساء وشيوخا – أعداء لله على حد زعمه .

الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧م

كان العالم الاسلامي في هذه الأثناء منقسما على نفسه ، في كل بلدة منبر وأمير . . الدولة العباسية شكلية في بغداد ، والدولة الفاطمية متخاذلة في القاهرة ، وفي المناطق الأخرى دويلات هزيلة ربما تحالفت مع الصليبيين ضد بعضهم البعض ، تكرر بذلك مأساة الأندلس عندما كان المسلمون يستعينون بالأسبان ضد بعضهم بعضا ، وعندما جاءت الفرصة المناسبة ، ضربهم عدوهم الضربة القاضية فبكوا كالنساء ملكا لم يحافظوا عليه كالرجال . . وكذلك كان الحال في بلاد المشرق عندما بدأت الحروب الصليبية .

وكان لقدوم الصليبيين غزاة إلى بلاد المسلمين ، وارتكابهم أشنع الجرائم في حق شعوب المنطقة ، رد فعل عنيف عند بعض القيادات الاسلامية ، التي أدركت بداهة أن الصليبيين لم ينتصروا بقوتهم وحدها . وإنما ساعدتهم فرقة المسلمين وشتاتهم في تحقيق هذا النصر . . وأول بوادر هذه الصحوة الاسلامية بدأت تتحقق بنهضة (آل زنكي) بالموصل . فقد جرّد (عماد الدين زنكي) جيشا وحدّ بلاد المسلمين من الموصل في شمال العراق إلى معرة النعمان في أواسط سوريا . . وبدأ يكيل الضربات القوية للصليبيين .

وكان من أهم هذه الانتصارات سيطرته على مدينة الرها (اورفا في شرق تركيا) التي كانت قاعدة متقدّمة للصليبيين وكان ذلك عام ٥٣٩هـ الموافق ١١٤٤م . وعندما توفي عماد الدين زنكي تولى شؤون الدولة ابناه من بعده : سيف الدين غازي (في

الموصل) ونـور الديـن محمـود (في حلـب) .

وعندما جاءت الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٧م بقيادة ملك فرنسا (لويس الرابع) وامبراطـور المانيا (كونـراد الثالث) ، وبدلا مـن التوجه لقـتال نور الدين محمود القيادة القوية الناشئة ، توجهت إلى دمشق . . وإذ استعصت دمشق على الفتح . . عاد الصليبيون أدراجهم مسجلين أول فشل ذريع في هذه الحروب العدوانية .

ولقد شجّع فشـل الحملة الصليبيـة الثانية القيادة الاسلامـية الناشئة على متـابعة طريق الوحدة والقوة . . فلقد نجح (نور الدين محـمود) في الحاق هزيمة بالفرنج في عسقلان سنة ١١٦٤م ، ثم فتح مـصر سنة ١١٦٩م وأقام نائبه (أسد الدين شيـركوه) والياً هناك الذي خلفه بعد موته صلاح الديـن الأيوبي عام ٥٦٤ هـ الموافق ١١٧١م . وعندما مات نور الدين سنة ٥٦٩هـ الموافق ١١٧٤م ، وحّد البطـل صلاح الدين الأيوبي جميع هذه البلدان تحت قيادته [١] .

(كان ملك القدس الـصليبي آنذاك هو بالدوين الرابع ، وقـد هزمه صلاح الدين في معركة بانياس ، واضطر الفرنجة عندهـا إلى عقد صلح مع المسلمين ، إلاّ أن الفرنجة سرعان ما نقضوا الـعهد كعادتهم . . وفي هذه الأثناء تولى الحكـم أخوه الملك بالدوين الخـامس . . الـذي دس الفـرنجة لـه السـم . . وتـولى بـعده الحـكم المـلك (غـاي دي لوزيجنان) [٢] .

---

(١) وحّد القائد صـلاح الدين تحت قيادتـه كلاً من اليمن ومـصر والشام وبرقة وطـرابلس والجزء الشرقي من تونس والموصل وأربيل من شمال العراق وحتى سواحل افريقيا الشمـالية .

(٢) تاريخ فلسطين القديم – ظفر الاسلام خان ص ١٧٤–١٧٥ .

معركة حطين الخالدة

كان واضحاً من سياسات البطل نور الدين محمود والبطل صلاح الدين الأيوبي من بعده أنهما كانا يتخذان الأسباب المناسبة لتحرير بيت المقدس الذي يرزح تحت وطأة الاحتلال الصليبي المهين . . وقد رأيا – بنافذ بصيرتيهما – أنه لتحقيق مثل هذا النصر الكبير وللتغلب على هذا السيل العرم المتدفق من أوربا ، يحدوه الأمل الكاذب ويحركه الحقد الأعمى – لا بد من أجل ذلك – من القضاء على أوكار الخيانة المتمثلة يومذاك بالطوائف الباطنية التي كانت تزرع الرعب في قلوب الدول والأفراد على السواء . . ولا بد من انهاء حكم بعض الحكام المتخاذلين . . الذين تهمهم كراسيهم ولو استعانوا من أجلها بالكفار . . ولا بد من ايجاد وحدة سياسية وعسكرية قوية .

واذا كانت أيام نور الدين محمود لم تمتد به ليكمل الطريق . . فقد استطاع البطل صلاح الدين الأيوبي أن يقوم بهذه المهمة على أحسن وجه . . وبعد أن أكمل استعداداته كان ينتظر اللحظة المناسبة ليخوض المعركة الرئيسة الفاصلة مع الصليبيين . . وجاءت الفرصة . . (عندما اعتدى أمير الكرك الصليبي على قافلة تجارية تابعة للدولة الاسلامية عام ٥٨٢هـ ، وامارة الكرك هذه واقعة بين البلاد الشامية ، والبلاد المصرية ، وكان بين صلاح الدين وبين هذه الامارة هدنة ومسالمة ، وكان من بنود الهدنة السماح للقوافل الاسلامية بالانتقال من مصر إلى الشام وبالعكس في سلامة وأمان . .) [(١)] .

---

(١) صلاح الدين الأيوبي – عبد الله علوان ص ٦٦-٦٧ .

وكان من نتيجة اعتداء الصليبيين على القافلة الاسلامية مصادرة الأموال وأسر الرجال .
ويروي المؤرخون أن الأمير الصليبي استهان بالاسلام وشتم النبي محمد عليه الصلاة والسلام . . وعندما وصل الخبر إلى القائد صلاح الدين الأيوبي غضب غضباً شديداً ، وأقسم ليقتلن هذا المجرم الذي نقض العهد واعتدى على حرمات المسلمين واستهان بالدين الاسلامي . .

وأعلن البطل الجهاد المقدس . . وخرج من دمشق [(١)] بعد صلاة الجمعة يوم ١٧ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ بين تهليل المسلمين وتكبيرهم وابتهالهم ودعائهم بالنصر للاسلام وقيادة المسلمين . . وكانت المعركة الفاصلة بين الفريقين عند (طبرية) في مكان اسمه (حطين) . . وكان المسلمون قد سيطروا مسبقاً على مواقع المياه . . واشتدت الشمس وعطش الأعداء ، وهجم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فانهزم الصليبيون هزيمة منكرة وبلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف . وأُسر ملك بيت المقدس وأمير الكرك الذي قتله صلاح الدين جزاء على شتمه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم واعتدائه على المسلمين . أما ملك القدس وبقية الأسرى فقد أرسلهم صلاح الدين إلى الشام .

ثم حرر صلاح الدين عكا ومدن صور وصيدا وجبيل وبيروت وبقية مدن الساحل ليحول دون وصول الامدادات الصليبية إلى القدس عن طريق البحر . وفي طريقه لحصار القدس استسلمت له كل من الرملة ، الداروم ، غزة ، بيت لحم والنطرون . . ولم يكن يرغب بدخول بيت المقدس حربا . . فأرسل إلى أهلها يطلب منهم التسليم على شروط وصفها قائلاً : إني على اعتقاد تام بأن القدس هي بيت الله المقدس كما

---

(١) والجدير بالذكر أن توقيت المعركة واتخاذ قرارها كان نتيجة لقرار مجلس الشورى العام الذي دعاه صلاح الدين للاجتماع بهذه المناسبة .

تعتقدون ،وليس في عزمي أن أتعرض لبيت الله بأذى الحصار أو ضرر الهجوم . . »
وأبى الفرنجة الصلح . . وركبوا رؤوسهم . . فحطم صلاح الدين تلك الرؤوس المتغطرسة المعتدية . . وبعد اسبوع من القتال المرير استسلم هؤلاء أذلاء . . وقبلوا بشروط القائد الفاتح وكانت : « أن يسمح لهم بالخروج في مدة أربعين يوما ، يدفع الرجل منهم عشرة دنانير ، والمرأة خمسة ، والولد اثنين ، ومن لم يستطع ذلك فهو أسير» .

وكان أول يوم بدأوا بالخروج فيه يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ (اكتوبر ١١٨٧م) .

الحملة الصليبية الثالثة

غضبت أوربا أشد الغضب لعودة القدس إلى أصحابها المسلمين ، فأرسلوا حملة جديدة على رأسها : الامبراطور فردريك الأول الألماني ، وفيليب أغسطس الفرنسي ، وريتشارد قلب الأسد الانكليزي .

كان لكل من هؤلاء القادة أحلامه وأطماعه . . أما امبراطور المانيا فقد غرق في الطريق وتشتت حملته . . وأما الجيش الفرنسي والانكليزي فقد وصلا عن طريق البحر إلى عكا التي كان يحاصرها منذ سنتين ملك بيت المقدس الذي كان أطلقه صلاح الدين من الأسر على أن لا يعود إلى قتال المسلمين . .وعندما اشتد الحصار على المسلمين في عكا من البر والبحر اضطروا إلى الاستسلام عام ٥٨٧هـ (١١٩١م) . وانتهت هذه الحملة بعقد صلح مع صلاح الدين سنة ٥٨٨هـ (٣سبتمبر ١١٩٢م) . ينص على أن يستقر الصليبيون في الشريط الساحلي الممتد من صور إلى يافا ، وأن يسمح للنصارى بزيارة بيت المقدس الذي بقي تحت الحكم الاسلامي . وبعد هذه الهدنة بسنة واحدة توفي صلاح الدين – رحمه الله – فانزاح عن صدر أوربا كابوس ثقيل طالما

خيب آمالها وأودى بفرسانها . . واقتلع من أرض المسلمين طغيانها وعدوانها .

الحملة الصليبية الرابعة

وقد استمرت هذه الحملة من عام ١٢٠٢م وحتى عام ١٢٠٤م . . وضمت أكثر من خمسين ألفا من الشبان المهووسين الراغبين في القضاء على المسلمين واحتلال ديارهم . . وقد غرق أكثر هؤلاء في البحر . . وقُتل قسم آخر منهم . . وأقلهم تمكن من العودة إلى بلاده . . دون أن يحققوا شيئاً .

الحملة الصليبية الخامسة

تبنّاها البابا (إنوّسنت) سنة ١٢١٥م . وقد خرجت هذه الحملة لاحتلال مصر ، وبعد احتلال دمياط تخاذل الملك العادل (شقيق صلاح الدين الذي خلفه في رئاسة الدولة) وأحب أن يصالح الصليبيين بالتنازل عن جزء من مملكة القدس . . ولكن نشوة النصر أبطرت الصليبيين وجعلتهم يطالبون بالتعويضات أيضاً . . فما كان من العادل إلاّ أن رفض ذلك وحاربهم وانتزع منهم دمياط .

الحملة الصليبية السادسة

كانت أوربا تراقب أوضاع المسلمين في الشرق ، وعندما أدرك فريدريك الثاني امبراطور المانيا ، أن أوضاعهم السياسية سيئة . . وأن بلادهم فقدت بعد القائد العظيم صلاح الدين وحدتها وفقدت بالتالي قوتها، جرّد حملة كبيرة لاحتلال فلسطين عام ١٢٢٩م . . واستطاع بمساعدة بعض الدويلات الاسلامية أن يجبر السلطان المصري على قبول شروطه التي تنص على أن يتنازل له عن القدس والناصرة وبيت لحم مع شريط ساحلي لمدة عشر سنين هذا بالاضافة إلى المدن الساحلية الأخرى التي كانت

بأيديهم أصلاً .

الحملة الصليبية السابعة

عند نهاية السنوات العشر للهدنة بين فريدريك والمسلمين ، تزعّم ثيوبالد الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٣٩م . . وقد فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً في الاستيلاء على عسقلان..وأسر المسلمون منهم أعداداً كبيرة.

الحملة الصليبية الثامنة

في هذه الأثناء حدثت بعض الحوادث الخطيرة . . فقد غزا المغول بلدان العالم الاسلامي . . وعقدوا حلفاً مع المصريين عام ١٢٤٠م ، وهاجموا سوريا والقدس عام ١٢٤٤م فهدموا كنائسها وقتلوا سكانها وعندما انسحبوا بقيت القدس تحت حكم المماليك في مصر .

في أعقاب ذلك بدأ البابا ينادي بحملة صليبية جديدة للاستيلاء على فلسطين . . وقد تحمس ملك فرنسا لويس التاسع لهذه الحملة . . وهاجم مصر بدلاً من فلسطين . . ولكنه أسر فيها . . وبعد اطلاق سراحه هاجم عكا ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا . .

الحملة الصليبية التاسعة

وكانت هذه الحملة متعددة الأهداف . . فكان الملك الفرنسي سانت لويس يطمح إلى احتلال تونس وحمل (الباي) على قبول المسيحية . . ولكنه مات ولم يحقق هدفه . وقاد الملك أدوارد ملك بريطانيا حملة أخرى عام ١٢٧١م واستطاع احتلال عكا . . ولكنه لم يستطع بعد ذلك أن يتقدّم خطوة نحو فلسطين . وكانت هذه الحملة نهاية الحملات الصليبية الرسمية . . التي حملت الحقد والتعصب والخراب ضد بلاد

المسلمين . .

وكانت فلسطين وبيت المقدس بالذات أحد أهم أسباب هذه الحروب .

الفصل الثالث

الفاتح صلاح الدين الأيوبي

قبل أن نغادر الحروب الصليبية الرسمية ، التي جاءت من أوربا ، يدفعها الحقد الأعمى لاحتلال فلسطين وبقية ديار المسلمين ، نحب أن نلتقي مع بطل التحرير القائد صلاح الدين الأيوبي الذي ردّ كيد الأعداء ، ووحّد كلمة المسلمين . . نسترشد بخطواته . . . ونتعلم دروساً من قيادته . . فالتاريخ يعيد نفسه . . والصليبية مستمرة ، بل وتعددت وجوهها . . ونحن أحوج ما نكون إلى صلاح الدين جديد . . وأوضاع أمتنا مرتبطة في كل الأحيان . . بالقائد البطل الذي يتجرد لله ، ويسلك الأسباب الموصلة للتحرير .

لقد حدد صلاح الدين الأيوبي – رحمه الله – هدفه بكل دقة ، وهو تحرير البلدان الاسلامية عامة ، وفلسطين وبيت مقدسها خاصة ، من رجس الغزاة المعتدين . وفرق كبير بين قائد يفكر ويدبر ، ويحدد أهدافه بكل دقة . . وبين العديد من قادة المسلمين الذين لا يتعرضون للأهداف الاّ في مجال المزايدات والتصريحات . . أما سلوكهم وحياتهم فأبعد ما تكون عن مثل هذه الأهداف . . ولو أرادوا التحرير لأعدّوا له عدته . . . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَو أرادوا الخُروجَ لأعدوا لَهُ عُدةً ولكن كره الله انبِعاثَهُم فَثَبَّطهم وقِيل اقعدوا مَعَ القاعدين . . [1] ﴾ .

واتخذ القائد صلاح الدين الأيوبي بعد تحديد أهدافه ، الأسباب السليمة التي توصله لهذه الأهداف .

---

(١) التوبة – ٤٦ .

فعلى الصعيد الشخصي . . يذكر مرافقه القاضي بهاء الدين :

« أنه كان – رحمه الله – خاشع القلب ، غزير الدمعة ، اذا سمع القرآن خشع قلبه ، ودمعت عيناه . . وكان كثير التعظيم لشعائر الدين ، لا يؤخر صلاة ساعة إلى ساعة . . وعندما مرض أوصى ابنه الظاهر فقال : " أوصيك بتقوى الله ، فهي رأس كل خير ، وآمرك بما أمر الله به ، فانه سبب نجاتك ، واحذر من الدماء والدخول فيها والتقلد بها ، فان الدم لا ينام ، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالها فأنت أميني وأمين الله عليهم . . " » .

هذا السمت الإيماني ، واستشعار المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى . . . لا يختلف في شيء عن موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كتب يوصي قائده سعد بن أبي وقاص عندما وجهه إلى فتح فارس فقال له : « أما بعد ، فاني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . . " وهذا الخوف من الله والاطمئنان اليه . . هو عدة القائد للنصر . . وكل قائد لا يتحلى بهذه الصفات ولا يستعد بهذه الأخلاق .. فهو عون للأعداء . . بدل أن يكون ناصراً للمسلمين .

وعلى صعيد الوعي السياسي . . فقد كان يدرك – رحمه الله – أن الوحدة من أسباب النصر . . وأن الأمة المتفرقة التي عجزت عن نفسها . . هي بالتالي عن مواجهة أعدائها أعجز . . ولهذا فقد كان همّ صلاح الدين أن يوحّد الأمة الاسلامية . . ويستأصل شأفة بعض العملاء الذين يعبدون المناصب ويتعاونون مع العدو . . وكان يعتبر وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم مقدّمة لا بد منها لمواجهة أعداء الله في الخارج . . وعندما وفقه الله لاقامة هذه الوحدة التي ضمت اليمن ومصر والشام وبرقة وطرابلس والجزء الشرقي من تونس والموصل واربيل في شمالي العراق وسواحل افريقيا

الشمالية عندما تمّ له ذلك . . أدرك أن الوقت قد حان لإنهاء أسطورة الصليبيين . فأعلن الجهاد المقدس .

وعلى صعيد الاستعداد . . فقد كان يعرف أن معارك التحرير تحتاج للإعداد والتنظيم . . فأنشأ ديوانا للجيش يهتم بسلامة الخيول وصلاحية السلاح واستعداد الجند . . كما اهتم بصناعة السلاح وبناء السفن وعمل المفرقعات وتركيب الألغام والمنجنيقات وما إليها من أدوات القتال . . لقد فهم القائد صلاح الدين التوجيه الرباني ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ ولا يمكن لجيش أن ينتصر في معركة خطيرة ضد الصليبيين ما لم يستعد ويتخذ الأسباب .

وعلى صعيد الالتزام الاسلامي . . فقد انطلق القائد صلاح الدين من وحدة الأمة الاسلامية ، وعمل لتدعيم هذه الوحدة . . فهو الكردي من شمال العراق يتحرك لجمع شتات الأمة الاسلامية ضاربا جميع الشعارات الجاهلية الزائفة التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي كان المتخاذلون يرفعونها :

* الرايات **الطائفية** التي بدأت تطل برأسها وتعمل في جسد الأمة تفتيتا وتخريبا .
* والرايات **الاقليمية** . . فهذا من دولة الشام وذاك من دولة حلب . . وهنا دولة الموصل . . وهناك دولة الكرك . . وغيرها كثير . .
* والرايات **العنصرية** . . فهنا الأكراد . . وهنا السلاجقة . . وهنا الأتراك .. وهناك البرابرة . . وهنا العرب وهناك الفرس . . .

(انطلاقا من هذه الفكرة ، وتحقيقا لهذا المبدأ ، جمع صلاح الدين الكردي جموع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم تحت لواء الوحدة الاسلامية ليقفوا وقفة صامدة أمام الصليبية الحاقدة ، والاستعمار اللئيم ، أمام القوة الباغية) [1]

---

(١) صلاح الدين – عبد الله علوان ص ١١٦ .

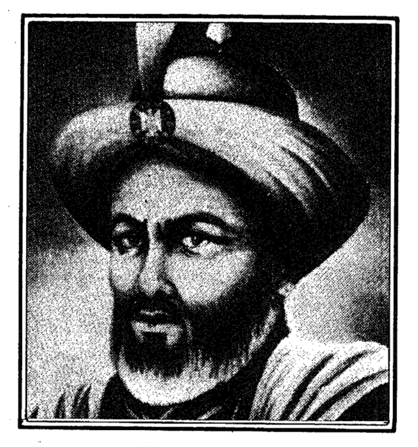
والعصبيات الجاهلية . واستطاع بهذا الالتزام الاسلامي أن يعيد للأمة عوامل وحدتها . . وقوتها .

إن الانحراف العقائدي الذي بدأ يظهر في الدولة الاسلامية على مرّ العصور ، والذي فرّق المسلمين إلى مُزَع وأقسام تتلون بلون الأرض أو بلون الجنس ، جعل من وحدة المسلمين التي عقدت لواءها الدعوة الاسلامية شكلية لا قيمة لها ، عندها تحوّلت القضية الفلسطينية من قضية اسلامية . . إلى قضية عربية . . ثم إلى قضية وطنية . . ثم إلى قضية تائهة لا تهمّ أحدا الا من يريد الاستثمار والتكسب من وراء اسم فلسطين .

إن على جميع المسلمين الذين يعملون من أجل وحدة العمل الاسلامي . . ووحدة الأمة الاسلامية . . واستعادة مجد الاسلام . . وعزة المسلمين . . عليهم أن يتعلموا دروسا عظيمة من سيرة البطل صلاح الدين . . . فقد كان عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال . . كان كالوالدة الثكلى ، يجول بفرسه من طلب إلى طلب ، يحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين الصفوف وينادي : يا للأسلام ، وعيناه تذرفان بالدموع ، وكلما نظر إلى عكا وما حلّ بها من البلاء ، وما يجري على ساكنيها من المصاب العظيم اشتد في الزحف والحث على القتال . . وكان يقول : وكيف أضحك وبيت المقدس مأسور في يد الصليبيين .

وبعد أن فتح الله بيت المقدس على يديه . . تواضع لله وعامل أعداءه معاملة كريمة تنبع من القلب المؤمن الكبير . . الذي يعرف الحق ولا يعرف الحقد . .

هذا هو صلاح الدين الأيوبي . . المثل الرائع والبطل الشامخ الذي يقتدي بمثله المسلمون . . اذا فقدوا الالتزام واختل عندهم الاتزان . . واذا رغبوا بالفعل أن يحرروا أنفسهم . . في الطريق إلى تحرير الأوطان .



الفاتح صلاح الدين الأيوبي

الفصل الرابع

الحلف الصليبي - اليهودي

عادت فلسطين ، بعد طرد الغاصب الصليبي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، جزءا عزيزا من أجزاء الدولة الاسلامية . وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي أصبحت المنطقة كلها جزءا من الدولة العثمانية التي وحدت جميع الأقطار ضمن دولة قوية منيعة . ولم تكتف الدولة العثمانية الفتية بأن أنهت الأطماع الصليبية في أرض المسلمين . . بل نقلت ميدان المعركة من فلسطين وبلاد الشام ومصر إلى اوربا ذاتها . . واستطاعت الجيوش الاسلامية بعد استيلائها على القسطنطينية أن تستولى على المناطق التي تعرف اليوم بأوربا الشرقية . . ووصلت إلى النمسا عدة مرات . .

وأدركت الصليبية أن فرصتها في الهجوم والاستيلاء على الأرض صارت عسيرة ، فلجأت إلى أسلوب جديد . . يوصلها إلى الهدف نفسه مع تغيير في الوسائل . . وتغيير الواجهات . . أو تبديل الأسماء والأدوات . أسلوب عرفه الاستعمار منذ القدم . . فالحروب الصليبية ، والحروب الاستعمارية ، والصهيونية ، والاستعمار القديم ، والاستعمار الحديث ، والاستعمار العسكري ، والاستعمار الاقتصادي أو الثقافي ، كلها أسماء مختلفة لمضمون واحد . . هو تآمر الغرب الصليبي ضد الشرق المسلم .

وبحكم الخبرة الطويلة التي اكتسبها الصليبيون من احتلالهم لبلادنا أدركوا أن لهم حلفاء طبيعيين عندنا هم :

* الطوائف التي ليس لها من الاسلام الاّ الاسم كالحشاشين الذين تآمروا على حياة صلاح الدين تدعيماً ومساعدة للصليبيين ، والباطنيين والقرامطة وغيرهم من العناصر الحاقدة على الاسلام .

* النصارى في المنطقة الذين وقفت أكثريتهم مع الجيوش الصليبية .

* اليهود الذين يطمعون في إنشاء دولة لهم في فلسطين . . فهي في نظرهم أرض بلا شعب . . وهم شعب بلا وطن .

* بعض العملاء ، ضعاف النفوس . . الذين يمكن للعدو الصليبي أن يشتريهم . . ضمن صفقة المنافع المتبادلة .

عندما شعرت القوى الصليبية بتقهقر الدولة العثمانية ، وأن العقيدة التي كانت تحرك السلاطين الأقوياء وتدفعهم للدفاع عن أرض الاسلام ضد كل معتد أثيم ، قد ضعف أثرها ، وبدأت القوانين الأوربية تحلّ بالتدريج مكان القوانين الاسلامية ، ومال السلاطين إلى الدنيا والترف أكثر مما انشغلوا بأمور المملكة والدين ، عندما شعرت القوى الصليبية بذلك ، بدأت تعقد المؤتمرات وتدعو قادة أوربا للقاءات غايتها الاجهاز على الدولة العثمانية أو تقسيم تركة (الرجل المريض) كما كانوا يسمّونها . ويفسر المؤرخون معظم الأحداث العالمية الخطيرة التي حصلت ابتداءً من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى . . على أنها جزء من المؤامرة الصليبية الكبرى ضد الدولة الاسلامية العثمانية .

في هذه الأثناء بدأ اليهود يلتقطون أنفاسهم في أوربا . . ويتطلعون إلى انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . . فعقدت الحركة اليهودية حلفاً غير مقدس مع الحركة الصليبية يكون فيها اليهود رأس الحربة ضد المسلمين . . وتكون دولة اليهود في المستقبل ركيزة الصليبية التي تحول دون وحدة المنطقة كما تؤمّن لهم مصالحهم الاستعمارية في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

أوضاع اليهـود في أوروبا

ولليهـود قصة ينبغي أن نعرفها . فقد أصدر السلطان العثماني (بايزيد الثاني) عام ١٤٩٣م مرسوما يقضي بحسن معاملة اليهود في أنحاء المملكة العثمانية [١] . وهذا المرسوم هو نموذج للمعاملة الكريمة التي عامل بها المسلمون اليهود في كل العصور وفي جميع الأمصار . . في الأندلس . . في العراق . . في مصر . . في الممالك العثمانية ، وغيرها .

أما في أوربا فقد كانت تلاحقهم اللعنة . .

ففي انكلترا : أصدر الملك (ادوارد الأول) مرسوما عام ١٢٩٠م يقضي بطرد اليهود من الأراضي البريطانية ، وكان رجال الكنيسة المسيحية يجوبون المناطق لإثارة الناس ضد (الكفار اليهود) [٢].

وفي فرنسا : قرر الملك (فيليب له بل) عام ١٣٠٦م طرد جميع اليهود من فرنسا . وفي عام ١٤٩٨م أمر (لويس الثاني عشر) بنفي اليهود ، وخيّرهم بين النفي وبين التنصّر [٣] .

وقد عومل اليهود بالطريقة المهينة الذليلة نفسها في المانيا وروسيا **وبقية أقطار أوربا** ، (وفُرضت عليهم قيودٌ اجتماعية وسياسية واقتصادية حتى بلغ الأمر أنهم عُزلوا عزلا كاملا في أقاليم خاصة بهم . كما حددت اقامتهم في المدن ،

---

(١) الادارة العثمانية في ولاية سوريا – عبد العزيز عوض ص ٣٠٧ .

(٢) اندره موروا – بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا ص ١٠٢٩ .

(٣) صراخ البري في بوق الحرية – حبيب فارس ص ٣٥٢.

في أحياء خاصة ، أقيمت حولها أسوار لا يخرجون منها . وقد عرفت هذه الأحياء ، باسم غيتو (Ghetto)[1].

(ومن الأهمية بمكان القول ، أن بعض المؤرخين اليهود أمثال " شالو بارون " يعترفون بأن اليهود أنفسهم هم سبب وجود هذه الأوضاع الخاصة بهم ، ومنها (الأحياء الخاصة) ، بل أكثر من ذلك ، فان مثل هذه الأحياء تقررت في البرتغال بناء على طلب عام من اليهود ، وقد أكد الحاخامون التلموديون دائما على ضرورة الانفصال التام عن غير اليهود حفاظاً على التقاليد بصورة شاملة .)[2] . ومع ذلك فمما لاشك فيه أن اليهود عاشوا مضطهدين داخل أسوار هذه الأحياء . ثم جاء من ينفخ في مشاعرهم بهذه الطريقة . . لتحريكهم نحو الأهداف المرسومة .

ولم يستسلم اليهود . . .

في رسالة وجهها المجلس الحاخامي ليهود فرنسا جاء فيها :

"ملك فرنسا يطلب بأن تعتنقوا الديانة المسيحية ، فلبوا طلبه ، اذ ليس باقتداركم مخالفته ، ولكن احفظوا على الدوام شريعة موسى في قلوبكم . وتقولون بأنهم يقصدون الاستيلاء على أموالكم ، فاجعلوا أبناءكم تجاراً ، فبواسطة التجارة تسترجعون مالكم وتضيفون عليه مالهم . تؤكدون لنا بأنهم يهدمون مجامعكم وكنائسكم ، فابذلوا الجهد لأن يصير أولادكم كهنة وأكليريكيين ، وهكذا يتسنى لكم أن تهدموا كنائسهم . . "[3].

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية – قسطنطين خمّار ص ٢٠ .

(٢) تاريخ فلسطين – لوران غاسبار ترجمة ابراهيم خوري ص ٧٠ .

(٣) صراخ البري في بوق الحرية ص ٣٥٢ .

وبالفعل فقد اعتنقوا المسيحية ، كما اعتنقوا في مناسبات أخرى الاسلام ، واحتفظوا بيهوديتهم . وأصبحوا تجاراً جمعوا الأموال وتحكموا بالعباد . ليس ذلك وحسب . . فقد كان مفكروهم يعملون على احداث انقلابات جذرية في بنية الفكر الأوروبي . . واضعين نصب أعينهم الأهداف التي وضعها لهم الحاخام رايخون في براغ الذي يقول :

(هذا وسنقوم في الوقت المناسب بانقلابات ستهدم الطبقات والأسر غير اليهودية . وعند ذلك يكون وعد (يهوا) للشعب اليهودي قد تحقق . وعلينا أن نختفي تحت شعار العدالة والمساواة . . .) [1] .

وقامت **الثورة الفرنسية** . . وكان لليهود دور بارز في قيامها . . ورفعت الشعارات البراقة التي نادى بها اليهود . . (الأخوة . . والمساواة . . والعدالة) . وفُتحت أمام اليهود بعد قيام هذه الثورة . . جميع الأبواب الاقتصادية والسياسية ، حتى أصبح لبعض أسرهم ، كبيت روتشيلد ، مراكز رفيعة ونفوذ كبير في دنيا المال والسياسة ، ومنهم من توصل بعد ذلك إلى رئاسة الوزراء في فرنسا . وامتد أثر الثورة الفرنسية التحريرية [2] إلى بقية الأقطار الأوربية ، ففي عام ١٨٧٤م نال اليهود كامل حقوقهم السياسية والدينية في كل من بلجيكا والدانمرك والنرويج **وانكلترا وهولندا وألمانيا** .

في هذه المرحلة . . . التي صادفت :

* الانطلاق الأوروبي نحو افريقيا ونهب خيراتها .
* الاستعداد للاجهاز على الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها .

---

(١) جذور الصهيونية – ضياء اويفور ترجمة ابراهيم الداقوقي ص ١٢٢ .

(٢) ولم تحرر هذه الثورة غير اليهود .

* شموخ الأنف اليهودي بعد مرحلة طويلة من الاضطهاد . .

في هذه المرحلة عقدت الصليبية مع اليهودية حلفا غير مقدس لغزو العالم الاسلامي . مقتضاه أن تسعى الصليبية لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، مقابل أن تصبح هذه الدولة قاعدة للصليبية العالمية في منطقة الشرق الأوسط .

الفصل الخامس

نابليون يصدر لليهود الوعد الأول

عندما تناول المؤرخون قضية تعاون اليهود مع نابليون في غزوه لمصر كمقدمة لاقامة دولة تابعة لفرنسا في المشرق تأخذ طريقها فيما بعد إلى استانبول عاصمة الخلافة آنذاك . . عندما تناولوا هذه القضية ، صّوروها على أنها تبادل مصالح بين فرنسا التي ستستفيد من أموال اليهود ، واليهود الذين وعدهم نابليون باقامة دولة لهم في فلسطين . . واذا كانت قضية المصالح والمنافع المتبادلة واردة . . فان عمق التأثير اليهودي في الثورة الفرنسية وما أنتجته هذه الثورة من قيادات ثورية من أمثال نابليون ، هو صاحب المقام الأول في هذه الصفقة المشبوهة !

ففي عام ١٧٩١م : أصدر قادة الثورة الفرنسية قوانيناً تنص على مساواة اليهود بالفرنسيين[١] .

وفي عام ١٧٩٨م : أصدر اليهود خطاباً ، اقترحوا فيه انشاء مجلس يهودي من كل يهود العالم ، يسعى لدى الحكومة الفرنسية من أجل ايجاد الملجأ والمطالبة باعادة الدولة اليهودية إلى شعبها التقليدي [٢] . وتعتبر هذه الرسالة دستوراً يهودياً

---

(١) B.Lazard , L'Antisemitisme , P . P . 199 , 202

كما ذكرت في كتاب موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية لحسّان علي حلاق ص ٤٢ .

(٢) ايلي ليفي أبو عسل : يقظة العالم اليهودي ص ١٠١ – ١٠٢ . كما ذكرت في كتاب موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية لحسّان علي حلاق ص ٤٣ . ويراجع هذا الخطاب كاملاً في كتاب الصهيونية والنازية – معين أحمد محمود ص ٧١ .

سبق مقررات حكماء صهيون .

وفي ٤ ابريل (نيسان) عام ١٧٩٩م : وجه نابليون نداءه المشهور لليهود جاء فيه : « ان العناية الالهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا . . هي التي جعلت من القدس مقري العام . . اني لا أطالب ورثة فلسطين الشرعيين باحتلال وطنهم فحسب . . بل أطالبهم بضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقين » (١) .

كان تصور اليهود لحدود دولتهم الكبرى واضحا منذ ذلك التاريخ ، فقد ذكر المؤرخ اليهودي ليفي أبو عسل في كتابه « يقظة العالم اليهودي » :

(بأن البلاد التي نطالب أن نحتلها ستضم – وهذا مرهون بتلك الاتفاقات التي تراها فرنسا مقبولة – مصر السفلى باضافة منطقة تكون حدودها خطاً يجري من عكا إلى البحر الميت ، ومن الطرف الجنوبي لهذه البحيرة حتى البحر الأحمر) (٢) .

ولكن جميع جهود نابليون في السيطرة على فلسطين ، فشلت ، فارتدّ عن أسوار عكا عام ١٧٩٩م وهو يردد " لو فتحت عكا ، لفتحت الشرق ... ".

وفي عام ١٨٦٠م تأسست في فرنسا حركة « الاتحاد الاسرائيلي العالمي » أو (الاليانس) ، ظاهرها لرفع المستوى المعنوي والثقافي لليهود وبخاصة في الشرق وشمالي افريقيا ، وحقيقتها حركة سياسية تمهد لقيام اسرائيل. وأبدت فرنسا عطفاً ظاهراً عليها . ودعمتها بقوة حتى استطاعت هذه الحركة شراء بعض الأراضي في فلسطين واقامة بعض المشروعات عليها ،

---

(١) القضية الفلسطينية في الواقع العربي – عودة بطرس عودة ص ٢٠٤ .

(٢) ص ١٠١ .

كما أنشأت أول مدرسة زراعية في فلسطين هي " مكفا اسرائيل ". التي لا تبعد عن مدينة يافا أكثر من أربعة كيلو مترات) [1] .

ومع فشل نابليون في الحصول على مملكة فرنسية تسيطر على الشرق وتؤمن له أبواب المجد . . فشلت كذلك أحلام حلفائه اليهود في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين . . ومع ذلك فقد سجّل التاريخ أن نابليون هو أول من أعطى وطن غيره لليهود ليقيموا على أنقاضه اسرائيل الكبرى التي حددوها من الفرات إلى النيل . .

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية – قسطنطين خمار ص ٢٣ .

الفصل السادس

بريطانيا تأخذ زمام المبادرة

ومن المنطلق نفسه ، منطلق التحالف (اليهودي – الصليبي) الذي يحقق مصلحة الطرفين ، انطلق اليهود لتحالف مع بريطانيا ، الدولة العظمى والامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس يومذاك . واذا كانت احلام السياسة الاستعمارية الفرنسية المشرقية قد تحطمت مع تحطم الاسطول الفرنسي في ميناء ابي قير المصري ، وانهارت أمام اسوار عكا وصمود شعبها . . فان سياسة الانكليز كانت أبعد نظراً وأحكم طوقاً من سياسة فرنسا عدوتها اللدود .

والحقيقة أن تحرك اليهود لم يكن ليقتصر على فرنسا نابليون ، أو على بريطانيا . . بل كان اليهود ، بتأثيرهم المالي ، وضغطهم السياسي ، والحقوق الجديدة التي اكتسبوها بعد الثورة الفرنسية . . يعملون على جميع الجبهات . .

وإذا كان جيلنا الحاضر يدرك ان اسرائيل الحالية قامت وتمكنت وأصبحت تهدد غيرها وتفرض منطقها وارهابها ، بواسطة الولايات المتحدة الامريكية التي منحتها أسباب القوة . وبواسطة الاتحاد السوفياتي الذي أمدها بالرجال الذين يقودون حالياً إرهابها ، اذا كان جيلنا يعرف هذا . . فلا بد له أن يعرف كذلك أن بريطانيا هي التي تعهدت البذور اليهودية في مرحلة الأحلام . . وطرحت حمايتها لليهود في العالم . واستخدمت وسائل الضغط والمكر والتآمر لصالح قيام اسرائيل . . ومن ثمّ أصدر وزير خارجيتها اللورد بلفور وعده المشؤوم الذي يقضي بمنح اليهود وطناً قومياً لهم في فلسطين على حساب سكانها العرب المسلمين . . وعملت بعد الحرب العالمية الاولى أن تكون فلسطين ضمن مناطق انتدابها حتى تُخرج آخر أدوار المسرحية اللئيمة . .

* لقد بسطت بريطانيا حمايتها على اليهود في المشرق . . وكان الشغل الشاغل

لقنصليتها في القدس تسهيل أمور اليهود وحماية هجرتهم والدفاع عنهم أمام الدول الخارجية وبخاصة الدولة العثمانية [١] .

* كما وضعت عدداً من قادتها لخدمة اليهود ، وفي مقدمة هؤلاء الكولونيل روز والكولونيل تشارلز هنري تشرشل . . ولقد قدّم الأخير مذكرة إلى المجلس اليهودي في بريطانيا ورئيسه مونتفيوري يطالبه بالسعي لانشاء دولة يهودية ، ويقترح فيها أن يتولى المجلس اليهودي القيام بمهمة الاتصال بيهود أوربا بهدف تكتيلهم حول فكرة " قيام اسرائيل " [٢] .

* جميع المؤسسات التي أقامتها بريطانيا بعد عام ١٨٤٠م في منطقة بلاد الشام مثل البعثات الطبية والثقافية والدينية ، والمستشفيات والعيادات والمدارس والكنائس وغيرها كانت تخدم الهدف البريطاني باقامة اسرائيل على انقاض فلسطين [٣] .

* استطاع مونتفيوري رئيس المجلس اليهودي في بريطانيا وبتحريض من الحكومة البريطانية أن يمول شراء بعض الأراضي قرب مدينة يافا عام ١٨٥٥م . . لتكون مقراً للمهاجرين الذين بدأوا يفدون إلى فلسطين [٤] .

* تدخلت بريطانيا عسكرياً في سوريا عام ١٨٤٠م للضغط على الحكم المصري [٥] . . بعد أن عجزت عن اقامة تفاهم يهودي معه ، وهنا لا بد من دحض

---

(١) اسرائيل الكبرى – اسعد رزوق ص ٦١ .

(٢) القضية الفلسطينية في الواقع العربي – عودة بطرس عودة ص ٤٨ .

(٣) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها – عزه دروزة ١٤:١ .

(٤) فلسطين – جفري بطرس غالي ص٢٥

(٥) دراسات في تاريخ مصر الحديث – عمر عبد العزيز ص ١٦٤ .

قرية حاول المغرضون الصاقها بمحمد علي باشا ، فقد ذكروا أنه تفاهم مع اليهود على اقامة دولتهم في فلسطين . . ولكن الثابت أن محمد علي وابنه ابراهيم باشا رفضا مطلقاً العروض اليهودية والوساطات الدولية بما فيها وساطة وزير خارجية بريطاني (بامستون) بالسماح لليهود أن يهاجروا أو يقيموا في فلسطين ، ولقد أكد ذلك مونتفيوري نفسه في مذكراته حيث يقول : عبثا حاولت أن أقنع ابراهيم باشا وأباه محمد علي أن يؤجراني أرضاً مساحتها خمسون فداناً (!) ومئتي قرية من قرى فلسطين لخمسين عاماً [1] ولهذا السبب فقد اتفقت كل من بريطانيا وروسيا على انهاء حكم محمد علي في سوريا وفي مصر كذلك .

* بل أن وزير الخارجية البريطاني (بامستون) وعن طريق سفيره في الآستانه طلب تذكير الباب العالي بأنه سيكون مفيداً جداً للسلطان اذا ما أغرى اليهود المبعثرين بالذهاب والتوطن في فلسطين . . بل واكثر من ذلك فقد طالبت بريطانيا الدولة العثمانية في عام ١٨٤٥ بطرد سكان فلسطين المسلمين واسكان اليهود مكانهم [2] .

* وعلى الرغم من الفوائد الكبرى التي حققتها السياسة الاستعمارية البريطانية من تعاونها مع اليهود مثل استفادتها من البيوتات المالية اليهودية وبخاصة عندما اشترت أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ بأموال اليهود ، وكاستخدامها لليهود كعملاء لها وكأداة لتنفيذ سياستها في المنطقة . . غير أن الفائدة الأهم البعيدة المدى كانت إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بحيث تصبح هذه الدولة مع الزمن جيبا خطيراً يهدد المنطقة ، ومنطقة نفوذ صليبي غربي بريطاني .

---

(١) يقظة العالم اليهودي – ليفي أبو عسل ص ١٥٠ . وعارف العارف في كتاب تاريخ القدس ص ١١٦.

(٢) ملف وثائق فلسطين ص ٥١ .

* ونستطيع القول بأن الحركة اليهودية في فلسطين قد سجلت هدفاً هاماً وبدأت مرحلة جديدة خطيرة بعد استيلاء انكلترا على مصر عام ١٨٨٢م ، ولا بأس ان نسجل هنا كذلك أن هذا الهدف الذي كان ظاهره تأمين خطوط المواصلات إلى الهند كمصلحة بريطانية بحته إلا أن باطنه كان عبارة عن مؤامرة دولية تخدم الغرب الصليبي مجتمعاً واليهودية العالمية معه . .

لقد كان الدور البريطاني الخسيس والحاقد . . هو الدور الأساسي في مأساة شعبنا المسلم في فلسطين . .

الفصل السابع

بين اليهودية والصهيونية

وقبل أن نستطرد في سرد الوقائع السياسية التي انتهت بقيام اسرائيل وشرح أبعاد المؤامرة العالمية التي استهدفت فلسطين كجزء من ديار المسلمين . . لا بد لنا من إلقاء نظرة على هؤلاء اليهود . . الذين تسللوا من مختلف بقاع الأرض يحدوهم الأمل بأقامة دولة اسرائيل واعادة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى . . ليحكموا من هناك العالم بأسره . . باعتبارهم شعب الله المختار الذي خلقهم لنفسه . . أما بقية الأجناس والأديان فرجس من عمل الشيطان خلقهم الله ليخدموا بني اسرائيل . . إكراماً لهم .

فالإله في تلمودهم :

(هو الذي قسم النهار إلى اثنتي عشرة ساعة ، يلعب في الساعات الثلاث الأخيرة مع اللافياتن ملك الاسماك . ولكنه بعد تدمير الهيكل لم يعد لله جلد على اللعب والرقص . وهو لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب هذه الخطيئة الثقيلة . . . ويقول : الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يحرق وأولادي يشتتون . ان الله قدوس ليس في أفعاله الحرة طيش ، ولكن عندما يستشيط غيظاً يفعل أفعالاً لا قيمة لها ولا وزن . إن الله القدوس هو علة جميع الشرور التي تُقترف على الأرض لأنه هو الذي خلق طبيعة الانسان السافلة ، وهو الذي يقود الانسان إلى الخطيئة بقدره) (١) .

واليهودي جزء من الله :

(إن نفوس اليهود مُنعمٌ عليها بأن تكون جزءاً من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما

---

(١) همجية التعاليم الصهيونية – بولس حنا مسعد ص ٣٤ .

ينبثق الولد من جوهر أبيه . أما سائر الشعوب الأخرى فتشتق نفوسهم من الشيطان وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد)[1] .

والجنة لليهود خالصة :

(أما جهنم ففيها بقية المخلوقات وفي مقدمتهم اتباع المسيح بن مريم ، ويأتي بعد النصارى المسلمون . . كل هؤلاء يحشرون في جهنم حشراً ولا يغادرونها أبدا . .) .

والمسيح هو اسرائيل :

(وهم ينتظرونه بفارغ صبرهم . وقبل المكوث المسيحي ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الأطفال فتزهق ثلثي العالم . في ذلك الوقت يعتنق الجميع الايمان اليهودي الا أن المسيحيين لا شركة لهم في هذه النعمة بل أنهم يُستأصلون من وجه الأرض لأنهم متحدرون من الشيطان . وعندئذ تشبع رغائب اليهود ، لأن المسيح الذي ينتظرونه ويستعدون للقائه هو اسرائيل نفسه . .)[2] .

والشعوب في نظرهم :

(كلاب ، فالاعياد المقدسة وضعت لاسرائيل وليس للأغراب والكلاب . بل ليسوا كلابا فقط بل حميراً أيضاً . أن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات ، وهم لا يختلفون في شيء من الخنزير البري . والمرأة غير المنحدرة من أبناء اسرائيل هي بهيمة أيضاً ولم يخلق الله غير اليهود بالصورة البشرية إلا اكراماً لليهود وليقوموا بخدمتهم ليلاً ونهاراً بدون ملل . فالله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم .

يمكنك أن تسرق أو تغش الغريب وتديّنه بالربا الفاحش ولكن لا يجوز لك فعل ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .

مع قريبك اليهودي . محرم عليك أن تأخذك الشفقة على وثني (غير اليهود) بل عندما تراه قد تدهور في نهر أو زلت قدمه فكاد يموت أجهز عليه ولا تخلصه . .) [1] .

ولليهودي أن يتمتع بالمرأة غير اليهودية :

(وليس عليه في ذلك اثم . ان من يحلم انه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه أن يصير حكيما . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع خطيبته له أمل كبير في الحصول على صداقة الشريعة . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير بإنارة نفسه . ومن يحلم انه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يحصل على السعادة الخالدة . ان البنت التي لها من العمر ثلاث سنوات ويوم واحد تكون خطبتها بالمضاجعة . واليهودي اذا زنى بامرأة غير يهودية أو هتك عرض فتاة أجنبية فإنه ينال ثوابا عند الله) [2]

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون :

لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم جميع آرائهم في إفساد عقائد الناس وعقولهم وأخلاقهم ، كما تبنوا أفكار شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة الدينية وتحطيم مبادىء الأخلاق .

- تبنوا فرويد الذي فسرّ السلوك الانساني بالجنس .
- وكارل ماركس الذي ألغى الأديان واستبدل بالإله المسرح .
- ونيتشه الذي ألغى الأخلاق .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

– ودارون الذي أرجع الانسان إلى سلالة القرود [1] .

* **جاء في البروتوكول التاسع** : وقد تمكنّا من تضليل غير اليهود ، وافسادهم ، وحملهم على مبادىء باطلة هي من إيماننا .

* **وجاء في البروتوكول الثالث عشر** :ولكي نبعد الجماهير من الأمم عن أن تكتشف بأنفسها أي خط جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي كالفن والملاهي والرياضة . إن فرويد منّا وسيعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس . علينا أن نكسب المرأة . إن النضال ضد الأديان لن يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة [2] .

هذه هي الصهيونية :

أو اليهودية لا فرق . . التي خشيت على حاضرها ومستقبلها من شهادة ماضيهاالمثقل بالآثام . فتنكرت تحت اسم مستعار لتمضي في سيرها قدما على سنن اجيالها الحمراء [3] .

ان أرض الميعاد التي قطع الرب عهداً باعطائها لابراهيم ونسله ، انما هي مصر وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وسوريا ولبنان وتركيا ، أما شعوب هذه الأرض فيجب على شعب الله المختار أن يفنيها بحد السيف بدون شفقة ولا رحمة وأن يمحو اسم ملوكها من تحت الشمس وان لا يستبقى منها نسمة حية .

---

(١) الاسلام والقضية الفلسطينية – عبد الله ناصح علوان ص ٤٢ .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة التونسي .

(٣) مؤامرة اليهود على المسيحية – اميل الخوري ص ١٧ .

ولكنه يفعل ذلك رويداً رويداً بحيث لا تكثر وحوش البرية عليه . وهم إنما يفعلون ذلك بمقتضى الشريعة التي يؤمنون بها . . هذه هي أفكارهم وهذه هي مخططاتهم . . . وهم يعملون على تنفيذها مستخدمين كافة الوسائل متدرجين في اعمالهم وخططهم حسب مقتضيات الظروف .

هذا داخل أرض الميعاد . . أما خارجها فمصير جميع الأمم التسخير والاستعباد اذا رضيت بذلك واذا تمردت فالابادة والفناء بدون شفقه أو رحمة .

هذه هي عقائد هذا الشعب الذي ابتلي به شعبنا المسلم . . فما هي الخطط والأعمال التي يتبعها للوصول إلى أهدافه . . . ؟

الفصل الثامن

الدولة اليهودية في كتاب هرتزل

لم يتوقف اليهود عن خططهم في الاستيلاء على فلسطين واقامة دولتهم على انقاض شعبها منذ القديم ، ولقد كانت دعوتهم تهدأ أو تتصاعد حسب الظروف السياسية والأوضاع الدولية . . وكثيراً ما عملوا على تغيير الظروف أو تآمروا ضد هذه الدولة أو تلك أو عقدوا الأحلاف والمعاهدات أو بذلوا التأييد والمال . . يحدوهم هدف واحد هو إقامة دولة اسرائيل . .

ودولة اسرائيل في نظرهم كبيرة وممتدة . . وما دولتهم الحالية إلا رأس جسر يثبتون فيه أنفسهم ليمتدوا بعد ذلك نحو أرضهم التي حددتها لهم التوراة من دجلة إلى النيل . .

* (فقد وجدت فى خزانة روتشيلد خارطة كتب عليها مملكة اسرائيل . وتضم هذه الخريطة فلسطين والاردن وسوريا ولبنان ووسط العراق وجنوبه وصحراء سيناء ودلتا النيل والمدينة المنورة والأراضى الواقعة فى شمالها بين بنى قريظة وبنى النضير وخيبر . .)[(١)] .

* وفي خطاب بن غوريون الذي القاه في ١٩ أيار (مايو) ١٩٤٤م ذكر : أن خريطة فلسطين الحالية ، انما هي خريطة الانتداب . . وللشعب اليهودي خريطة أخرى ، يجب على شباب اليهود أن يحققوها ، هي خريطة التوراة التي جاء فيها

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية – قسطنطين خمار ص ٢٧ . وهي نفس الخريطة التي وضعوها مؤخراً على الشيكل (العملة الاسرائيلية) .

"وهبتك يا اسرائيل ما بين دجلة والنيل"[1] .

وللوصول إلى هدفهم تآمروا على الدولة القيصرية في روسيا . . فالحكومة القيصرية كانت تقاوم بشدة إقامة دولة يهودية في فلسطين حتى لا يدنسوا الأرض المقدسة . . والحزب الشيوعي الذي حكم روسيا فيما بعد كان من تأليف واخراج وتمثيل اليهود . وللوصول إلى هذا الهدف كذلك تحالفوا مع فرنسا ثم مع بريطانيا وأخيراً مع أمريكا . . كما شجعوا الحروب العالمية . . وتآمروا على الدولة العثمانية . . حتى أينعت ثمرتهم وحان قطافها بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م .

ومن المحاولات التي بذلوها من أجل إقامة دولتهم

١- (محاولة البارون دي هيرش الالماني (١٨١٢ - ١٨٧٥م) الذي أسس (جمعية الاستعمار اليهودي) في لندن وأخذ يهتم بتهجير اليهود إلى الارجنتين ، وقد ألّف كتاباً أسماه (روما - اورشليم) داعياً إلى تحرير اورشليم كما تحررت روما ، مثيراً بذلك عاطفة الجماهير اليهودية للهجرة الى فلسطين ، ومبينا ان تركيا والبلاد العربية أصبحت في وضع يجعل تحقيق فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين من اليسر بمكان ، وأكد في كتابه ضرورة احياء التراث القومي اليهودي . .

٢- محاولة ليون بنسكر Pinsker وكان رئيساً لاحدى حلقات محبيّ صهيون. ويعتبر أول داع إلى اقامة وطن قومى لليهود، وقد نشر عام ١٨٨٢م كتابه التحرر الذاتي في برلين ويدور الكتاب حول ضرورة إيجاد وطن قومي لليهود.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨

٣- محاولة تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) . وكان أول من بدأ الحركة الصهيونية كحركة سياسية حين قام عام ١٨٩٤م بنشر كتابه (الدولة اليهودية) وهو بالأصل رسالة موجهة إلى اد موند روتشيلد وعموم أفراد هذه الاسرة اليهودية الثرية ملتمساً منهم انقاذ الشعب اليهودي . ويعتبر كتابه هذا حجر الزاوية في تحقيق الحلم اليهودي . عمل هرتزل على عقد مؤتمر بال في سويسرا في آب (اغسطس) عام ١٨٩٧. ومما جاء في كلمته في افتتاح المؤتمر : " اننا هنا لنضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف يؤوي الأمة اليهودية " واقترح برنامجا من ثلاث نقاط هي :

* تشجيع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين .
* السعي للحصول على اعتراف دولي بشرعية التوطن في فلسطين .
* كسب جميع يهود العالم إلى صف الفكرة الصهيونية .

ولقد حضر هذا المؤتمر ١٩٧ مندوباً من مختلف الاقطار الأوربية والأمريكية وفلسطين نفسها . وفيه وضعت فكرة انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ومن ثم انشاء المنظمة الصهيونية العالمية . ومن أهم قرارات المؤتمر :

* الدأب لخلق الشعور بالقومية اليهودية بكافة الوسائل .
* تهجير اليهود إلى فلسطين .
* السعي لدى الدول للاعتراف بالحركة الصهيونية .
* وجوب الاستعمار الزراعي في فلسطين ، والسعي لامتلاك الأراضي .

وفي ختام المؤتمر كتب هرتزل في مذكراته ما يلي :

(لو أردت أن أختصر بال في كلمة واحدة لقلت : في بال أسست الدولة الصهيونية ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد ، سيرى هذه الدولة جميع الناس) [(١)]

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣ .

الفصل التاسع

تيودور هرتزل

الحديث عن الدولة اليهودية التي وضع أُسسها الحديثة وسعى لها سعيها تيودور هرتزل ، يقتضينا أن نلقي بعض الضوء على هذه الشخصية التي تمثل النموذج الأكمل لليهودي الطموح . .

ولد تيودور هرتزل في ٢ مايو ١٨٦٠م في مدينة بودابست عاصمة هنغاريا على نهر الدانوب لأبوين يهوديين . كان أبوه موظف بنك هنغاري. أماهو فقد كان تحت تأثير عاملين ، **الأول** : المحافظة على التقاليد اليهودية ، **والثاني** : التأثر بالثقافة الألمانية العصرية .

ولقد دفعته حماسته للثقافة الألمانية للهجرة مع أسرته إلى النمسا عام ١٨٧٨م وهناك درس القانون في كلية الحقوق في فيينا .

تأثر هرتزل بالعداء الأوروبي الشديد لليهود . . فأوروبا كانت على منهج البابا غريغوري الثالث عشر (١٥٨١م) الذي ذكر " ان خطيئة الشعب الذي رفض المسيح وصَلَبَه تزداد جيلاً بعد جيل ، وتحكم على كل واحد من أفراده بالعبودية الدائمة " . . خاصة وأن فيينا كانت أحد المراكز المتعصبة بشدة ضد اليهود .

عام ١٨٩١م ذهب إلى باريس ليعمل مراسلاً « للصحافة الجديدة الحرة » وهي صحيفة تعمل في اظهار النمسا للعالم وتنشر ما ساهم به اليهود في الثقافة الألمانية .

ومن خلال المعارك الفكرية التي خاضها هرتزل لنصرة بني قومه . . وجد القضية أعقد من ذلك وأشمل . . وحتى تلك القوانين التي بدأت تظهر في بعض البلدان لانصاف اليهود واعطائهم بعض الحقوق . . كانت بتأثير القروض اليهودية أكثر مما كانت بتأثير حقوق الانسان . . ومن هنا لاحت لهرتزل فكرة ادماج اليهود التام في العالم غير

اليهودي واعتناق دينه . . واعتبر ذلك الحل الوحيد لتجنيب اليهود الاضطهاد والاذلال .

وسرعان ما تراجع هرتزل عن تفكيره هذا ، وأدرك أن اليهود يرفضون مثل هذا الحل . . والمسيحيون أنفسهم يرفضون مثل هذا الادماج . قضية خيانة دريفوس الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي الذي خان بلاده وباع أسرارها للسفارة الألمانية في باريس ومحاكمته وتجريده من رتبته العسكرية . . وتحوّل هذه القضية . . من قضية خائن يستحق العقاب . . إلى قضية اليهود وصلاتهم بالبلدان التي يعيشون فيها . . هذه القضية أثّرت في نفسية هرتزل وأصبح دريفوس في نظره رمزاً لليهودي الذي يحاكم في مجتمع أجنبي ، واشتغل بهذه القضية ما تبقى من حياته .

في شهر مايو من عام ١٨٨٥م اتصل هرتزل برجل المال المليونير اليهودي البارون موريتز دي هيرش الذي كان أسس جمعية الاستعمار اليهودي برأس مال قدره مليونا جنيه استرليني لتوطين اليهود الروس في الأرجنتين . . حاول هرتزل أن يقنع دي هيرش بالحاجة إلى حركة سياسية لا إلى مساعدات خيرية . حركة تشجع اليهود على الرحيل إلى أرض الميعاد في فلسطين .

في عيد الحصاد اليهودي (آخر يومين من مايو) بدأ مفكرة سرية عنوانها (القضية اليهودية) ودوّن فيها أشياء تكوّنت منها مسودة كتاب «دولة اليهود» ، والكتاب عبارة عن دعوة لاسترجاع الدولة اليهودية . . وكي يقنع آل روتشيلد أراد أن يبرهن لهم أن ثروتهم الضخمة لن تكون في مأمن دون دولة يهودية ذات سيادة . . وعندما سأل هرتزل نفسه . . وماذا نفعل بالسكان الأصليين . . وجد نفسه يقول بعقلية اليهودي الذي لا يعبؤ بالآخرين : بل نطردهم وراء الحدود !

هرتزل والسلطان عبد الحميد :

كان من الطبيعي أن يتجه هرتزل بأنظاره نحو استانبول عاصمة الخلافة العثمانية . .

فهناك يقبع السلطان عبد الحميد . . الذي يمرّ بأزمات متلاحقة . . وهناك سيضع أموال اليهود تحت قدميه ، وسيعرض عليه أن تكون جميع امكانات اليهود في العالم تحت تصرفه مقابل أن يسمح بهجرة اليهود إلى فلسطين . . ولكن الأمور سارت في استانبول على عكس ما يشتهي . . فلم يستطع مقابلة السلطان ونقل اليه صديقه نفلنسكي رد السلطان الذي جاء فيه :

« على الهر هرتزل أن لا يتقدم خطوة واحدة أخرى في هذا الشأن . لا أستطيع أن أبيع بوصة واحدة من البلد لأنه ليس ملكي بل ملك شعبي . لقد أوجد هذه الامبراطورية وغذاها بدمه ، وسنغطيها مرة أخرى بدمنا قبل أن نسمح بتمزيقها . ان الشعب العثماني هو مالك هذه الامبراطورية لا أنا . لا أستطيع التخلي عن أي جزء منها . يستطيع اليهود أن يوفروا ملايينهم حين تقسم الامبراطورية قد يأخذون فلسطين مقابل لا شيء . لكن لن تقسم الاّ على جثثنا لأنني لن أسمح أبدا بتشريحنا ونحن أحياء » .

لا يسمح المقام هنا أن نعلق على هذه الرسالة التي ينبغي أن تكتب بماء الذهب ، ويتعلمها الأبناء فيعرفون معنى الأوطان . . ويتعلمها الساسة فيعرفون كيف يحافظون على الأمانة والعهود . .

وفهم هرتزل من هذه الرسالة شيئاً واحدا . . فاتخذ قراره من فوره وهو : إن السيطرة على فلسطين لا تتم إلا عن طريق انهيار الامبراطورية العثمانية وتقطيع أوصالها . . وبدأ من فوره يعدّ العدة ويجري الاتصالات ويتخذ الأسباب التي توصله إلى هذه النتيجة .

كان هرتزل رجل دولة مقتدرا ، ولم يكن يعرف اليأس . . فكلما فشل في خطة اعتمد خطة جديدة وسار فيها بنفس الشجاعة والتفاؤل الذي ساره في غيرها . .

كان يتصل بالانكليز لتحقيق مطامحه . . ولكن العلاقات المستجدة على الساحة الأوربية بين الدولة الألمانية الناشئة و الدولة العثمانية لفتت نظره ، فعرض على القيصر

بأن تتولى ألمانيا حماية اليهود واقناع السلطان بحقوقهم المشروعة في اقامة دولة لهم في فلسطين ، مقابل أن يكون اليهود حلفاء دائمين للدولة الألمانية . . وذكر هرتزل « ان حركتنا موجودة ، واني أتوقع أن تؤيدها احدى الدول الكبرى . فكرت أولاً في انكلترا وذلك أمر طبيعي ، ولكنني أكون أكثر سرورا لو كانت المانيا . . » فشل هرتزل بأن يحصل على وساطة القيصر لدى الباب العالي أثناء زيارته لاستانبول . . ولكن معنوياته ارتفعت عندما وافق القيصر على مقابلته في فلسطين على رأس وفد صهيوني رسمي .

أمضى هرتزل في فلسطين تسعة أيام فقط من ٢٦ اكتوبر إلى ٤ نوفمبر ١٨٩٨م ، زار خلالها " ميكفا اسرائيل " أول مدرسة زراعية أنشئت بأموال روتشيلد ، ومستعمرة « ريشون زيون » فقد كان في فلسطين ثماني عشرة مستعمرة زراعية يسكنها نحو ٤٥٠٠ يهودي . . وعندما وصل إلى القدس كتب في مفكرته « ان القدس تحتاج لاعادة بنائها وتنظيمها عندما تصبح يوماً لنا » .

قطع هرتزل هذه المسافة ليقابل القيصر في مهمة رسمية « لقد أصبحت الصهيونية قوة بعد نشر كتاب " دولة اليهود " .

وفي خيمة القيصر في مدينة القدس بتاريخ ٢ نوفمبر ١٨٩٨ جرى حديث قصير بين القيصر وهرتزل . . قال فيه القيصر : « ان المستوطنات التي رأيتها ، والألمانية منها لا تقل عن اليهودية ، تصلح مثلا لما يمكن عمله في الأرض ، هناك متسع للجميع . . . » .
واذا كان مثل هذا الاعتراف الألماني يرضي هرتزل . . فقد اكتفى به من قيصر المانيا ، وبدأ يبحث في الوقت نفسه عن راع أكثر صراحة أو أقل ترددا .

كانت الدول الاستعمارية تبحث كل منها عن عملاء لها في المنطقة . . واذا كانت روسيا قد تحالفت مع الارثوذكس ، وفرنسا مع الموارنة ، فان انكلترا كانت تبحث عن حليف آخر محلي . . من هذا المنطلق تحرك هرتزل نحو بريطانيا عارضاً أن يكون

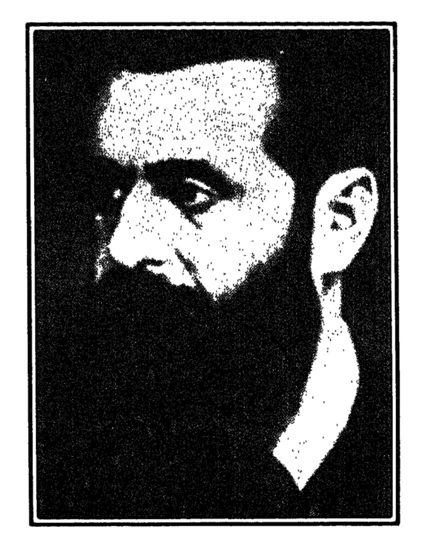
اليهود حلفاءها مقابل الحصول على فلسطين في المدى البعيد ، والحصول على قبرص والعريش وشبه جزيرة سيناء على المدى القريب لتكون رأس جسر للتحرك اليهودي نحو فلسطين في المستقبل .

وبعد أن نال وعدا من تشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني على اقامة مستعمرة يهودية في سيناء . . سافر إلى مصر ليتولى اقناع كرومر بالأمر ولوضع الصيغ التفصيلية لقيام هذه المستعمرة . .

يقول هرتزل في مذكراته : « حيث إن مسألة سيناء مؤكدة إلى حد أنني لم أشتر قبرا للأسرة في مقبرة دوبلنسجر حيث يدفن والدي مؤقتاً ، والآن اعتبرت الأمر منتهياً ، وذهبت إلى محكمة المقاطعة فحصلت على القبر رقم ٢٨ » .

رجع هرتزل من مصر بانطباع سيء عن كرومر . . ولكنه وجد في لندن خبرا سارا . . فقد أخبره تشمبرلين وزير المستعمرات بأنه وجد له بلداً آخر هو يوغندا بامكان اليهود أن يهاجروا اليه . . وقبل هرتزل فقد كان يود التشبث بأي شيء كمنطلق إلى فلسطين .

بعد رحلات لا تحصى بالسفينة والقطار توقف قلب هرتزل المرهق في ٣ يوليو ١٩٠٤م ودفن في مقبرة دوبلنسجر إلى جانب والده على أن تكون اقامة رفاته في أرض النمسا مؤقتة إلى أن ينقلها الشعب اليهودي إلى فلسطين . كان انسانا يهوديا بكل معنى الكلمة . . خطط وعمل واستغل جميع الامكانات . . لم يكن يعبأ بموثق أو ارتباط . . استعمل اللاسامية حشوة تفجير تبقي محرك الصهيونية سائراً حتى يستقر المحرك في فلسطين .



■ تيودور هرتزل : في أول مؤتمر للصهيونية (بال ١٨٩٨م) خطط لقيام إسرائيل بعد خمسين سنة ■

الفصل العاشر

السلطان عبد الحميد

وإذا كان تيودور هرتزل يمثل علامة بارزة في مسيرة النضال اليهودي للوصول إلى أهداف اليهود الباطلة في اقامة اسرائيل على أنقاض أرض فلسطين وشعبها المسلم . . فان السلطان " عبد الحميد خان " يمثل في تاريخ فلسطين علامة بارزة أخرى ، عمل بكل قوته ليحول دون وصول اليهود إلى هدفهم . . وفي السنوات الأخيرة فقط بدأت بعض الدراسات المنصفة تكشف النقاب عن هذا الدور المشرف لهذا الخليفة المسلم . . في حين استمر الكتّاب فترة طويلة من الزمن يدورون في حلقة الاتهام الباطلة التي أثارها اليهود أساسا وعملاؤهم ضد شجاعة وسمو هذا الانسان العظيم .

وعبر التاريخ الوسيط والحديث أضطهدت أوروبا اليهود ، فلم يجدوا لهم ملجأ آمنا الاّ في ظل المسلمين والحكومات الاسلامية سواء في اسبانيا أو في ظل الدولة العثمانية . . وعندما سقطت الأندلس على أيدي الصليبيين . . بدأ اليهود يهربون منها ويلجأون إلى الدولة العثمانية التي فتحت لهم الأبواب على الرحب والسعة .

ولقد أصدر السلطان بايزيد الثاني مرسوما يقضي بحسن معاملتهم في أنحاء الدولة وسمح لهم بجميع الأعمال التجارية والاقتصادية والمصرفية [1] . وكان المسلمون ينطلقون في ذلك من التسامح الاسلامي مع أهل الكتاب . ﴿ لا يَنهاكُم اللهُ عَنِ الذينَ لَم يُقاتِلوكُم ، ولَم يُخرِجوكُم مِن دِيارِكُم ، أن تَبَرّوهُم وتُقسِطوا إِلَيهِم . . ﴾ [2] .

---

(١) الادارة العثمانية في ولاية سورية – عبد العزيز عوض ص ٣٠٧ .

(٢) N . Mandil , Op . Cit. , P. 80

ولكن الدولة العثمانية عندما أحس قادتها بأن اليهود يتآمرون ويعملون على اقامة وطن قومي لهم على أرض اسلامية . . . تغيرت معاملتهم :

* ففي عام ١٨٧٦م عندما فاوض حاييم غورديلا الصهيوني الحكومة العثمانية على شراء مساحات من أرض فلسطين لاقامة مستعمرات زراعية لليهود عليها رفض السلطان العثماني هذه الاقتراحات وحاربها (١) .

* وفي عام ١٨٨٢م تقدمت جمعية أحباء صهيون من القنصل العثماني فيأوروبا للحصول على اذن بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها ولكن الحكومة العثمانية أوعزت إلى قنصلها في نيسان (ابريل) ١٨٨٢م برفض هذا الطلب واشعار جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة العثمانية بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين (٢) .

* في الفترة ١٨٧٦ – ١٨٨٨م جاء إلى فلسطين رؤوف باشا الذي عينته الدولة متصرفاً على القدس فأخذ يرسل بين الحين والحين قواته للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية لطردهم واخراجهم من البلاد (٣) .

* وفي ٢٩ حزيران (يونيو) عام ١٨٨٢م أرسل الباب العالي إلى متصرف القدس رسالة يطلب فيها أن يمنع اليهود الذين يحملون الجنسيات الروسية والرومانية والبلغارية من الدخول إلى القدس (٤) .

---

(١) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص ٨٤ .

(٢) N . Mandil , Op . Cit. , P. 8

(٣) E. Golomb , P. 11 , 13 .

(٤) N.Mandil, Op , P. 80.

* وفي عام ١٨٨٨م أصدر الباب العالي قوانين جديدة نصّت على ضرورة أن يحمل الأجانب الذين يرغبون في زيارة فلسطين جوازات سفر توضح عقيدة حامليها حتى لا يتسرب اليهود باسم رعايا البلاد الأخرى. كما رفضت السلطات العثمانية في ميناء يافا السماح بدخول اليهود الذين لا يحملون سمات دخول . كما أوعزت إلى قناصلها في مختلف البلدان بعدم التأشير على جوازات سفر اليهود الاّ بداعي الزيارةالدينية ولمدة محدودة [١].

* أما ذروة المعارضة العثمانية للاستيطان اليهودي في فلسطين فقد دوّنه هرتزل في مذكراته والتي تمثلت بقول السلطان عبد الحميد « لا أقدر أن أبيع ولو بوصة واحدة من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي . لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية باراقة دمائهم ، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا . لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفي فلسطين . وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في (بلفنه)[٢] لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال . الامبراطورية العثمانية ليست لي وانما للشعب التركي [٣] . لا أستطيع أبداً أن أعطي أي جزء منها . ليحتفظ اليهود ببلايينهم فاذا قسّمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل ، انما لن تقسّم الاّ على جثتنا ولن أقبل بتشريحنا قبل موتنا لأي غرض كان[٤] .

ويذكر السلطان المسلم في مذكراته[٥] فيقول : « ولماذا نترك القدس . . انها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض اسلامية لا بد أن تظل القدس لنا» .

ولا يملك الانسان المسلم في أنحاء العالم وهو يقرأ رد السلطان عبد الحميد على

---

(١) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص ٩٦

(٢) اسم معركة دارت بين العثمانيين والروس في منطقة البلقان .

(٣) السلطان عبد الحميد لا يقول امبراطورية تركية وشعب تركي فهذه الكلمات من وحي هرتزل .

(٤) يوميات هرتزل ص ٣٥ . (٥) ص ١١ .

ألاعيب اليهود الاّ أن يستشعر عظمة هذا السلطان . . واستعلاءه . . وتمسكه بالحق وبالمبادىء حتى لو كلفه حياته وملكه . .

كيف نستطيع أن نقارن هذا الموقف الكريم الشامخ ، مع مواقف بعض الذين تولّوا مسؤولية فلسطين ، بل مع مواقف بعض المنظمات الفلسطينية وقد ادّعت تمثيل القضية ، هل يمكن مقارنة هذا الموقف العظيم مع الاتفاقات والمؤمرات والمعاهدات التي وقعها حكام المنطقة مع اسرائيل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . . ؟ !

ولا يظن القارىء أن السلطان عبد الحميد الذي اشتهر بحنكته وذكائه كان يجهل عاقبة هذا الموقف . . بل لقد اطلع بدقة على المقررات الضمنية لمؤتمر بال الذي عُقد في بال بسويسرا خلال الفترة الممتدة من ٢٩ آب (أغسطس) إلى أول أيلول (سبتمبر) عام ١٨٩٧م والتي من أهمها القرار التالي :

« في حال استمرار رفض السلطان عبد الحميد للمطالب الصهيونية فان تحطيم الامبراطورية التركية شرط أساسي لاقامة حكومة صهيونية في فلسطين [١] » .

وفي الرسالة التي بعث بها السلطان إلى الشيخ محمود أبو الشامات عام ١٩١١م يذكر فيها أن سبب خلعه من السلطة هو اصرار اليهود عليه بأن يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة . . فرفض وذكر لهم انهم لو دفعوا له ملء الأرض ذهباً فلن يرضى بذلك [٢] .

بل أكثر من ذلك . . فعندما علم السلطان أن قرارات الدولة بخصوص فلسطين لا تطبّق بالجدية الكاملة نتيجة الرشاوي . . اضطر إلى ارسال بعض أعضاء امانة السر الخاصة به في قصر يلدز لتولي حكم متصرفية القدس . وكان أول من وصل إلى القدس

---

(١) الاسلام وبنو اسرائيل – جواد رفعت اتلخان ص ١٥٢ .

(٢) التيار الاسلامي في فلسطين – محسن محمد صالح ص ٥٦ .

من هؤلاء توفيق بك الذي كان أميناً وصارماً في تطبيق نصوص القانون [١] .

وبلغ من تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين أنها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول إلى فلسطين ما لم يقم بالتعهد المطلوب باعتباره يهوديا [٢] . وقد أدى هذا الموقف الحازم إلى توتر علاقات الدولة العثمانية مع بريطانيا [٣] ومع الولايات المتحدة [٤] وغيرها من الدول الأوربية في ذلك الوقت . .

ولقد سجّل هرتزل موقف السلطان هذا بحزن شديد فقال : (لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر ، بالرغم من أنها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي . . ويضيف هرتزل مصوراً وضعه مع السلطان بأنه هناك جمالاً مأساوياً ضمن هذه القدرية التي تنبىء بالموت ، وفي حين يناضل المرء للنفس الأخير ، يقاوم مقاومة سلبية [٥] .

ان الانسان ليعجب كيف استطاع هرتزل عدو السلطان الأول الذي نذر ما تبقى من حياته لاسقاطه وتهديم دولته أن يصف السلطان بالحقيقة والفخر ، في الوقت الذي نذر فيه الكثيرون من حكامنا وكتّابنا للنيل من السلطان عبد الحميد . . والصاق كل نقيصة أو تهمة خسيسة في شخصه . . أليس هذا موقفاً مريباً ؟ !

اننا نستطيع – وبكل اطمئنان أن نقول إن الحركة اليهودية بأشكالها المختلفة

---

(١) N . Mandil , P. 90

(٢) Dickson to Bunsen

(٣) A.Hyamson , Vol . II , P . 525

(٤) بين أمريكا وفلسطين – فرانك مانويل ص ٣٦ .

(٥) الصهيونية واسرائيل وآسيا – ج. جانسن ص ٧٦ .

الصهيونية والماسونية كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وراءالصيحات التي انطلقت تعارض حكم السلطان عبد الحميد سواء من الأتراك في استانبول أو من القوميات الأخرى في العواصم المتباعدة (١) .

لقد لعبت المحافل الماسونية مع يهود الدونمة دوراً مؤثراً في التخطيط لخلع السلطان . كانت بمثابة العقل المدبر . كما كانت الدول الأجنبية بمثابة الممول . . وكان لهذه الفئات نفوذ كبير في أوساط الأتراك الشبان أو جماعة الاتحاد والترقي (٢) .

وعلى هذا النحو استطاعت الحركة الصهيونية مع المحافل الماسونية متابعة النشاط السياسي لتحقيق المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين ، وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ هذه المخططات (٣) .

يذكر جواد رفعت اتلخان – القائد التركي المعاصر للسلطان عبد الحميد – أنه جاء في القرار المرقم ٧٠ للجمعية الماسونية الفرنسية : إنه أسست جمعية سرية باسم (جون تورك) فباشرت نشاطها من سلانيك التي تضم اليهود الأكثر نفوذاً في أوربا . . ويمكن القول إن فرقة الاتحاد والترقي ولدت فعلاً في المحفل الماسوني المسمى (ماكدونيا ريزتورا) المؤسس من قبل (قارصوه اليهودي السلانيكي) (٤) .

وفتحت سفارات الدول الأجنبية في استانبول أبوابها لكل عصيان على السلطان .

---

(١) تركيا الفتاة وثورة عام ١٩٠٨ – ارنست رامزور ص ٤٩ .

(٢) S . Mardin . the Gensis of young Ottoman Thought , P . 116 - 117

(٣) هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود – يوسف الحاج ١ : ٣٥ .

(٤) الخطر المحيط بالاسلام – الصهيونية وبروتوكولاتها – جواد رفعت اتلخان ص ١٥٠ .

وكانت انكلترا وفرنسا سابقتين إلى ايواء هؤلاء المعارضين[١].. وكذلك فعلت ايطاليا[٢] والنمسا[٣].

في هذا الوقت الذي ثبت فيه السلطان عبد الحميد على موقفه العظيم بشأن القضية اليهودية وانشاء دولتهم في فلسطين، واستصدر القوانين التي تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، ودعّم القوانين بمجموعة من الولاة الحازمين الواعين، ونال بذلك تأييد الشعب المسلم في كل مكان . .

في هذا الوقت كانت فئة من العرب تتعامل مع الاتحاديين لقلب نظام السلطان عبد الحميد الثاني .

وبامكاننا القول إن بعض العرب كانوا مخدوعين وانساقوا وراء الشعارات البراقة التي كانت ترفع في ذلك الوقت (حرية – عدالة – مساواة) .

غير أن جمهرة المسلمين كانوا يدركون بوضوح أن الهدف من ثورة ١٩٠٨ و ١٩٠٩م هو أن اليهود يريدون تجريد السلطان عبد الحميد من سلطته وثروته وأملاكه انتقاما منه لعدم افساحه المجال لهم لتحقيق أغراضهم المشبوهة .

وما أن زال السلطان عبد الحميد . .حتى بدأ اليهود يقطفون الثمار . . فاشتروا معظم الصحف التركية[٤] . . وعينوا العديد من شخصياتهم في حكومة الاتحاديين[٥] وخاصة جاويد بك وزير المالية الذي استطاع تأمين بعض القروض المالية عن طريق

---

(١) سعيد الأفغاني – نقلاً عن مجلة العربي ديسمبر ١٩٧٢ العدد ١٦٩ .

(٢) الامبراطورية العثمانية – لورد افيرسلي ص ٣٧٠ .

(٣) سورية والعهد العثماني – يوسف الحكيم ص ٢٠٠ .

(٤) ملف وثائق فلسطين ١ : ١٥٥

(٥) السر المصون في شيعة الفرمسون – لويس شيخو .

اليهـود مما سهّل مهـمته في التعاون مع جمـعية الاتحاد الاسـرائيليـة في نيويـورك لشراء الأرض في فلسطين[1] .

واستطاع اليهود كذلك الغاء معظم القوانين التي وضعت أساسا للحيلولة دون هجرتهم إلى فلسطين[2] . وكذلك تمّ نقل بعض المـوظفين العثمانيين المعارضين لاسـتيطان اليهود في فلسطين من القـدس . وباختصار فيمكننا وبكل تأكيـد أن نقول إن تاريخ إنشاء دولة اسرائيل لم يكن عام ١٩٤٨م . . بل كان عام ١٩٠٩م عندما سقط السلطان عبد الحميد الثاني . وقد ذكر السفير البريطاني في تركيا لوزير خارجيته في مذكراته التي رفعها اليه في آب (اغسطس) ١٩١٠م ان لجنة الاتحـاد والترقي تبدو في تشكيلهـا الداخلي تحالفاً يهودياً تركـيا مزدوجا . . إن اليهود الذين يـبدون الآن في موقف الملهم والمسـيطر على الجهاز الداخلى للدولة يعملون علي السيطرة الاقتصادية والصناعية علي تركيا الفتاة . ولكـي يصل الـيهود إلى مـكان النـفوذ فانـهم يشـجعون الاتجاهـات القومـية التركية[3] .

---

(١) العصر الجديد ٩ تموز ١٩٠٩ العدد ٣٧ .

(٢) Revue du Nonde Musulman , T . 7 , P . 149 (1909)

(٣) التيار الاسلامي في فلسطين – محسن محمد صالح ص ٥٥ .



السلطان عبد الحميد

الفصل الحادي عشر

المـــؤامـــرة

بعد سقوط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م ، فقدت فلسطين وغيرها من بلاد العرب الحماية الحقيقية التي كانت تركن اليها . . وشعرت الدول الغربية وحلفاؤها اليهود أن الفرصة باتت مواتية والثمرة على وشك النضوج . .

أولاً - فعلى صعيد الدولة العثمانية :

تولى زمام السلطة فيها نفرٌ من الضباط قليلي الخبرة . . راحوا يلهبون ظهور الشعوب التي تشكل الامبراطورية العثمانية بسياط القومية والعنصرية . كانت تفوح من أردان هؤلاء رائحة المكر والتآمر . . وكانت قمة جهلهم وتآمرهم في ادخال الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م . . تلك الحرب التي كان يراها السلطان عبد الحميد قادمة بعين بصيرته وكان يعدها الفرصة المناسبة التي ستعيد للدولة قوتها وهيبتها ، وتسترجع أرضها التي اغتصبها الأعداء منها . . وكان يعد قوته لذلك اليوم . .

ثانياً - وعلى صعيد الحركة الصهيونية :

فقد اعتبرت سقوط السلطان عبد الحميد خطوة كبيرة في الطريق إلى تدمير الدولة العثمانية ، وبالتالي الاستفراد بفلسطين لاقامة دولتهم على أنقاض شعبها .

* فبعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال في سويسرا بتاريخ ١٨٩٧/٨/٢٩م والذي عدته الزعامة اليهودية اللبنة الرئيسة في إقامة دولتهم .
* عقد المؤتمر الصهيوني الثاني في ١٨٩٨/٨/٢٨م في بال بسويسرا الذي اتخذ قرارا بإنشاء البنك اليهودي الاستعماري ، وتشجيع تعليم اللغة العبرية ليظهر اليهود أنهم أمة واحدة ذات لغة واحدة وقومية واحدة ، واطلاق يد هرتزل في التفاوض مع الدول الاوربية لخدمة المسألة اليهودية .

* وفي ١٥/٨/١٨٩٩م عقد المؤتمر الصهيوني الثالث في بال بسويسرا وكان من أهم انجازاته انضمام جمعية أحباء صهيون إلى المؤتمر بصورة رسمية . وذكرت مجلة المشرق أن السماسرة اليهود كانوا في هذه الفترة يطوفون منطقة (دج عيون) لتحصيل املاك جديدة فيها [١] .

* وفي ١٣/٨/١٩٠٠م عقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن . وجاء في خطاب هرتزل الافتتاحي : « إن انكلترا الدولة العظمى الحرة التي تطل بأراضيها وممتلكاتها على جميع بحار العالم ، هي الدولة التي تفهم حركتنا وجهودنا » .

* وفي ١٦/١٢/١٩٠١م عقد المؤتمر الصهيوني الخامس في مدينة بال بسويسرا وكان من أهم قراراته انشاء الصندوق القومي اليهودي لشراء الأراضي في فلسطين وجعلها أراض ذات ملكية جماعية ، وتشغيل العمال اليهود وليس غيرهم حتى يتم استعادة الارض من أيدي " الاجانب " وتهويد الارض المقدسة من جديد .

* وفي ٢٣/٨/١٩٠٣م عقد المؤتمر الصهيوني السادس في مدينة بال بسويسرا . كما عقد في الوقت نفسه مؤتمر سري في فلسطين وهو أول مؤتمر صهيوني يعقد في الاراضي المقدسة أعد له الروسي الصهيوني (مناحم ماندل اوسيشكين) وكان الاتجاه السائد في المؤتمرين أن تكون فلسطين دولة قومية لليهود . واعلن هرتزل في المؤتمر ان بريطانيا وحدها هي التي اعترفت بان اليهود جديرون بان يكون لهم وطن ودولة .

* وفي ٢٧/٧/١٩٠٥م عقد المؤتمر الصهيوني السابع بمدينة بال في سويسرا ولكن بغياب هرتزل هذه المرة فقد مات في ١٦/٥/١٩٠٤م ، فانتخب (ساكس نوردو) رئيسا للمؤتمر بعده ، وقد رفض المؤتمر فكرة الاستيطان في اوغندا أو الارجنتين أو أية

---

(١) مجلة المشرق ١/١٢/١٨٩٩م .

أرض غير فلسطين .

* وفي عام ١٩٠٧م عقد المؤتمر الصهيوني الثامن في لاهاي ، وتوصل إلى نتائج هامة تأتي في مقدمتها أن حاييم وايزمن استطاع دمج جميع الكتل في اطار الصهيونية السياسية ، وقد حل جميع الخلافات القائمة بين الاجنحة الصهيونية لكي يدفع بالقضية اليهودية إلى الامام داخل فلسطين وخارجها .. ومن بين أهم القرارات كذلك ضرورة شراء الصحف الاوربية ، وقد تمكنت المنظمة من شراء صحيفة " جويش كرونكل " اللندنية .

وقد أكد وايزمان أن الارادة الفاعلة القوية لن تثنيها قوانين الاتراك ، كما أن ألف وعد من دولة كبرى لا يفيد إن لم نعمل نحن لإقامة دولتنا في فلسطين .

ثالثاً - أما على صعيد الدول الغربية (١) :

وهي الطامعة في اقتسام المنطقة ، فقد عقد مؤتمر في لندن بصورة رسمية وسرية منذ عام ١٩٠٥ واستمرت جلساته حتى عام ١٩٠٧م . وكان قد دعا اليه حزب المحافظين . وقدمت توصيات إلى حكومة الاحرار برئاسة سير (هنري كامبل بانومان) . كان هدف المحافظين من وراء هذا المؤتمر إقناع رئيس الوزراء الجديد بالعمل لتشكيل جبهة استعمارية من الدول الاوربية وهي : انكلترا ، فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا ، البرتغال ، بلجيكا ، وهولندا ، وذلك لمواجهة التوسع الاستعماري الالماني ولتحقيق بعض الأهداف التوسعية في أفريقيا وآسيا .

وبالفعل فقد تأسست لجنة عليا مختصة في الشؤون الاستعمارية مؤلفة من اعضاء الدول المشتركة ، اجتمعت في لندن عام ١٩٠٧م وضمت جماعة من كبار علماء التاريخ والاجتماع والاقتصاد والزراعة والجغرافيا والبترول ! .

---

(١) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية – حسان علي حلاق ص ٢٢١ .

وانتهى المؤتمر إلى ضرورة توطيد الاستعمار في المناطق التي تسيطر عليها الدول المشتركة في المؤتمر . . وضرورة التوسع في مناطق أخرى أفريقية وآسيوية . واستعرض المؤتمر الاخطار التي يمكن ان تنطلق من تلك المستعمرات وقرر :

* أن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية أنما يكمن في المناطق العربية ، لكونها نقطة التقاء بين الشرق والغرب ، ولتوفر عدة عوامل تملكها مثل : وحدة التاريخ واللغة والثقافة والهدف والآمال فاذا توحدت هذه الشعوب فستحل الضربة القاضية على الدول الاستعمارية .

وقد بحث التقرير وسائل درء هذه الاخطار ، وأكد على ضرورة بقاء المنطقة متأخرة مفككة ، وضرورة إنشاء دويلات مصطنعة . . كما أكد على ضرورة زرع دولة دخيلة تفصل افريقيا عن آسيا العربية تكون حليفة للدول الاستعمارية .

وهكذا خطط الغرب لضرب المنطقة وجاء الحل لصالح الدولة اليهودية .

واذا كان اليهود وراء هذا المؤتمر فان العامل الاستعماري الصليبي هو المحور الاساسي فيه . وبذلك تهيأت الاسباب للفصل الأخير من المؤامرة .

الفصل الثاني عشر

سايكس بيكو - ووعد بلفور

بعد سقوط السلطان عبد الحميد (رحمه الله) ، ظهرت كل ثعابين التآمر من جحورها :

* **ففي استانبول حكمت جماعة « الاتحاد والترقي »** التي وإن تظاهرت بالاسلام حينا ، إلاّ أنها دعت إلى القومية الطورانية وإلى تتريك الشعوب العثمانية . وبدأت بتطبيق هذه السياسة القومية بأسلوب تفوح منه روح التآمر والتعصب .

* **وفي المنطقة العربية** بدأت تظهر الجمعيات العربية مثل : جمعية الاخاء العربي ، وجمعية المنتدى العربي ، والجمعية القحطانية ، وجمعيةالعربية الفتاة ، وجمعية العلم الأخضر ، وجمعية بيروت الاصلاحية ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، وجمعية العهد ، وجمعية الجامعة العربية ، وحزب اللامركزية . . وكلها بدأت تطالب بحقوق العرب ، واصلاح أوضاعهم ، ثم تقدمت خطوة أخرى فطالبت بالحكم الذاتي . . ثم خطوة أخرى فطالبت بالخلافة بناء على نصيحة أصدقائهم الانكليز (!) وراحوا يتآمرون مع السفارات الفرنسية والانكليزية في المنطقة لتحقيق هذا الهدف باعتبارهم أحق من الأتراك بالخلافه . . .

* وكانت قمة المؤامرة عندما بدأت **الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م** . . فقد نشّط الانكليز اتصالاتهم مع الشريف حسين وأبنائه ، وكانت هناك اتصالات بين الفريقين قبل الحرب تمثلت في لقاءات " كتشنر " المعتمد البريطاني في مصر ، مع الأمير عبد الله بن الشريف حسين في القاهرة ابتداء من ٥ فبراير (شباط) ١٩١٤م ، وكانت بطلب من الأمير عبد الله الذي نقل للانكليز تبرم والده الشريف من السياسة العثمانية .

بعد قيام الحرب العالمية الأولى جرت مباحثات مكثفة لعقد اتفاق بين الطرفين يحالف فيه الشريف حسين ومن معه من الزعامات العربية الانكليز والحلفاء الآخرين ضد الدولة العثمانية . . وأبرمت بين الفريقين أتفاقية عرفت باتفاقية الحسين – ماكماهون ، وهي اتفاقية غير واضحة ، ضمن فيها الانكليز ولاء العرب وانقضاضهم على الأتراك في أشد ساعات العسرة ، مقابل وعود شفوية أو مكتوبة لا قيمة لها ، بتأسيس دولة عربية مستقلة يتزعمها الشريف حسين .

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تنثر مثل هذه الوعود للعرب ، كانت تعقد معاهدة سايكس بيكو مع حليفاتها تقسّم بموجبها الأرض بينها وبين فرنسا على أن تكون فلسطين من نصيب اليهود . .

* ولك أن تتصور مصير هذه الأمة الاسلامية عندما يتحكم فيه فريقان : الاتحاديون الطورانيون في تركيا والعرب القوميون في بلاد العرب . الاتحاديون يحالفون المانيا لدخول حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، ينفذون مخطط انهاء دولتهم . والعرب يتحالفون مع بريطانيا وحلفائها ليحاربوا اخوانهم في الاسلام ، واضعين بذلك نهاية هذه الامبراطورية الاسلامية التي نشرت الاسلام وحافظت على المسلمين وتحكمت في موازين الصراع الدولي عدداً كبيراً من السنين .

العلم من صنع الانكليز

* ولك أن تتصور كذلك أن ضابط الارتباط بين العرب والانكليز هو ضابط المخابرات البريطاني الصهيوني لورانس الذي يلخص مهمته بأنها التفريق بين العرب والترك ، وإنهاء الدولة الاسلامية ، ومنع قيامها بكل الوسائل . حتى الخط الحجازي الذي كان يربط العاصمة " استانبول " بالمقدسات في مكة والمدينة فقد كان تخريبه من أهم أهداف لورانس !

* ولك أن تتصور أيضاً أن العَلَم الذي عُـرِّبَ أخيراً ورفعه الشريف حسين والأحزاب

القومية من بعده . . هو من تصميم السير مارك سايكس .

« فلقد تبرع سايكس الانكليزي بتقديم عدة تصاميم للعلم العربي بألوانه الأربعة ، وهناك رسالة منه بتاريخ ٢٢ فبراير (شباط) ١٩١٧م الى" ريجنالد ونجت" تتضمن اقتراحاً بعلم عربي جديد يحلّ محل العلم الأحمر الذي رفعته الثورة خلال عامها الأول ، وقد أرفق برسالته أربعة تصاميم مختلفة لكي يقع الاختيار على واحد منها»[١] .

* ولك أن تتصور أن اتفاقيات الحسين – ماكماهون تستثني من الدولة العربية الموعودة المنطقة التي تقع إلى الغرب من خط يمتد من حلب إلى القدس . . وهذه المنطقة تشمل لواء الاسكندرون الذي تسلمته تركية ، ولبنان الذي أعد ليكون دولة مارونيّة ، وفلسطين التي اغتصبتها اسرائيل فيما بعد . ولقد بينت خطوط هذه المؤامرة العديد من الوثائق . وحتى تشرشل عندما ردّ على الشخصيات العربية التي قالت ان بريطانيا خانت عهودها . . بيّن لهم أن الاتفاقات كانت تنص على ذلك . . ولم يذكر طبعاً أن كل عمل يبدأ بالتفريط ينتهي بالخيانة .

* ولك أن تتصور أن اتفاقية الحسين – ماكماهون كانت تنص صراحة على أفضلية انكلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية ، وأن تتعاون الحكومة العربية الموحدة المنتظرة مع الانكليز في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين ! . كانت هذه هي ظاهر الصورة أما حقيقتها فكانت :

أولاً - اتفاقية سايكس - بيكو

ففي مايو (آيار) ١٩١٦م كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية ، وأشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا لتطبيق المبادىء المقررة بموجب

---

(١) الحركة العربية – سليمان موسى ص ١٣٥ – ١٤٠ .

المعاهدة الثلاثية [١] بينهم ، ووزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية على الخرائط ، ووقّع عليها كل من مارك سايكس عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى ، والمسيو جورج بيكو قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي . وقد نصت الاتفاقية على المواد التالية :

المادة الأولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) داخلية سورية ، (ب) داخلية العراق ، ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية ، أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد إلى خليج فارس) ، إنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم ، مباشرة أو بالواسطة ، أو من المراقبة ، بعد الاتفاق مع الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعيّن شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة (!) .

وهناك مواد أخرى كثيرة تفرض الهيمنة البريطانية والفرنسية على كامل المنطقة وثرواتها ومستقبلها . . [٢]

---

(١) التي تناولت تقسيم الامبراطورية العثمانية بين الدول الثلاث : روسيا وفرنسا وانكلترا . ولقد وافقت روسيا على جميع بنود اتفاقيّة سايكس بيكو بشرط أن تحصل على استانبول.

(٢) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن – صالح مسعود أبو يصير ص ٥٦ .

واذا أردنا تبسيط هذه الاتفاقية لقلنا : ان الدول الحليفة قسمت البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية كما يلي :-

* سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، ولبنان وطن قومي للموازنة .

* والعراق تحت الانتداب البريطاني ، مع الاحتفاظ باتفاقات خاصة بين امارات الخليج وبريطانيا .

* فلسطين وطن قومي لليهود ، وشرقي الأردن موطن للفلسطينيين الذين سوف يهاجرون إليها بعد هجرتهم من أرضهم .

ولك أن تعجب اذا قلنا ان الشريف حسين قد علم بنصوص معاهدة سايكس - بيكو ، فقد أطلعه عليها جمال باشا حاكم سوريا من قبل الدولة العثمانية . . كما أطلعه عليها قادة روسيا بعد أن انسحبوا من التحالف الغربي على أثر الثورة البلشفية عام ١٩١٧م .

ولك أن تعجب أكثر اذا قلنا أن الدولة العثمانية عرضت على الشريف حسين أن يفسخ اتفاقاته مع بريطانيا مقابل أن تتعهد الدولة العثمانية وتضمن استقلال الولايات العربية تحت زعامة الشريف حسين .

وبالطبع لم يقبل الشريف هذا العرض العثماني (!) من أجل الحفاظ على شرف كلمته و عهوده مع الانكليز . . فقد أكد له (بلفور) وزير خارجية بريطانيا بأن الأخبار التي وصلته كاذبة جملة وتفصيلا . . . !!

ثانياً - وعد بلفور :

وبلفور هذا هو وزير خارجية بريطانيا الذي أقنع الشريف حسين بمصداقية العهود البريطانية ، وأن ما سمعه من جمال باشا عن طريق روسيا لم يكن الا أكاذيب . . بلفور هذا هو الذي أصدر الوعد المشهور الذي اشتهر باسمه في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٧م وقد صاغ وعده في العبارات التالية :

عزيزي اللورد روتشيلد

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية . وليكن معلوما أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها [١] .

وخير كلام يمكن أن يقال تعليقا على هذا الوعد . . هو أن بلفور أعطى ما لا يملكه لشعب لا يستحق على حساب أصحاب الأرض والشعب الفلسطيني المسلم .

---

(١) المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي - د. محمد حافظ غانم ـ ص٥٨

الفصل الثالث عشر

الحرب العالمية الأولى

كانت الحرب العالمية الأولى التي اندلعت عام ١٩١٤م منتهى أحلام القادة اليهود . . ففي هذه الحرب المدمّرة سيصبح الجميع بحاجة إلى مال اليهود وخبرتهم العلمية والتجسسية ، وفي هذه الحرب ستنتهي دول وتقوم على أنقاضها غيرها . . وفي هذه المفاصل التاريخية يسهل على قادة اليهود أن يحصلوا على ما يريدون . .

ولهذا فقد اتفق أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني أن يتصل فريق منهم بدول المحور (تركيا وألمانيا) ، وفريق ثان بدول الحلفاء (انكلترا وفرنسا وروسيا) ، وفريق ثالث بالدول المحايدة (أمريكا) . .

اما الفريق الذي كان عليه الاتصال بتركيا فقد تولى إظهار الحركة العربية الناشطة وتصوير خطرها على كيان الدولة العثمانية ، وأبدى فائدة وجود حركة صهيونية في المنطقة تحفظ التوازن . . وقد عرضوا مقابل الموافقة على السماح لليهود بالاستقرار في فلسطين دعم الاقتصاد العثماني ، وتأليف فرقة عسكرية يهودية بولونية للدفاع عن فلسطين ، ومقاومة الحركة العربية .

أما الذين اتصلوا بألمانيا فأكدوا لها : استعداد اليهودية العالمية لدعم ألمانيا في الحرب وتنظيم شبكة جاسوسية في روسيا لمصلحتهم .

أما الفريق الذي كان على اتصال بدول الحلفاء . . فكان يتولاه وايزمن الذي تولى الزعامة الصهيونية بعد موت هرتزل عام ١٩٠٤م ، والذي كان يعتقد أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي يُرجى منها الخير للصهيونية .

وقد جاء في مذكراته أن خطة تهويد فلسطين متفق عليها قبل الحرب العالمية الأولى ، وأن انكلترا وعدت بتسليمها في مدة تتراوح بين ١٠ و ١٥ سنة . انتهز وايزمن فترة

الحرب فوثق صلاته مع العديد من الشخصيات البريطانية من أشهرهم :

* **بلفور** : الذي يفاخر بأنه صهيوني وهو صاحب الوعد المشهور .

* **هربرت صموئيل** : الذي كان يشتاق جداً لأن يرى دولة يهودية قد أنشئت في فلسطين . . وقد تولى صموئيل هذا الوزارة في أول سني الحرب العالمية الأولى ، وراح يقنع حكومته بضرورة قيام الدولة اليهودية للمحافظة على قناة السويس وخطوط مواصلات الامبراطورية من ناحية ، والحصول على تأييد ودعم اليهودية العالمية في تلك الحرب الضروس من ناحية أخرى ، وعلى هذا فقد قام في كانون الثاني سنة ١٩١٥م بتقديم مذكرة إلى حكومته عن مستقبل فلسطين عرض فيها مشروعاً لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تضم من ثلاثة إلى أربعة ملايين من اليهود [(١)] .

* **لويد جورج** : الذي كان رئيساً للجنة المجهود الحربي ابان الحرب . . وكان صهيونيا قديما . وعندما عرف منه وايزمن ان بريطانيا جادة في البحث عن طريقة عملية لانتاج مادة الأسيتون لاستخدامها في تحضير (الكوردايت) أي البارود الذي لا دخان له ، وانتاجه بكميات كبيرة . . عكف وايزمن مع فريق من العلماء اليهود سنة كاملة يجرب ويجري الاختبارات وعندما نجح في عمله هذا تسنّم مركزا رفيعاً في وزارة الحرب البريطانية . . وحصل مقابل اختراعه من بلفور على وعد قبل الوعد الرسمي فقال له : « أتعلم يا وايزمن انك بعد الحرب ستحصل على القدس التي تريدها ».

* **سكوت** : الذي كان رئيساً لتحرير جريدة (مانشستر جارديان) ، احدى الصحف الكبرى ذات النفوذ ، والذي كان يبشر بالأفكار الصهيونية ، ويتولى في صحيفته الدفاع عن فكرة اقامة وطن يهودي في فلسطين .

---

(١) مذكرات وايزمن .

* **مارك سايكس** : الذي تولى في الحرب منصب مساعد لوزير الحرب في بريطانيا . . وقد أدرك اليهود أهميته فأوكلوا له أحد دهاتهم (موسى جاستر) الذي حوّله إلى صهيوني كبير .

* وفي عام ١٩١٦م تولى الصهيانية الكبار : لويد جورج رئاسة الوزارة ، وبلفور وزارة الخارجية حيث كلّفا على الفور الصهيوني الثالث سايكس بالدخول في مفاوضات رسمية مع الحركة الصهيونية . . وكانت المباحثات تجري في بيت (موسى جاستر) نفسه. وكانت الحركة الصهيونية تطالب :

١- بإعطاء اليهود صفة قومية ووضعاً رسمياً في فلسطين .

٢- إباحة الهجرة اليهودية المطلقة إلى فلسطين .

ولم تقتصر اتصالات زعماء اليهود على بريطانيا وحدها بل ووسعوا نشاطهم بحيث شمل أهم الشخصيات السياسية في كل من فرنسا وروسيا . أما أمريكا فكانت سيطرتهم على سياستها كبيرة عن طريق اليهود فيها . . ولهذا فإن وعد بلفور الذي صدر عن وزير الخارجية البريطانية باسم حكومة بريطانيا . . لم يكن هندسة بريطانيا فقط . . بل من هندسة الحلفاء جميعا ، بما فيهم الرئيس ويلسون ، رئيس الولايات المتحدة الذي وافق على صيغة الوعد رسمياً في ١٤ فبراير (شباط) ١٩١٨م ، وايطاليا في ٩ آيار (مايو) ١٩١٨م . وهكذا استطاعت اليهودية العالمية بقيادة (وايزمن) أن تحصل على أكثر مما توقعت ، فقد حصلت على اعتراف دولي بوطن قومي ، وعلى حماية بريطانية على فلسطين تنفذ من خلالها بقية التفصيلات . .

الفصل الرابع عشر

الجنرال اللينبي في القدس

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ١٩١٨م ، وكانت الجيوش الانجليزية قد دخلت القدس في اواخر عام ١٩١٧م . ولا بد من أن نلتقط انفاسنا لنرى عمق المأساة التي تحدث . . على أرض فلسطين .

* (ففي **القدس** قرر الجيش العثماني الانسحاب لتجنيب المدينة المقدسة ويلات الحرب ، والحفاظ على سلامتها ، وصيانة المقدسات من كل أذى ، ولقد كلفوا رئيس البلدية حسين سليم الحسيني ، وأعيان المدينة الذين اجتمعوا في دار المتصرف ، ان يسلموا المدينة إلى الانجليز ، فيدخلونها سلما . وفي صباح اليوم التاسع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٧م ذهب رئيس البلدية وبعض الاعيان إلى حيّ الشيخ بدر ، وسلموا المدينة رسمياً لضابط بريطاني ، وبعد برهة قليلة دخل الجيش البريطاني مدينة القدس من شمالها وجنوبها وغربها . ولقد أشاع الانجليز يومها أن الامير فيصل سيدخل قريباً دمشق ، وسوف يرسل نائباً عنه لاستلام القدس من الانجليز) (١) .

* وفي **دمشق** يتلقى الملك فيصل بن الشريف حسين إنذاراً من فرنسا بأن يخرج من سوريا ، فلم يعد لوجوده فيها فائدة . ويدخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق ويتوجه من فوره إلى قبر صلاح الدين ليعلن بصوته أمام قواده واضعا رجله على ضريح البطل « ها نحن عدنا يا صلاح الدين » .

* وفي **بغداد** يعلن الحاكم البريطاني منشورا خطيرا في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨م يقضي بأن يتولى الانجليز الحكم في العراق ، لاعداد الشعب العراقي

---

(١) فلسطين عبر ٦٠ عاما – أميل الغوري ص ٢٦ .

حتى يتمكن من حكم نفسه في المستقبل .

* ولم يبق امام الانجليز سوى الشريف حسين في الحجاز فأرسلوا له صديقه الحميم (لورنس) ليوقع على معاهدة صداقة مع الانجليز ، يعترف فيها بالامر الواقع في المنطقة العربية وبخاصة في فلسطين . .

(وعندما رفض الشريف توقيع المعاهدة ، تلقى من حليفته بريطانيا الانذار التالي :

إلى جلالة الملك حسين ، من وكيل خارجية بريطانيا . بَلَغَ حكومة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة ، والباعث هو جلالتكم وحكومة الحجاز ، وفي هذه المناسبة تصرّ حكومة بريطانيا بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر من ثلاثة اسابيع . . ورست بارجتان بريطانيتان في العقبة ، لتنقلا الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى وحليف بريطانيا العظمى إلى قبرص ليعيش بقية أيامه مأسورا في كنف الانجليز هناك [1] . .) .

* ولم يصدق سكان القدس الذين احتشدوا في الساحة العامة ليستمعوا إلى كلمة حليفهم الفيلد مارشال اللنبي ، لم يصدقوا آذانهم وهو يقول : اليوم انتهت الحروب الصليبية . . يومها انسحب المفتي وعدد من الزعماء احتجاجا على هذا الكلام . . وللأسف فقد كان احتجاجا لا قيمة له . . فقد جاء بعد فوات الأوان . قال اللنبي ذلك وكنائس القدس تعلن ابتهاجها وفرحتها بهذا اليوم ، بل (والبابا في روما يدعو اتباعه في العالم بأسره ان يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس ، وينهاهم عن السعي لاعادتها إلى المسلمين) [2] .

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن – صالح ابو يصير ص ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

* ومنذ ذلك التاريخ والعرب يتبارون بشتم بريطانيا التي خانت عهودها ونكثت بوعودها ، والصحيح أن الامر يتعلق بهم قبل غيرهم . . والا فكيف يستقيم في حس المسلم ان يتعاهد العرب المسلمون مع الصليبيين لضرب دولتهم الاسلامية التي يستظلون بظلها ويأوون إلى سلطانها . . مقابل عهود كلامية من عدو حقيقي ما زالت آثار غزواته الصليبية ماثلة للعيان . . . ؟!

* كيف اعتقدوا أن الانجليز حريصون على اقامة الخلافة وتسليمها للعرب من اجل مصلحة الاسلام والمسلمين ، وفي سبيل إعلاء كلمة الاسلام في الأرض . . . ؟!

* « يداك أوْكَتا وفوك نفخ . . » . . هذا ما يمكن أن يقال للعرب الذين تحالفوا مع الأعداء فسقطوا أشنع سقطة . . وهم ما يزالون حتى يومنا هذا يعانون من سقطتهم تلك . . وليتهم يعتبرون من كلمة الشريف حسين التي شيع فيها أحلامه : « إياكم وتصديق الانجليز ، فكم ذقت مراً من صداقتهم التي هدمتني وهدمت العرب والاسلام » .

الإنجليز ينفذون أحلام اليهود

في أواخر عام ١٩١٨م سيطر الانجليز على جميع ارجاء فلسطين ، وفصلوها عمليا عن بقية اجزاء سوريا الأخرى . . وبدأوا بقوة وإصرار في تحقيق مطامع اليهود فيها . . ولقد حدد وايزمان أهداف الصهيونية في هذه المرحلة . . فقال : « إن هدفنا لا يزال الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة ، بل يجرى على مراحل متعددة ، وأول هذه المراحل أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا ، لتسهل لنا الهجرة والسكنى ، وتمكننا من تحضير الجهاز الإداري اللازم لبلوغ هدفنا ، وان الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ، ومستعدة لتسهيل تنفيذها » (١) .

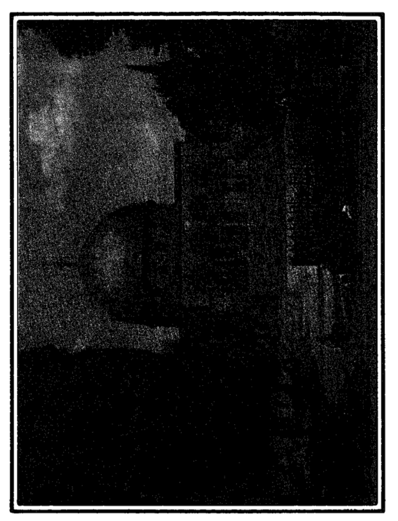
---

(١) المصدر السابق ص ٨٦ .

وعلى الرغم من أن صك الانتداب البريطاني في فلسطين لم يُبرم الا في يوليو (تموز) عام ١٩٢٢م . فان الادارة العسكرية البريطانية لم تضيع الوقت ، فكانت تصدر التعليمات إلى قوادها العسكريين في فلسطين ، مؤكدة لهم انها متمسكة بوعد بلفور مذكرة اياهم أن من واجبهم تقديم المساندة الفعالة للصهيونية . وقد قدمت إلى فلسطين خلال فترة الحكم العسكري هذا ، « اللجنة الصهيونية » برئاسة الدكتور وايزمن . وأخذت اللجنة تعمل على إنشاء المزارع ، وإقامة المستعمرات ، فهلل لها اليهود ، وانتعشوا بقدومها ، وأخذوا يظهرون بعد تستر ، ويطالبون بإنشاء جيش للدفاع عن فلسطين [١] .

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية – قسطنطين خمار ص ٥٦ .



القدس الشريف

الفصل الخامس عشر

هـــل انتهـــت الحـــروب الصليبيـــة ؟

دخـــل الفيلـــد مـــارشـــال اللنبي مدينـــة القـــدس فـــي ١١ كـــانـــون الأول (ديسمبر) ١٩١٧م دخول الفاتحين ، تحيط به أعلام الدول الحليفة باستثناء العلم العربي ، ووقف خطيبا تحف به الجماهير ليخبرهم بأن اليوم هو نهاية الحروب الصليبية . . ! أذهلت المفاجأة سكان البلاد الذين كانوا مترددين أصلاً بالتحالف مع بريطانيا التي لم يعرفها العالم الاسلامي يوما الا مستعمرة متآمرة . . ولكن ما نفع الندم ؟

أنشأ الجيش البريطاني ادارة عسكرية باسم ادارة أراضي العدو المحتلة مقرّها القاهرة، على رأسها المارشال اللنبي .

« من الناحية القانونية الدولية ، كانت فلسطين تنتظر أن يُبتَ في مصيرها في مؤتمرات ما بعد الحرب » [١] . أما من الناحية العملية فقد بدأ كل طرف ينفذ خطته الخاصة به للوصول إلى هدفه . .

فالانكليز أقاموا إدارة عسكرية وباشروا صلاحياتهم دون انتظار لمؤتمر سلام أو غيره، وكان هدفهم تحقيق وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . شجعوا الهجرة اليهودية ، ومكنوا اليهود من إقامة دولتهم داخل الدولة ، واضطهدوا العرب أشد الاضطهاد .

أما العرب فقد استيقظوا من حلم مزعج ووجدوا أنفسهم ضحايا مؤامرة متعددة الأطراف أصبحوا معها غرباء في أرضهم . الجميع متآمر عليهم .

وأما اليهود فقد كانوا يستعدّون للاستيلاء على الأرض والدولـة معـا .

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (المرجع السابق) ص ٦٦ .

المؤتمر العربي الفلسطيني الأول [1] :

افتتح المؤتمر الأول في القدس في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م وقد حضره مندوبون يمثلون مختلف المدن الفلسطينية . في الجلسة الأولى انتخبوا لرئاسة المؤتمر عارف الدجاني . وقد ورد في محضر الجلسة الأولى عن سبب انعقاد المؤتمر ما يلي : « ان سوريا الجنوبية التي يطلق عليها اسم فلسطين ، قد بلغ سكانها ، أن اليهود أخذوا وعداً بجعل بلادنا هذه وطنا قوميا لهم . . استقر رأيهم على مؤتمر عام وأوفدونا نحن المندوبين إلى مدينة القدس » . هذا وقد أرسل المؤتمر البرقية التالية إلى مؤتمر السلام في باريس : « إن مندوبي جميع بلدان سوريا الجنوبية العاقدين مؤتمرهم في القدس قرروا قبل الخوض في أي بحث أن يرفعوا احتجاجهم الشديد على ما سمعوه من جعل بلادهم وطنا قوميا لليهود ومنحهم حق الهجرة والاستعمار . وهم يرفضون أن يُبتَّ مصيرُ بلادهم الا طبق رغباتهم » .

وقد وافق المؤتمر العربي – الفلسطيني على مذكرتين قدّمت الأولى إلى ممثلي دول الحلفاء في القدس ، وأرسلت الثانية إلى مؤتمر السلام في باريس . وخلاصة المذكرتين :

١- دحض تاريخي وديني لمزاعم اليهود في فلسطين .

٢- الرفض التام لوعد بلفـــور .

٣- أمـلاك اليهـود لا تتجاوز ٢,٥ ٪ من مساحة فلسطين بينما عددهم لا يزيـد عـن ٩ ٪ من مجمـوع السكـان ، فكـيف يعقل أن تحكم الأقلية أكثريـة السكـان ؟

٤- فلسطين جزء من أجزاء سوريا الجنوبية لم تنفصل عنها في دور من أدوارهـا تربطنـا وإياهـا الروابـط القوميـة والدينيـة واللغويـة والأخـلاقيـة والاقتصـاديـة

---

(١) المرجع السابق ص ٩٥ .

والجغرافيــة .

٥- إن ما تدّعيه فرنسا من حقوق في بلادنا لا أصل له ولا نقبل به .[١]

فلسطين للفلسطينيين :

على قاعدة فرّق تسد البريطانية الشهيرة ، ولمصلحة اليهود ، رفع المحتلون الانكليز ومعهم اليهود ، شعار « فلسطين للفلسطينيين » ، وحاولوا إقناع عدد من زعماء البلاد بأنه من مصلحتهم ومن مصلحة بلادهم أن يفصلوا قضيتهم عن بقية أجزاء القضية السورية ، وانتظروا أن تكون بعض مقررات المؤتمر العربي الفلسطيني في هذا الاتجاه . وعندما صدرت القرارات برفض التبعية لكل من فرنسا وبريطانيا على السواء ، وبرفض الشعار الاقليمي الانعزالي « فلسطين للفلسطينيين » ، عندها كشرت بريطانيا عن أنيابها ولجأت للقوة في معالجة الموقف .

فيصل ومؤتمر السلم في باريس :

كان الممثل الوحيد الذي أتيح له حضور جلسات مؤتمر السلم في باريس هو الأمير فيصل بن الشريف حسين أمير مكة وقائد الثورة العربية . . ولقد اعترضت فرنسا على حضوره باعتباره لا يمثل المنطقة العربية . . ثم سمح له بالحضور على أن يمثل والده ملك الحجاز . وفي المرة الوحيدة التي تكلم فيها امام المؤتمر ولمدة عشرين دقيقة في ٦ شباط (فبراير) ١٩١٩م قال :

« ان العرب اجمالاً يشكلون وحدة في الدم والتاريخ والعقيدة واللغة » ولكنه عندما طالب للبلدان العربية الاستقلال استثنى منها فلسطين ، فقد أوصى في كلمته « بترك فلسطين جانبا بالنظر إلى طابعها العالمي ، ثم ارتأى بأن تحل قضيتها من

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ .

قبل جميع أصحاب العلاقة » [1] . وفي الوقت الذي منعت بريطانيا الوفد الفلسطيني الذي قرر المؤتمر العربي الفلسطيني الأول ارساله لتمثيل فلسطين لدى مؤتمر السلام من السفر إلى باريس ، كان الوفد الصهيوني في المؤتمر يضم كبار الشخصيات الصهيونية وعلى رأسهم وايزمن . كانت الحركة الصهيونية قد تلقت قبل هذا التاريخ وعد بلفور الذي نصّ على تفضّل حكومة صاحب الجلالة البريطانية بتقديم فلسطين وطنا قوميا لليهود . . غير أن مطالبات اليهود في مؤتمر السلام تجاوزت وعد بلفور ذاته ، فقد أعلنوا بكل وضوح أن دولتهم تتجاوز فلسطين إلى شرق الاردن وأقسام من سوريا ولبنان ، وأن الوطن القومي الذي يطلبون ليس الا دولة يهودية كما هي انجلترا انجليزية [2] . كان قرار مؤتمر السلام هو تطبيق حق تقرير المصير في البلدان العربية . . ولم يرق ذلك لبريطانيا أو لفرنسا مما اضطر أمريكا زعيمة السلام يومذاك إلى ارسال بعثة عرفت باسم لجنة كنغ — كرين لتقصي رغبات السكان .

الأمير فيصل زعيم القومية العربية

وقبل أن نتجاوز الموضوع لا بد من القاء بعض الضوء على مواقف الأمير فيصل ملك سوريا وملك العراق وزعيم القومية العربية في ذلك الوقت مع الصهيونية وقادتها .

* أول لقاء تم بين زعيم الصهيونية وايزمن وزعيم القومية العربية فيصل كان في العقبة في ٤ حزيران (يونيو) ١٩١٨م . . في محاولة للتوصل إلى اتفاق حول القضايا المشتركة .

* اللقاء الآخر كان في لندن قبيل انعقاد مؤتمر السلم ، مثّل الجانب الصهيوني فيه بالاضافة إلى وايزمن سوكولوف وهربرت صموئيل ، وقد نتج عن

---

(١) القيادات والمؤسسات في فلسطين (المرجع السابق) ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣ .

هذا الاجتماع أول تصريحات الأمير التي تنادي بالتفاهم العربي – اليهودي أعطاها لرويتر ونشرتها التايمز في ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨م .

* وأهم هذه اللقاءات تلك التي أسفرت عن الاتفاقية المشهورة باتفاقية الصداقة العربية – اليهودية أو اتفاقية فيصل – وايزمن الموقعة في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩م ، والتي تحدثت عن شيئين منفصلين ، أحدهما الدولة العربية وثانيهما فلسطين ، ان هذا الفصل القاطع والذي بدا واضحا في المادة الأولى من الاتفاقيّة كان تمهيدا للاعتراف بوعد بلفور كما جاء في **المادة الثالثة** :

« تؤخذ جميع التدابير وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر يوم ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧م حين وضع دستور حكومة فلسطين » .

وهكذا كان موقف الأمير فيصل في مؤتمر السلام عندما طالب بالاستقلال للدول العربية وترك فلسطين جانبا .

في ٣ آذار (مارس) بعث زعيم القومية العربية إلى فرانكفورتر الزعيم الصهيوني الامريكي رسالة أكد له فيها على التقارب العربي اليهودي جاء فيها :

« ونحن العرب ، وخاصة المثقفين ، ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونية . . ولسوف نعمل كل ما وسعنا لمساعدة اليهود أبدا ونتمنى لهم وطنا ينزلون فيه على الرحب والسعة . واني أتطلع وشعبي إلى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الأمم المتمدنة في العالم » (١) .

وهكذا يسير الأمير فيصل بن الحسين على خطوات والده . . فكما خُدع الشريف الذي سيّره الانكليز في مخططاتهم لتحطيم دولة الخلافة . . فان ابنه فيصل يسيّره اليهود لتحقيق احلامهم في فلسطين .

---

(١) القيادات والمؤسسات في فلسطين (المرجع السابق) ص ١٠٦ .

مظاهرات عام ١٩١٩م :

دعت الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس في آذار (مارس) ١٩١٩م إلى تظاهرات شعبية سلمية تعم أرجاء البلاد للاعلان عن مطالب البلاد المشروعة وابلاغها للجنة كنغ – كرين الامريكية . . وقد تجلت في هذه المظاهرات وحدة البلاد في أوضح صورها فكان المسلمون ينطلقون من المسجد ليلتقوا بالنصارى المنطلقين من الكنيسة . . وكثيراً ما كانوا ينطلقون جميعا من ساحة المسجد الأقصى المبارك . . وتكررت هذه المظاهرات في ابريل من نفس العام . . لتشكل بداية الصراع والكفاح الدامي الطويل الذي خاضه الشعب المسلم في فلسطين ضد قوى البغي والطغيان والاحتلال الصليبي – اليهودي .

لجنة كينغ - كرين :

على الرغم من انسحاب بريطانيا وفرنسا من لجنة التحقيق الدولية ، فقد بعث الرئيس ولسون لجنة أمريكية لتقصي الحقائق ، هي لجنة كينغ – كرين . وصلت اللجنة إلى يافا في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩١٩م واتصلت بمختلف طبقات الشعب : بالجمعيات والمنظمات والقرى والمدن وتأكدت من رغبة الشعب الجامحة برفض وعد بلفور وتمسكه باستقلال سوريا دولة موحدة (بما فيها فلسطين) . ولم يكن لتقرير اللجنة كبير فائدة فقد أهملته الولايات المتحدة نفسها . . أما بالنسبة لبريطانيا فان رسالة بلفور التالية إلى كيرزون في ١١ آب (اغسطس) ١٩١٩م توضح مدى اهتمامها بمثل هذه اللجان ، يقـول : « في فلسطين نحن لا نعتزم حتى مجرد القيام بمراعاة السكان الحاليين . ان الدول الأربع الكبرى قد تعهدت للصهيونية ، وهي ذات أهمية أبعد بكثير من أماني وأهواء سبعمائة ألف عربي يسكنون الآن تلك البلاد القديمة »(١) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٤ .

الفصل السادس عشر

ثـــورة عـــام ١٩٢٠م

مقدمـات الثـورة

وصل الشعب المسلم الفلسطيني في أوائل عام ١٩٢٠م إلى قناعة أكيدة أن الحقوق تؤخذ ولا تعطى ، وأن ألف احتجاج أو لجنة لتقصي الحقائق لا تعطي لشعب حريّته ، وان انجلترا التي احتلت فلسطين بالمكر والخديعة والتآمر والقوة ، والمنظمات اليهودية التي تعد نفسها وجيشها للسيطرة على فلسطين ، كل ذلك أقنع الشعب الفلسطيني أنه لا يمكن استنقاذ البلاد من مخالب القوة الغاشمة الا بقوة الحق الرادعة .

كان الشعب يرى بلده يتهوّد يوما بعد يوم ، المهاجرون تزداد أعدادهم ، اللغة العبرية تصبح لغة رسمية ، المحاكم والقضاء يُهوّد ، الامتيازات الممنوحة للجنة الصهيونية تصبح في الاعتبار الأول في البلاد ، فيزداد إصراره على الثورة والتحرك . ولقد شكلت هذه التحديات المقدمات الضرورية لثورة عام ١٩٢٠م .

في ابريل ١٩١٨م حضرت إلى فلسطين لجنة صهيونية برئاسة رئيس الصهيونية وايزمان ، وسبقت قدومها توصيات من الحكومة البريطانية إلى الحكومة العسكرية في فلسطين لتسهيل مهمتها . وكانت مهمتها الاطلاع عن كثب على شؤون فلسطين ودراسة أحسن السبل لتحويلها لدولة يهودية ، وتشجيع الهجرة ، والسيطرة على الأرض ، وإنشاء الجيش اليهودي ، وإقامة إدارة مدنية يمارس اليهود الحكم من خلالها تحت مظلة بريطانية في البداية لينتهي إليهم وحدهم الأمر بعد ذلك .

ورحّب اللنبي باللجنة الصهيونية وسهّل مهمتها وأصبحت المرجع الأهم للإدارة الحاكمة . . يحصل ذلك بينما يحاصر الشعب المسلم في فلسطين ويمنع من السفر والتنقل . . كما وجّه اللنبي انذاراً إلى الملك فيصل في دمشق بعدم التدخل في الشؤون

السياسية الفلسطينيّة ، وقد جاء في الإنذار المؤرخ في ١٧ اكتوبر ١٩١٨م « إن التعليمات الصادرة إلى الحكام العسكريين تمنع أي تدخل في الشؤون السياسية ، وإني سأعزل منهم من يخالف هذه الأوامر »[١] .

بل وإمعانا في التحدي والاستهتار بمشاعر سكان البلاد يعلن اللنبي أنه قد وجّه الدعوة إلى السير هربرت صموئيل ليساعده على تسوية شؤون فلسطين .

وفي ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠م صرح السير هربرت صموئيل أنه ذاهب إلى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ أوامر حكومته لإنشاء وطن قومي لليهود فيها .

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن – صالح مسعود أبو يصير ص ٩١ .

الفصل السابع عشر

هـربـرت صموئـيـل

ولا بأس أن نلقي بعض الضوء على هذا اليهودي البريطاني الذي لعب دورا رئيسا في التحضير لاقامة اسرائيل . . ولنترك صموئيل يتحدث عن نفسه في كتابه " ذكرى " الصادر سنة ١٩٤٥[١] :

« إني احتفظت بالحوادث التي أدت في النهاية إلى تعييني في فلسطين ، لأسردها كقصة متتابعة ، وإني أطلب إلى القارىء أن يرجع بذاكرته إلى أوائل الحرب الأولى عندما توقعنا هزيمة دول الوسط ، ولم يخامرنا إلا القليل من الشك بأنه سيفتح أمام فلسطين مستقبل آخر ، وفي اللحظة التي دخلت فيها تركيا الحرب تغير الوضع تماماً ، فإن قدّر لفلسطين أن تحظى بمصير جديد ، فإن بريطانيا العظمى هي صاحبة الشأن الأول في ذلك المصير بما لها من مصالح استراتيجية هامة في الشرق الأوسط .

وإن على حكومتنا أن تولي عنايتها موضوع من سيخلف الأتراك في السيطرة على فلسطين ، ذلك البلد الذي يتاخم قناة السويس ، وبالنسبة لشخصي فقد كان لهذا الموضوع أهمية زائدة وخاصة ، فقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدّر له أن يحتل مقعداً في الوزارة البريطانية ، لقد حددت آرائي جدا في الحال ، الأمر الذي دعاني لمقابلة وزير الخارجية ومحادثته بشأنها ، وسجلت في مذكرتي بتاريخ ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٤م أني تكلمت مع السير ادوار جراي حول مستقبل فلسطين . . ولعل الفرصة قد سنحت أمامي لتنفيذ أماني الشعب اليهودي القديمة ، وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها . وأعتقد أن النفوذ الانكليزي يجب أن يقوم بدور هام

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المصدر السابق) ص ٩٣ .

في تأسيس مثل هذه الدولة لأن وضع فلسطين الجغرافي ، وقربها من مصر ، يجعل صداقتها لانجلترا أمرا له أهميته للامبراطورية البريطانية . ولقد سألني جراي عما إذا كنت أعتقد أن سوريا يجب أن تضم إلى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبته : كلا ، فان الأمر على العكس فليس من حكمة الرأي ادخال أمكنة كبيروت ودمشق ، لأنها تحتوي على عدد كبير من السكان الذين لا يمكن تمثلهم » [1] .

وقلت أيضا : سيكون هناك نفع عظيم اذا ضمت بقية سوريا إلى فرنسا ، إذ أنه أجدى للدولة اليهودية أن تكون لها جارة أوربية من أن تكون تلك الدولة هي تركيا . ولقد سنحت لي فرَصة أخرى للحديث مع لويد جورج في نفس الموضوع ، لقد أشار في مجلس الوزراء إلى مصير فلسطين النهائي ، وقال لي : « انه مشتاق جداً لأن يرى دولة يهودية قد أنشئت هناك » ، لقد صغت آرائي في مذكرة وزعتها على الرئيس وعلى عدد من زملائي الوزراء ، ثم نقحت مذكرتي في شهر مارس (آذار) وأعدت توزيعها ، وركزت مذكرتي على احتمال هام ، وهو فرض حماية بريطانية ، مع تشجيع استقرار اليهود ، وقد أيدت هذا البند ووافقت عليه .

ولقد حادثت من جديد مستر جراي في الخامس عشر من شهر فبراير (شباط) ١٩١٤م وأعربت له عن ارتيابي عما اذا كان السكان العرب ، وهم يمثلون خمسة أسداس السكان ، يوافقون على مثل حكومة فلسطين تمثل الحكومات الأوربية والبابا وأمريكا ، وتخلق مجلس شورى لليهود . فقال :

قد يكون في بقاء السيادة التركية اذا وجدت ضرورة لذلك ، حل آخر لتأسيس حكومة قريبة الشبه نوعا بحكومة لبنان . . ، فأكدت له الخطر من وجود أي دولة غير انكلترا تتصرف بفلسطين وما في اقامة ادارة دولية من مجازفة قد تنتهي بسيادة احدى الدول

---

(١) نفس المشكلة تواجه اسرائيل حالياً في كيفية تمثل العرب في غزة والضفة الغربية .

الاوربية .

وقد أرسل لي وايزمان الذي تعرّف بالمستر بلفور في مانشستر كتابا مؤرخاً في ٢١ مارس (آذار) ١٩١٥م يقول : لقد سنحت لي فرصة الحديث إلى مستر بلفور وسيساعدنا اذا كانت الأمور قد وضحت بالنسبة لفرنسا. ويمضي صموئيل فيقول : « لقد تبلورت الآراء في ناحية ايجاد نوع من الحماية البريطانية ، وليس من الضروري أن نقبل الوضع بأن السكان الحاليين القلائل يجب أن يكون لهم الحق في سد الباب أمام عودة الشعب الذي سبقت علاقته بالبلاد علاقتهم هم ، خصوصاً وأن علاقة اليهود بالبلاد قد أنتجت آثاراً روحية وثقافية ذات قيمة للبشرية بشكل يلفت النظر بمقارنته بالتاريخ المقفر للألف سنة الماضية » .

وهكذا نجد أن هربرت صموئيل خطط لقيام دولة اليهود منذ عام ١٩١٤م عندما كان وزيرا في الحكومة البريطانية ، وقبل احتلال الانجليز لفلسطين ، فحين تم ذلك وأصبحت بريطانيا هي الدولة المنتدبة ، بعثته حكومته مندوباً سامياً إلى فلسطين ليتم مهمته التي بدأها . . . (١) .

وقد اعتبر العرب مجيء هربرت صموئيل مهندس إنشاء دولة اسرائيل وراعيها ، إلى فلسطين ، تحديا خطيراً لهم ولبلادهم .

جاء صموئيل إلى فلسطين وهو رأس السلطة ، والجيش البريطاني تحت إمرته ، فعيّن بنتويتش اليهودي سكرتيراً قضائياً لتولي اصدار القوانين ، فسن عددا كبيراً من القوانين التي حمت اليهود وسهلت هجرتهم وحدّت من نشاط السكان العرب . وفتح أبوب الهجرة وسلم معظم الوظائف الهامة في الدولة إلى اليهود . ويكفي أن نذكر هذه المادة من الدستور الذي سنه للبلاد : (للمندوب السامي الحق أن يهب أو يؤجر أية أرض من

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المرجع السابق) ص ٩٣ .

الأراضي العمومية أو أي معدن أو منجم ، وله أن يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط أو المدد التي يراها ملائمة . .) ، لنعرف كيف سيطر اليهود على الأرض الفلسطينية بفضل مثل هذه القوانين .

قرار مجلس الحلفاء
وادماج وعد بلفور في صك الانتداب

يوم ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٢٠م دعا الجنرال بولز رؤساء الطوائف والأعيان إلى اجتماع في بيته ، وتلا عليهم التصريح التالي :—

« قرر مجلس الحلفاء انتداب دولة فلسطين ، وأن يدمج وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في معاهدة الصلح مع تركيا . وقد عرض هذا الانتداب على بريطانيا فقبلته وهي تحكم البلاد لخير سكانها ، وأتلو عليكم وعد بلفور وأقول لكم إن ادماجه في صك الانتداب يعني عدم التعرض للعادات الدينية والأماكن المقدسة ، ويسمح للمهاجرين بدخول البلاد على قدر حاجتها إلى النمو والارتقاء . . . الخ »[١] .

كان اليهود يتحركون داخل فلسطين وخارجها يساعدهم في ذلك تنظيماتهم المنتشرة في أنحاء العالم ونفوذهم المالي وتحكمهم بالدول الكبرى . . أما العرب فان غياب قياداتهم الواعية وتنظيماتهم الدقيقة ، وتسارع الأحداث من حولهم ، جعلهم يلهثون للحاق بركب الأحداث ويعبّرون عن استنكارهم لما يجري بسلسلة من العمليات الثورية التي هي أقرب إلى ردود الفعل منها إلى الفعل السليم مما جعل النتائج متواضعة لا قيمة لها . . إن لم تكن في كثير من الأحيان في صالح أعدائهم اليهود . . وأول هذه التحركات كانت ثورة ابريل عام ١٩٢٠م .

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص ١١٩ .

الفصل الثامن عشر

ثـورة عـام ١٩٢٠م

موسم النبي موسى . . احتفال تقليدي يعود إلى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي . فبعد أن حرّر المسلمون فلسطين من الاحتلال الصليبي ، سمح حكامهم ابتداء من صلاح الدين للافرنج بزيارة الأماكن المقدسة المسيحية بدون قيد ولا شرط ، فكانوا يأتون بأعداد كبيرة في المناسبات الدينية كأعياد الفصح (في القدس) ، والميلاد (في بيت لحم) وضابيطا (في يافا) . وخوفا من أن ينتهز الأفرنج هذه المناسبات وتجنبا لكل مفاجأة ، فقد قرر المسلمون إنشاء مواسم خاصة بهم مثل موسم النبي موسى ، يحتشد فيه المسلمون من جميع أنحاء البلاد في المناطق التي يجتمع فيها الأفرنج لاحباط أية مؤامرة قد يفكرون بها .

هذه هي حقيقة هذه المواسم . . ولكنها بعد احتلال فلسطين ومحاولة تهويدها ، استخدمت كأيام وطنية يظهر فيها المسلمون وحدتهم وقوتهم ، ويعبرون فيها عن سخطهم على الاحتلال . وفي موسم النبي موسى الذي صادف ابريل عام ١٩٢٠ احتشد المسلمون من مختلف مدن فلسطين ، كالعادة في بيت المقدس . . وقام الألوف منهم بزيارة مقام النبي موسى . ويوم ٤ ابريل وفي غمرة الحماس والهتافات الشديدة ، تجمعت الجماهير تستمع إلى عدد من الخطباء ، كان من أهمهم الشاب أمين الحسيني الذي استهل كلمته بأن رفع صورة الملك فيصل وقال : أيها العرب هذا ملككم ، قال ذلك ، وبدأ الرصاص يلعلع في الساحة ، فقد هاجم اليهود الاحتفال ، وكان الانجليز بالمرصاد فطوّقوا المنطقة وحموا اليهود من غضبة العرب . وفي الأيام التالية شدّدوا قبضتهم على المدينة واعتقلوا زعماء البلد وحاولوا اعتقال أمين الحسيني الذي حمّلوه

مسؤولية الثورة ولكنهم لم يستطيعوا العثور عليه . . فحكم غيابياً لمدة خمسة عشر عاما مع الأشغال الشاقة .

هذه هي ثورة القدس المسلحة التي كانت الشرارة لما بعدها من أحداث كبرى جرت على أرض فلسطين .

أما العدالة البريطانية التي يضرب بها المثل . فبعد هذا الاعتداء السافر على العرب الذي أسفر عن سقوط عدد من القتلى وأكثر من ٢٥٠ جريحا لم تتورع من أن تحكم على عدد كبير من الزعماء العرب بالسجن بين ١٠ و ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة . وعندما شكلت الادارة العسكرية لجنة للتحقيق عرفت بلجنة " بالف " فإن تقريرها لم ينشر لأنه أدان اليهود ، وعندما رفع الحاكم العسكري (بولز) تقريره حول الأحداث إلى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة وذكر فيه الحقائق . . كان جواب القيادة أن عزلوه من منصبه في فلسطين .

تشرشل يضع حجر الأساس
في بناء الجامعة العبرية

ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني يزور فلسطين في آذار عام ١٩٢١م ليضع بنفسه حجر الأساس في بناء الجامعة العبرية على جبل الزيتون . وفي ٢٨ آذار (مارس) من الشهر نفسه قدّم له السكان العرب مذكرة تتضمن خمسة مطالب هي :

* الغاء الوطن القومي اليهودي ،
* وقف الهجرة اليهودية ،
* وقف بيع الأراضي ،
* اقامة حكومة وطنية فلسطينية مسؤولة أمام البرلمان ،
* عدم فصل فلسطين عن الدول الشقيقة .

ولم يكن بامكان تشرشل إلا أن ينصح العرب بقبول وعد بلفور لأنه ليس بامكانهم أن يفعلوا شيئا آخر (1) .

---

(1) تاريخ فلسطين الحديث – عبد الوهاب الكيالي ص ١٧١ .

الفصل التاسع عشر

ثــورة عــام ١٩٢١م

نشبت في يافا في أول مايو (ايار) ١٩٢١م ثورة كبيرة ضد الوجود اليهودي والبريطاني فكانت ثورة فلسطين الثانية . وامتدت الاضطرابات إلى المناطق المجاورة ليافا ، ثم إلى منطقة اللد والرملة والمجدل ، واستمرت أسبوعا كاملا سقط فيها مئات الشهداء والجرحى العرب وقتل وجرح أكثر من ٥٥٠ يهوديا وجنديا بريطانيا [١] . وبعد اخماد الاضطرابات على أيدي القوات البريطانية بمنتهى القسوة والوحشية ، شكّل المندوب السامي لجنة برئاسة قاضي القضاة البريطاني (سير ثوماس هيكرافت) للتحقيق بالاحداث ورفع تقرير للحكومة البريطانية تضمنه اللجنة ما تراه مناسبا لمنع اضطرابات جديدة وحل النزاع الدائر في فلسطين . وبعد أن انتهت لجنة التحقيق من أعمالها رفعت إلى الحكومة البريطانية تقريرها وضمنته توصياتها ، وقد أدان التقرير السياسة البريطانية والحركة اليهودية ، ودعا الحكومة إلى المبادرة لتوضيح سياستها في فلسطين واتخاذ الوسائل اللازمة لازالة شكاوي العرب وإنشاء مؤسسات الحكم الذاتي في البلاد.

ادعت بريطانيا بأنها ترحب بالتقرير والتوصيات وأبدت استعدادها لمفاوضة العرب بشأن قضية فلسطين . عقد الفلسطينيون المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع في يافا عام ١٩٢١م وقرروا التجاوب مع توصيات اللجنة واستعدادات الحكومة البريطانية . . وأرسلوا وفداً إلى لندن برئاسة **موسى كاظم الحسيني** وعضوية الحاج ابراهيم حماد وشلبي الجمل وأمين التميمي ومعن الماضي وابراهـيم شمـاس للتباحـث حـول

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما – أميل الغوري ص ٦٠ .

القضية الفلسطينية . مكث الوفد زهاء عشرة أشهر في لندن ، واستغرقت مباحثاته مع وزارة المستعمرات وقتاً كبيراً ، طالب الوفد الحكومة البريطانية بالاستقلال ووقف الهجرة وإلغاء تصريح بلفور وصك الانتداب .

رفضت الحكومة البريطانيّة مطالب الوفد وأصدرت كتابا أبيض لعام ١٩٢٢م ضمنته مشروعها السياسي لحلّ قضية فلسطين .

الفصل العشرون

المؤتمر العربي الفلسطيني

أدرك الشعب في فلسطين أن اليهود عازمون على إنشاء وطنهم القومي . . وان وظيفة الانكليز ما هي الا تغطية هذه الجريمة . ومن أجل التصدي لهذه المؤامرة سارع الشعب إلى تشكيل مجلس تمثيلي أطلقوا عليه اسم المؤتمر العربي الفلسطيني ، يمثل الشعب المسلم في فلسطين ويتكلم باسمه . . عقد هذا المجلس عدة مؤتمرات هي :

المؤتمر الأول :

افتتح المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في القدس في يناير ١٩١٩م ، حضره مندوبون يمثلون مختلف مناطق فلسطين . أهم مقررات المؤتمر رفض تصريح بلفور ، والهجرة اليهودية ، والانتداب البريطاني ، والمطامع الفرنسية في المنطقة . طالب بالوحدة السورية باعتبار فلسطين جزءها الجنوبي ، ورفض شعار فلسطين للفلسطينيين الذي رفعه اليهود .

المؤتمر الثاني :

كان من المقرر عقده في فبراير (شباط) ١٩٢٠م ، لمتابعة قرارات المؤتمر الأول ورعاية الحركة الوطنية ، ولكن بريطانيا كانت تخشى مثل هذه المؤتمرات في هذه المرحلة فأصدرت أوامرها ومنعت بالقوة المسلحة انعقاد المؤتمر ، كما منعت المظاهرات والاجتماعات وفرضت رقابة على الصحف (١)

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ص ١٢٨ .

المؤتمر الثالث :

عقد في حيفا خلال الفترة (١٣-١٩) ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠م ، وكرّر المجتمعون مطالبهم السابقة وأضافوا ضرورة تشكيل حكومة وطنية ، وكان الحاج أمين الحسيني هو (الدينمو) وراء انعقاد المؤتمر . وقد عمل مع غيره من الشباب من وراء الزعامات التقليدية على انجاح المؤتمر .

من أهم القرارات التنظيمية كانت انتخاب لجنة تنفيذية للمؤتمر عرفت **باللجنة التنفيذية** ، مقرها القدس ومهمتها متابعة تنفيذ المقررات .

بعث المؤتمر مذكرة إلى المندوب السامي أعرب فيها عن عدم رضاه عن شكل الادارة الحالية لأنها مخالفة لرغبات الشعب وأهم الأسباب :

١- اتخاذ صلاحية سن القوانين لنفسها بدون مجلس تشريعي منتخب وقبل صدور قرار عصبة الامم النهائي .

٢- اعترافها بالجمعية الصهيونية كهيئة رسمية .

٣- شروعها بتنفيذ المآرب الصهيونية كالهجرة واستخدام اللغة العبرية .

٤- تعيينها مجلسا استشاريا والأصل فيه أن يكون منتخباً .

٥- وجود زعماء صهيونيين في أعلى مراكز السلطة . (١)

المؤتمر الرابع :

أهم مقرّرات هذا المؤتمر الذي عقد في القدس خلال الفترة (٢٩/٥-٤/٦) ١٩٢١م في أعقاب ثورة يافا ، هي انتخاب وفد برئاسة كاظم الحسيني للسفر إلى لندن لعرض القضية الفلسطينية مباشرة على وزير المستعمرات والوزارات البريطانية . . فاذا لم يستطيعوا التفاهم مع الادارة البريطانية في فلسطين فليسعوا إلى

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية (المرجع السابق) ص ١٤١ .

التفاهم مع الوزراء في لندن .

إن طبيعة هذا البحث لا تسمح بمزيد من التفاصيل ولا الوقوف على الكثير من المواقف التي كانت جزءا من نكبة فلسطين .

إن المدقق في تاريخ هذه الحقبة ليستغرب مدى الغفلة السياسية التي كانت تعيشها زعامات البلاد . . تحالفوا مع بريطانيا مقابل ن تمنحهم بريطانيا دولة عربية متحدة . وبدل الدولة الموحدة " قبضوا" انتدابا يطبق وعد بلفور لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . اللجنة الصهيونية بزعامة وايزمن تبني وتتصرف في فلسطين ، والعرب يحتجون ويتظاهرون ويثيرون (طوشه) هنا وهناك كلما كان لليهود مصلحة في ذلك . وزير المستعمرات تشرشل يحضر إلى فلسطين لوضع حجر الأساس للجامعة العبرية . . ويرفض أن يقابل الوفد الفلسطيني ، فيسافر الوفد إلى لندن يلتمس العدل البريطاني ومقابلة تشرشل . . وعندما تفضل وزير المستعمرات وقابل الوفد نصحه بمقابلة وايزمان . ليتهم تعلموا من أعدائهم اليهود عندما تجمعوا من كل أنحاء الدنيا لا يجمعهم لسان ، ولم يضمهم سابقاً بلد . . جاءوا يحدوهم الأمل باقامة دولتهم على أنقاض شعب قائم ويد كل منهم على الزناد . . كيف غفلت هذه الأمة عن الطريق الوحيد الذي تسلكه الشعوب في التحرير ؟

المؤتمر الخامس :

عقد في نابلس بتاريخ ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٢٢م في جو عاصف من المشاعر الوطنية في أعقاب عودة الوفد الفلسطيني برئاسة موسى كاظم الحسيني بعد أن خاب أمله في امكانية التفاهم مع بريطانيا حول عدالة قضية فلسطين . وهذا المؤتمر من أعظم المؤتمرات الوطنية التي عرفتها فلسطين خلال الحكم البريطاني . كما كان يمثل الشعب أصدق تمثيل فقد اشترك فيه زعماء الحركة الوطنية وممثلو المدن والقرى والمحامون والصيادلة والأطباء والتجار والمعلمون والعلماء ورجال الدين وأصحاب الصحف

وشيوخ القبائل والعشائر ومعظم رؤساء البلديات .

بحث المؤتمرون شؤون البلاد ، والكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا واعلنوا رفضهم له ومقاطعة مشروع إنشاء مجلس تشريعي لفلسطين .

هذا وقد أدى الأعضاء القسم التالي :

(نحن نوّاب المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس ، نعاهد الله والتاريخ والأمة على أن نواصل السعي في سبيل استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بالذرائع المشروعة القانونية . وأن لا نرضى بالوطن القومي اليهودي والهجرة اليهودية) [1] .

وواضح هنا أن عبارة " الوسائل المشروعة والقانونية " . . ما زالت تعبر عن نفس العقلية الروتينية التي لم تتعلم من الأحداث بعد .

المؤتمر السادس :

عقد المؤتمر في ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٢٣م في مدينة يافا . . وليس في مقرراته من جديد غير رفض المعاهدة التي أبرق الشريف حسين بها إلى رئيس اللجنة التنفيذية وعموم آل فلسطين يبشرهم بآمال جديدة تنتظرهم من بريطانيا الحليفة ، وغير ارسال وفد آخر ليكون على مقربة من وفد الشريف في لندن للاطلاع عن كثب على مفاوضاته مع الانجليز ، والذي عاد بعد ذلك بخفّي حنين .

ولا بأس أن نثبت هنا برقية الشريف الحسين للعبرة فقط :

(رغبة لوقوفكم على الحقيقة وضرورة اعلانه للعموم فقد صرحنا في هذا العيد المبارك بمآل معاهدتنا العربية — البريطانية المؤسسة على مقرراتنا الاساسية التي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا باستقلال العرب في جزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة لكل هذه

---

(١) القيادات والمؤسسات الفلسطينية (المرجع السابق) ص ١٦٣ .

البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر بلاد العرب في جزيرة العرب ما عدا عدن) [1] .

المؤتمر السابع والأخير :

عقد في القدس خلال الفترة (٢٠-٢٧) حزيران (يونيو) ١٩٢٨م . وهو آخر مؤتمر برلماني عقد في فلسطين . كانت أبرز القضايا المحلية أمام المؤتمر قضية ضريبة الأعشار والقروض الزراعية والمصرف الزراعي ، وقضية الجنسية والمهاجرين الوطنيين ، وقضية امتياز البحر الميت ، وقضية المطالبة بالحكم البرلماني . وقد تشكلت لكل واحدة من هذه القضايا لجنة خاصة تتابع بواسطة اللجنة التنفيذية التي انتخبت برئاسة موسى الحسيني . الجديد في هذا المؤتمر هو نمو روح المعارضة فيه ، حتى أن المطالبة برفض وعد بلفور لم ينص عليها صراحة ضمن قرارات المؤتمر .

علقّ عزة دروزة على هذا المؤتمر فقال :

اشترك فيه مجاهدون كما دخله منافقون بل وسماسرة وباعة أراض وجواسيس ، وكان أضعف مؤتمرات فلسطين [2] .

وهكذا حاولت بريطانيا منع قيام البرلمان الفلسطيني منذ البداية فأخفقت ، حاولت التأثير على قراراته في مؤتمراته الأولى ففشلت ، ولكنها وصلت أخيراً إلى شيء من مبتغاها في المؤتمر السابع .

الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢م

في حزيران (يونيو) عام ١٩٢٢م ، أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض

---

(١) القيادات والمؤسسات الفلسطينية (المرجع السابق) ص ١٧١ .

(٢) حول الحركة العربية الحديثة – عزة دروزة ٣ : ٥٤

، وقد اشتمل على دستور لفلسطين ، وعلى سياسة عامة مبنية على أساس الانتداب ووعد بلفور ، مؤكداً أنهما لا يقبلان التغيير . ونصّ هذا الكتاب أيضاً على تأسيس مجلس تشريعي ، ليس له أي حق في التعرض :

* لمبدأ الانتداب .
* أو الوطن القومي لليهود .
* أو الهجرة اليهودية .
* أو شؤون فلسطين المالية .

وقد رفضه عرب فلسطين رفضاً باتاً ، كما رفضوا المجلس التشريعي الذي نصّ على أن يكون للسكان العرب ١٠ أعضاء من أصل ٢٣ عضوا ، على الرغم أنهم يمثلون ٩١ ٪ من السكان . وقد رحّبت الجمعية الصهيونية بالكتاب ، وتعهدت بالسير على مقتضاه ، وقد أعترف وايزمن في مذكراته أن الحكومة البريطانية عرضته على الجمعية الصهيونية قبل إصداره [١] .

وكما رفض الفلسطينيون المجلس التشريعي المشلول هذا ، رفضوا كذلك **المجلس الاستشاري** الذي أعلنت بريطانيا عن تشكيله في وقت لاحق ، كما رفضوا **الوكالة العربية** التي اقترحتها بريطانيا في مطلع ١٩٢٣م . كانت بريطانيا ترغب في شكليات تمرّر بها جريمتها ولكن وعي المواطنين أفسد عليها شكلياتها .

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية (المرجع السابق) ص ٦٠ ، وكتاب حقائق عن قضية فلسطين – محمد أمين الحسيني ص ٣٩ .

الفصل الحادي والعشرون
الخطوات العملية لتهويد فلسطين

منذ وطئت أقدام بريطانيا فلسطين . . كانت خطط تهويدها جاهزة . . فالعهود والوعود والخطط متفق عليها قبل نهاية الحرب العالمية الأولى بين الادارة البريطانية وبين الصهيونية العالمية . . استدعيت اللجنة الصهيونية برئاسة وايزمن لتشرف على التنفيذ ومعها كل الصلاحيات . وعيّن الصهيوني هربرت صموئيل مندوبا ساميا بريطانيا في فلسطين ليحكم العملية ويمنع من أن يصيبها أي خلل .

أما خطوات التهويد العملية فقـــد شمـلـــت :

أولاً : الهجرة :

لا معنى لوطن قومي لليهود . . ليس فيه يهود . ولقد حاولت الصهيونية تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين منذ أيام الخلافة العثمانية وأغرت خلفاء بني عثمان بملايين الليرات الذهبية . . فأبوا وأصدروا التشريعات التي تحول دون تسرّب اليهود إلى فلسطين . وانكسر هذا القيد مع سقوط السلطان عبد الحميد واستلام أصدقاء اليهود من جماعة الاتحاد والترقي الحكم في استانبول ثم زادت حدة الهجرة مع الانتداب البريطاني .

والجدول التالي يبين لنا عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين :

السنـــــة	عدد المهاجرين اليهود [1]
١٩١٩	١٠٨٦
١٩٢٠	٨٢٢٣
١٩٢١	٨٢٩٤
١٩٢٢	٨٦٨٥
١٩٢٣	٨١٧٥
١٩٢٤	١٣٨٩٢
١٩٢٥	٣٤٣٨٦
١٩٢٦	١٣٨٥٥
١٩٢٧	٣٠٣٤
١٩٢٨	٢١٧٥
١٩٢٩	٥٢٤٩
١٩٣٠	٤٩٤٤
١٩٣١	٤٠٧٥
١٩٣٢	٩٥٥٣
١٩٣٣	٣٠٣٢٧
١٩٣٤	٤٢٣٥٩
١٩٣٥	٦١٨٥٤
١٩٣٦	٢٩٧٢٧

معظم المهاجرين اليهود كانوا من الشبان الذين ينضمون إلى معسكرات للتدريب في

---

(١) الاحصاءات مأخوذة عن احصاءات حكومة فلسطين زمن الانتداب ، منشورة في كتاب الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية (المرجع السابق) ص ٦٣ .

بولونيا أو ألمانيا أو ايطاليا أو النمسا أو دول أوروبا الشرقية ثم يرسلون بعد ذلك إلى فلسطين . وهكذا فقد كانت طليعة المهاجرين اليهود إلى فلسطين عبارة عن جيش مدرب مسلح مهمتة الاستيلاء على البلاد بقوة السلاح.

ثانيا : الأرض:

منذ العهد العثمانى، تشكلت جمعيات صهيونية أمريكية وأوروبية عديدة لتمويل شراء الأراضى الفلسطينية من أجل إقامة المزارع اليهودية الفردية والجماعية .. وكانت فلسفتهم أن الارتباط وثيق بين الإنسان والأرض، وأن المهاجر اليهودى القادم إلى فلسطين لابد من أن يجد له أرضا أو مزرعة . عند الاحتلال البريطانى لفلسطين عام ١٩١٨م ، لم يكن اليهود يملكون أكثر من ٢٪ أى نحو ١٦٢,٥٠٠ فدان من أصل ٦,٥٨٠,٧٥٥ فدان [1] هى مساحة فلسطين (أى ما يعادل ٢٦ ألف كم٢) . أما عند انتهاء الانتداب عام ١٩٤٨م وعلى الرغم من جميع المحاولات التى بذلوها فلم تزد ممتلكاتهم على ٥,٦٧٪ من مجموع الأراضى .

وكانت الأراضى موزعة كما يلى [2]:

المالك	المساحة (بالفدان)	النسبة المئوية
العرب (أفراد)	٣,١٤٣,٦٩٥	٤٧,٧٩٪
أملاك دولة	٣,٠٢٨,٦٢٣	٤٦,٠٠٪
اليهـــود	٣٧٢,٩٢٥	٥,٦٧٪
سكان آخرون	٣٥,٥١٢	٠,٥٤٪
المجموع	٦,٥٨٠,٧٥٥	١٠٠٪

---

(١) الموجز فى تاريخ القضية الفلسطينية ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

كان اليهود يحاولون الحصول على الأرض بمختلف الوسائل عن طريق الشراء اذا استطاعوا ، أو عن طريق المندوب السامي الذي أصبح من صلاحياته منح أو تأجير أملاك الدولة بالسعر الذي يراه وللمدة التي يقررها . كذلك أصدرت الحكومة مجموعة من القوانين التي من شأنها إفقار الفلاح العربي وجعله عاجزاً مالياً بحيث يضطر أمام الحاجة إلى بيع أرضه (1) . على الرغم من كل هذه الاجراءات القسرية والضغوط الهائلة التي تعرض لها الفلسطيني فلم يفرط في أرضه . وما القول الذي روّجت له الصهيونية العالمية بأن العرب باعوا أرضهم لليهود إلا دعاية رخيصة ليس لها نصيب من الصحة . .

ومنذ تأسيس المجلس الاسلامي الأعلى عام ١٩٢٢م بزعامة المفتي الحاج أمين الحسيني وهو يمنع بواسطة المحاكم الشرعية بيع أي أرض ، وكذلك اشترى المجلس كثيراً من الأراضي التي كانت عرضة للبيع . كما قامت بعض المنظمات **كصندوق الأمة** بمثل هذا العمل . ولقد أصدر العلماء فتوى شرعية بتكفير من يبيع الأرض لليهود أو يسمسر على بيعها .

كان لليهود خمس منظمات كبرى هي **الوكالة اليهودية** ، **وجمعية الاستعمار اليهودي لفلسطين (بيكا) والجمعية الانجليزية اليهودية** ، **والوكالة الاسرائيلية العالمية** ، **وجمعية رأس المال اليهودي** القومي (**كارن كايمت**) مهمتها جميعاً شراء الأراضي واقامة المستعمرات الزراعية اليهودية .

---

(١) مثل ضريبة العشر على انتاجه نقداً ، ومنع تصدير الزيوت والحبوب لخفض أسعارها .

ثالثاً : القــوة الاقتصادية :

عملت حكومة الانتداب على تشجيع الصناعات اليهودية وحمايتها برفع الضرائب على استيراد البضائع المماثلة ، وبالمقابل تخفيض الضرائب أو الغائها عن جميع المواد التي تحتاجها الصناعات اليهودية . . كما منحت حكومة الانتداب لمستثمرين يهود معظم مشاريع البلاد الهامة مثل مشروع استغلال أملاح ومعادن البحر الميت ومشروع امتياز روتنبرغ لتوليد الكهرباء من مياه نهري الاردن واليرموك (١) .

رابعاً : التعليم :

سمحت الدولة المنتدبة لليهود بإنشاء مدارسهم الخاصة بهم في جميع المراحل التعليمية بما فيها جامعتهم العبرية . . كانت لهم دائرة تربية وتعليم مستقلة تشرف عليها وتديرها اللجنة الصهيونية (٢) . وعن طريق التربية والتعليم اليهودي وجّهوا الشباب اليهود القادمين من أنحاءالعالم . عبّأوه بالحقد على سكان البلاد ، وملأوه بالآمال والأحلام بأن تكون فلسطين مجرد مرحلة ينطلقون بعدها لاستعمار واستثمار كامل المنطقة العربية الغنية .

خامساً : القوانين والادارة :

استطاعت اللجنة الصهيونية تحت اشراف وتشجيع الادارة المنتدبة أن تشرّع القوانين اللازمة لحماية اليهود واستقرارهم واقامة دولتهم ، وبالمقابل سنّ القوانين التي تجعل أعداءهم يشعرون يوما بعد يوم بالاختناق والرغبة في الانعتاق والابتعاد .

هذه هي بعض آثار ادارة الانتداب في فلسطين والتي شكلت الخطوات العملية لتهويد البلاد .

(١و٢) المصدر السابق ص ٦٧ .

الفصل الثاني والعشرون

ثورة البراق عام ١٩٢٩م

بـدايـات الثـورة :

البراق هو مكان معيّن صغير من الحائط الغربي للحرم الشريف في بيت المقدس . سمي بالبراق نسبة إلى البراق الذي امتطاه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ليلة الاسراء . فهو أحد الآثار الاسلامية في الحرم المقدسي الشريف .

وهو في الوقت نفسه مكان مقدس عند اليهود ، فهم يعتقدون أنه الجدار الباقي من الهيكل الأخير الذي بناه " هيرودس " ، كما يعتقدون أن هيكل سليمان (عليه السلام) كان قائما في نفس المكان .

واليهود يحجون من أنحاء العالم إلى هذا الجدار يبكون عنده أسفا على هدم الهيكل ، ويقدمون الصلوات والدعوات يكتبونها في أوراق يضعونها في شقوقه . هذا دينهم منذ مئات السنين ، يذكّرون شعبهم بماضيهم ، ويربطون هذا الماضي بفلسطين . واذا كان المسلمون في الماضي يسمحون لليهود بزيارة حائط المبكى تسامحاً ، فإن اليهود اليوم وفي ظل دولة الانتداب يريدون أن يفرضوا وجودهم وأن يحوّلوا هذه العادة إلى حق مكتسب ثم إلى حق الملكية ، وأول محاولة لهم كانت سنة ١٩٢١م ، فقد أرسلت اللجنة الصهيونية إلى ستورز حاكم القدس رسالة احتجاج على اصلاحات المفتي في الحائط بدون إذن اليهود [١] .

ابتدأ النزاع حول هذه القضية يتخذ طابع الحدة والمجابهة منذ أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩٢٨م فقد قام اليهود بمظاهرة كبرى عدائية قرروا على اثرها مطالبة الحكومة رسمياً

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٢١٨ .

أن تسلمهم حائط المبكى وأن تعترف لهم بملكيته [1] .

فالأمر اذن جدّ لا هزل فيه ، فتنادى المسلمون إلى عقد اجتماع عام في المسجد الأقصى في ٣٠ أيلول ١٩٢٨م . . تدارسوا فيه خطورة الموقف وطالبوا بعقد مؤتمر اسلامي عام يتولى حفظ المقدسات الاسلامية .

المؤتمر الاسلامي عام ١٩٢٨م

تنادى المسلمون من داخل فلسطين وخارجها إلى عقد مؤتمر اسلامي عام في القدس لحماية المقدسات من المؤامرة الكبرى التي تحاك ضدهم .

وبالفعل ففي أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨م عقد المؤتمر برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني وحضره حوالي ٧٠٠ شخصية اسلامية من داخل فلسطين وخارجها .

وكانت أهم قرارات المؤتمر :

١- استنكار كل محاولة ترمي إلى احداث حق لليهود في مكان البراق ، وتحميل الحكومة مسؤولية ما يحدث عند اقدام المسلمين على الدفاع عن حقهم .

٢- اعتبار القضية اسلامية تهم جميع المسلمين في العالم ، وعليهم أن يقوموا بمسؤولياتهم تجاه المؤامرة .

٣- تشكيل « **جمعية حراسة الأقصى والاماكن الاسلامية المقدسة** » التي تتعاون مع « **لجنة الدفاع عن البراق الشريف** » ، مهمتها تنفيذ قرارات المؤتمر الاسلامي وإنشاء فروع لها في جميع أنحاء العالم الاسلامي

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٩ .

هذا وقد أبرق الحاج أمين الحسيني إلى الأمير شكيب أرسلان واحسان الجابري ورياض الصلح في جنيف يوكلهم نيابة عن المؤتمر بالدفاع عن قضية البراق لدى عصبة الأمم .

كانت بريطانيا تدرك تماماً معنى انعقاد المؤتمر الاسلامي ، ومعنى أن تتحول القضية من قضية محلية فلسطينية تهم مجموعة من المواطنين إلى قضية اسلامية عامة تشغل العالم الاسلامي بأسره . . مما اضطرها إلى تخدير المشاعر واصدار كتابها الأبيض بشأن البراق الذي اعترف بملكية المسلمين للحائط وضمن لليهود حق زيارته .

المؤتمر الصهيوني

لنفس السبب ، ورداً على المؤتمر الاسلامي ، فقد تنادى زعماء الصهاينة إلى مؤتمر عام في زيوريخ ، خصّصوه لبحث قضية حائط المبكى ، وطالبوا الحكومة البريطانية بالغاء كتابها الأبيض ورعاية حق اليهود التاريخي في هذا المكان .

ثورة البراق

في حزيران (يونيو) ١٩٢٩م قامت دائرة الأوقاف الاسلامية بإجراء بعض الاصلاحات في حائط البراق ، فاعتبرها اليهود تحديا لهم ، وراحت صحفهم تدعو يهود العالم إلى الثورة لتخليص الحائط (الذي ختم بدم عشرات الألوف من أبنائها في ألفي سنة والذي استنزف من اسرائيل العبرات في زهاء ألفي عام) .

كانت مظاهرة اليهود الضخمة في ١٤ آب (اغسطس) ١٩٢٩م في تل أبيب بمناسبة ذكرى تدمير هيكل سليمان ، ثم المظاهرة الكبرى التي قاموا بها في القدس في اليوم التالي ، الشرارة التي أشعلت فتيل ثورة البراق ، فقد تجمع المسلمون في اليوم التالي (الذي صادف يوم الجمعة وذكرى المولد النبوي الشريف) في باحة المسجد الأقصى وانطلقوا في مظاهرة ضخمة تحطم كل ما أحدثه اليهود من مظاهر إلى جانب

حائط البراق .

وأخذت الاشتباكات تتوالى حتى كان الانفجار الكبير يوم الجمعة في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٢٩م ، ويعرف هذا الانفجار بثورة البراق ، فقد هجم العرب بأعداد كبيرة على اليهود ، مما أدى إلى تدخل البوليس البريطاني بعنف مستخدماً الأسلحة المختلفة والطائرات الحربية . وانتقلت الاشتباكات من القدس إلى المدن الأخرى والقرى ، وشهدت فلسطين لأول مرة أسبوعاً دموياً بين العرب من جهة وكل من البريطانيين واليهود من جهة أخرى ، وسقط نتيجة الاشتباكات عشرات القتلى والجرحى من الجانبين . . ومما زاد الموقف التهاباً المنشور الذي أصدره المندوب السامي البريطاني الذي لم يكن متحيزا لليهود فقط ، بل وكان كاذبا ووقحا [1] . ومما جاء في البيان :

« ان هذه الجرائم التي اقترفها العرب الأشرار سفاكي الدماء عديمي الرأفة أنزلت على فاعليها لعنات جميع الشعوب المتمدنة . . . » [2] .

لجنة شو للتحقيق :

كالعادة ، كانت بريطانيا ترسل في أعقاب الأحداث أو المعارك التي تجري بين الطرفين اليهود والمسلمين ، لجنة للتحقيق . ولم يكن لهذه اللجان أو لقراراتها التي تأتي على الاغلب لمصلحة سكان البلاد ، أية نتائج عملية . بل كانت لامتصاص النقمة وكسب الوقت وحتى يقال : العدل البريطاني (!) .وهكذا كانت لجنة شو التي أرسلت في ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٩م برئاسة السيد والتر شو قاضي قضاة ملقا سابقاً . .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

(٢) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ص ١٣٨ .

ولقد أهتم كل من العرب واليـهود بهذه اللجنة . . **أما العرب** فقد شكلت اللجنة التنفـيذية للمـؤتمر العربي الفـلسطيني (قيـادة الحركـة الوطنية) عـدة لجان من المحـامين والخبـراء والمطلعين لاعداد الدراسات والمذكـرات عن قضـية فلسطين وحقـوق أهلها . ولقد أعـد المجلس الاسلامي الأعلى مـجموعـة من الدراسات والتقـارير المتعـددة بشأن فلسطين والأماكن المقدسة وحـقوق المسلمين فيها . وتقرر أن يتولى عـرضها أمام اللجنة سماحة الحاج أمين الحسيني .

أما اليهود فقد علقوا آمالاً كبـيرة على هذه اللجنة ، يدفعهم تغلغلهم في الاحزاب والاوسـاط البريطانيـة ونفـوذهم المعروف في الاوسـاط السـياسيـة ، وأظهرت الجـبهـة الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية فيمـا بعد) أهتماما كبيرا في الاستعداد لمقابلة اللجنة والدفـاع عن وجهـة نظر اليهـود ومطالبـهم أمامـها . فـشكلت سبع لجـان فنية لاعـداد الدراسات اللازمة .

ودارت مناقـشـات اللجنة بصـورة خـاصـة حول مـواضـيع : الحكم الذاتي والهـجـرة والأراضي وأوضاع فلسطين الاقتصادية .

وعندما رغبت اللجنة الاستمـاع إلى شهادة المفـتي . رفض المثول أمامـها باعتـباره يمثل المجلس الاسلامي الأعلى . . فأذعنت اللجـنة وحضرت بنفسها إلى مـقر المجلس . ولقد ألقى المفتي بياناً ممتازاً . . وأجاب على استيـضاحات رئيس اللجنة . وعندما سأله محامي اليهود :

- هل صحيح أنه صدر عليك حكم بالسجن عام ١٩٢٠م ؟
- نـعـم
- ولمـاذا ؟
- لأنـه قبـل ١٩٠٠ سنة صدر حكم من الحاكم الروماني في القدس على

السيد المسيح لأن اليهود تقدموا بشكوى ضده [1] .

توصلت اللجنة إلى نتائج نظرية : أرضت العرب مثل التوصية بالحد من الهجرة اليهودية ووضع قيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود ، وباعادة بريطانيا النظر في سياستها في فلسطين بحيث توافق الطرفين ،

ونتائج عملية : كانت في مصلحة المحتل مثل تحويل الثورة إلى مصالحةواعلان الثقة بالحكومة البريطانية .

لقد شكلت الحكومة البريطانية في كثير من المناسبات ، نيفا وعشرين لجنة من لجان التحقيق لدرس مشكلة فلسطين وتقديم التواصي لمعالجتها على أساس بحث شكاوي الأهلين وتجنب قيام اضطرابات جديدة . وكان من أهم تلك اللجان لجنة السير ولتر شو البرلمانية ، ولجنة السير **جون هوب سمبسون** ، ولجنة **لويس فونش** . وقد اعترفت جميع تلك اللجان بصحة شكاوي العرب وحرمانهم من حقوقهم ، وأوصت الحكومة البريطانية باتخاذ الوسائل لمعالجة شكاياتهم ، ولكن الحكومة لم تنفذ أية توصية من التوصيات التي جاءت لصالح العرب .

وهكذا استبان للعرب أن القصد من تشكيل تلك اللجان إنما كان للمراوغة والتخدير [2] .

شهداء ثورة البراق :

في أعقاب ثورة البراق أصدرت المحكمة البريطانية أحكاماً جائرة على الشبان العرب الذين اشتركوا في الثورة شملت أحكاماً بالإعدام وأحكاماً بالسجن المؤبد

---

(١) فلسطين عبر ستين عاماً – أميل الغوري ١ : ١٣٧ .

(٢) حقائق عن قضية فلسطين – محمد أمين الحسيني ص ٤٥ .

وأحكاماً أخرى في منتهى القسوة . وفرضت غرامات باهظة على بعض المدن والقرى . وعلى الرغم من كل الوساطات العربية التي بذلت ، إلا أن المحكمة أصرت على تنفيذ أحكام الإعدام في المناضلين الثلاث :

* محمد جمجوم
* فؤاد حجازي
* عطا الزير ، ولقد تحول اليوم الذي أعدموا فيه وهو السابع عشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٠م إلى يوم خالد في تاريخ فلسطين . والقضية الهامة قد تنعشها المؤتمرات والمظاهرات . . ولكنها بالتأكيد لا تعيش حية الا بتقديم الشهداء . ولا بأس أن ننقل هنا ما نشرته جريدة الزهور الحيفاوية تصف يوم الاعدام :

« لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوماً مثل يوم ١٧ حزيران (يونيو) الرهيب ، لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد ،
وأنشدت الجماهير :

يا ظلام السجن خيّم   اننا نهوى الظلاما
ليس بعد السجن الا   فجر بدر يتسامى

وقد خيّمت روعة الموت ، وسادت رهبة الموقف ، بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وايابا ، والمدفع معد ، والسيف مصلت ، والطيارات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب » [1] .

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ص ١٤٢ .

لجنة البراق الدولية :

تنفيذا لوصية لجنة شو ، أوفدت لندن « لجنة البراق الدولية » التي أصدرت بعد تحقيقات مطولة قرارا صدر عن قصر بكنغهام بتاريخ آيار (مايو) ١٩٣١م ينص على ما يلي :-

* للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف الاسلامي . وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشريعة الاسلامية لجهات البر والخير .

* وكما أعطى للمسلمين هذا الحق ، فقد أعطى للملك (ملك بريطانيا) ولورثته وخلفائه أن يلغوا هذا الأمر أو يعدلوه أو يغيّروه في أي وقت كان .

* وأعطى كذلك لليهود حقوقا ليست لهم .

ولهذه الأسباب فقد رفض المسلمون قرارات لجنة البراق الدولية [١] .

الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠م

في أعقاب ثورة البراق ١٩٢٩م ، أصدرت الحكومة البريطانية في اكتوبر ١٩٣٠م كتابا أبيض عرف باسم كتاب باسفيلد ، (وزير المستعمرات) . وكان هذا الكتاب قائما على أساس تقرير لجنة شو الذي نصّ على وقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي لليهود [٢] . ولقد أصدر عرب فلسطين بيانا قانونيا وتاريخيا مهما حول

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٢٣٢ .

(٢) حقائق عن القضية الفلسطينية (المصدر السابق) ص ٤٥ .

الكتاب الأبيض جاء فيه : « ما دام الكتاب الأبيض يؤكد بحزم أنه لا توجد في فلسطين أراض ميسورة للمزارعين الجدد من المهاجرين ، وما دام الوطن القومي اليهودي لا يؤسس بدون أرض وبدون رجال كما أعلن ذلك وايزمان في رسالته للمندوب السامي في ٢ مايو ، فلنا أن نقول بكل حزم أنه لا يمكن التوفيق بين خلق وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم الاضرار بالعرب فيها » .

ومع ذلك . . فان العرب لم يرفضوا الكتاب الأبيض وما تضمنه من سياسات ولكنهم أعلنوا أن المهم ليس المبادىء والنصوص ، ولكن المهم تنفيذها . . [١] .

يذكر مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني أنه ناقش المستر ماكدونالد رئيس الوزراء البريطاني حول الكتاب الأبيض وقال له : « لقد دلت التجارب على أن كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريده اليهود لا ينفذ ، واذا كان التقرير في صالح اليهود نفذ فوراً وانا لنخشى أن يكون مصير هذا التقرير كذلك والدليل على هذا ارسالكم لجنة كمبسون ولمّا يجف مداد تقرير لجنة شو بعد[٢] .

وبالفعل فقد هاجم اليهود الكتاب الأبيض وأثاروا حوله ضجة كبيرة ، ففي اليوم التالي لصدوره ، استقال وايزمان من رئاسة الجمعية الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية فيما بعد) ، واستقال بعده عدد من الصهيونيين المعروفين ، وتحركت الصهيونية في أوربا وأمريكا ، وقامت المظاهرات في هذه البلدان تستنكر الفعل البريطاني ، وأعلن تشرشل وسمطس وغيرهم من حماة الصهيونية معارضتهم للكتاب الأبيض ، وأعلن وزير المستعمرات أنه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وأصدر رئيس الوزراء (ماكدونالد) رسالة وجهها إلى وايزمان الغاضب المستقيل ينسخ فيها كل

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن (المصدر السابق) ص ١٥٤ .

(٢) حقائق عن القضية الفلسطينية (المصدر السابق) ص ٤٦ .

مــا جــاء في الكتــاب الأبيــض . . وممــا جــاء فــي الــرســالــة (٤ نوفـمبـر ١٩٣٠م) التي سماها بالكتاب الأسود ما يلي :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع اليهود في أراضي البلاد يبقى التزاماً ايجابياً من التزامات الانتداب . والكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك أراضي جديدة . . الخ » .

ولا نظن أننا بحاجة إلى تحليل مواقف بريطانيا . . لماذا أصدرت كتابها ولماذا نقضته ، فسياساتها في المنطقة الاسلامية تقوم أساساً على المكر والخديعة والكذب وتحقيق مصالح اليهود التي كانت تنظر لها على أنها جزء من مصالحها الامبريالية والغربية . أما ما عدا ذلك من بعض العواطف الفارغة فلخداع المغفلين من ساسة فلسطين . . وبريطانيا لا تعبأ أساساً بالمغفلين .

الفصل الثالث والعشرون

الفلسطينيون على مفترق الطرق

من آثار ثورة البراق . . أنْ أدرك الشعب الفلسطيني أنه وحده في المعركة . وأن جميع المواثيق والعهود ، والكتب البيضاء منها والسوداء ، والعهود البريطانية السابقة منها واللاحقة ، وزيارات لندن والتفاوض مع وزرائها في زمن تشرشل ومن بعده ، لا قيمة لها على الاطلاق . ولقد تجلت حالة اليأس هذه في البرقية التي بعث بها الوفد الفلسطيني الذي زار لندن في مارس ١٩٣٠م برئاسة موسى الحسيني إلى اللجنة التنفيذية في القدس والتي جاء فيها : « لقد رفضت بريطانيا مطالبنا العادلة ، وبناء عليه فقد أقفلت المفاوضات ، وسيعود الوفد إلى البلاد معتقداً أن القضية العربية سوف لا تحل حلاً عادلاً من قبل الحكومة الانجليزية التى يؤثر عليها الصهيونيون . ان شعبنا سيقاوم هذه السياسة بكل ما لديه من قوى سلمية . . . » (١) .

وهنا ، وعلى مفترق الطرق هذا نحتاج إلى وقفة نحلل فيها العناصر الفاعلة على الساحة في فلسطين من ناحية الشخصيات أو الأفكار المتصدية للأحداث .

---

(١) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي ص ١٧٢ .

الحاج أمين الحسيني : [1]

من أقوى الشخصيات التي برزت على الساحة الفلسطينية في هذه الفترة كان المفتي الحاج أمين الحسيني . ومن المناسب أن نلقي بعض الضوء على شخصيته لنتعرف على الطريقة التي أدار بها الأحداث خلال فترة تزعمه للحركة الوطنية في البلاد .

ولد محمد أمين في القدس عام ١٨٩٧م ، ونشأ في بيئة اسلامية فقد كان والده محمد طاهر مفتيا للقدس . تلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدارس بلده ، الا أن ثقافته المنزلية امتازت بعناية خاصة ، فقد اهتم والده بتعليمه العلوم الشرعية واللغة الفرنسية واللغة العربية ، وهيّأ له اساتذة متخصصين في هذه العلوم . انتقل عام ١٩١٢م إلى القاهرة ، وهناك أخذ يتردد على دور علمية ثلاثة في آن واحد ، الجامع الأزهر حيث يتلقى المزيد من العلوم الشرعية ، ودار الدعوة والارشاد لصاحبها السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار وداعية الاصلاح الديني يومذاك ، وكلية الآداب في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة فيما بعد) . لم يستطع اكمال دراسته ، فقد اضطر بسبب الحرب العالمية الأولى ألا يعود إلى القاهرة ، فسافر إلى الاستانة والتحق بكليتها العسكرية ، ومنها تخرج ضابطا ألحق بالفرقة السادسة والأربعين في أزمير ، كما عمل أيضاً في مراكز عسكرية أخرى على البحر

---

(١) اعتمدنا في دراسة حياة الحاج أمين الحسيني على كتاب القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (ص ٢٠١ وما بعده) ، وكتاب فلسطين عبر ستين عاماً لأميل الغوري (الجزء الأول) ، وكتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، وكتاب خاص عن حياة الحاج أمين الحسيني ، وكتاب عرب معاصرون لمجيد خدوري وغيرها .



المفتي أمين الحسيني

الأسود[1] .

في نهاية الحرب العالمية الأولى عاد الحاج أمين الحسيني إلى القدس شاباً مثقفاً ، ملما بالعلوم الشرعية والعسكرية ، صاحب تجربة غنية في العمل الوطني ، فلقد عايش الحرب الكبرى وما صاحبها من تغيرات سياسية وعسكرية، وشهد تحكم مجموعة ضباط الاتحاد والترقي أصحاب الميول الطورانية بمقدرات الدولة العثمانية.

يزعم بعض رفاقه في استانبول أنه انخرط في الجمعيات العربية السرية التي كانت تعمل للتخلص من الحكومة العثمانية [2] . ونحن لا نستغرب ذلك فقد كان شديد التأثر بأستاذه رشيد رضا صاحب المنار الذي كان أحد أعضاء الجمعية اللامركزية النشطين في القاهرة . لقد انطلق هؤلاء من زاوية الانحراف الذي أصاب الدولة العثمانية . . وبدلا من محاولة اصلاحها فقد رأوا البتر أحسن أنواع العلاج . ولقد ساعد الحاج أمين على تجنيد عرب فلسطين في الجيش العربي المتحالف مع الانجليز ، كما عمل مع الأمير فيصل في دمشق ومع حداد باشا الضابط السياسي الذي كان ملحقا بحاكم القدس العسكري . ولقد بقي الحاج أمين الحسيني فترة طويلة من كفاحه السياسي في فلسطين متأثراً بهذه النزعة القومية التي تعتبر بريطانيا حليفا سياسيا وعسكريا للأمة العربية .

ونستطيع أن نقول أن هذه المدرسة وان ضمت في صفوفها بعض المخلصين ، الا انها هي المسؤولة عن الانحراف الذي تاهت فيه الحركة الوطنية. يوم ٢١ آذار (مارس) ١٩٢١م توفي مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني ،

---

(١) عرب معاصرون – مجيد خدوري ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٢) يذكر ذلك يوسف العلمي في مذكراته الخاصة ، وخليل السكاكيني في كتابه : كذا أنا يا دنيا ، وعجاج نويهض في كتابه : رجال من فلسطين ص ٣١٥ .

فانهمكت الأسرة الحسينية تبحث عمّن يخلفه ، ووجدت في الحاج أمين الحسيني خير من يشغل هذا المنصب . لم يكن الحاج أمين هو المرشح الوحيد ، فقد رشح الشيخ حسام الدين جار الله نفسه ، وبالاضافة اليهما كان هناك مرشحان آخران هما الشيخ خليل الخالدي والشيخ موسى البديري . ووفقا للقانون العثماني الذي طبقه المندوب السامي هربرت صموئيل ، كان يحق لمتصرف القدس أن يختار واحدا من الفائزين الثلاثة الأوائل لتولي المنصب . تمت عملية الانتخاب في ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٢١م وجاء ترتيب الحاج أمين الرابع . . فأقنع المندوب السامي أحد المرشحين وهو حسام الدين جار الله بالانسحاب ، وبذلك أمكن له أن يختار الحاج أمين الحسيني مفتيا لمدينة القدس . وقد تعددت التفسيرات حول هذا الاختيار . .

* قيل إن المندوب السامي حرص على استبقاء التنافس بين أسرتي الحسينية والنشاشيبية حيث كان زعيم الاسرة الثانية رئيسا للبلدية . . بحيث ينشغل الناس بالتحزب للفريقين .

* وقيل بل أراد المندوب السامي أن يقيّد الحاج أمين من خلال المنصب الرسمي فيصرفه عن نشاطاته الوطنية التي حكم بسببها بالسجن على أثر اضطرابات نيسان (ابريل) ١٩٢٠م . ولقد وعد المفتي المندوب السامي بالتخلي عن إثارة الاضطرابات ، بل وراعى ذلك بكل تجرد عدة سنوات (١) .

* ونستطيع أن نضيف سببا آخر يجعل المندوب السامي (الذي اشتهر بصهيونيته) يطمئن إلى الحاج أمين . . فهو أحد الساسة الذين عملوا من خلال الثورة العربية الكبرى التي تزعمها الشريف حسين والتي كانت تعتبر الانجليز حلفاء حرب

---

(١) حول الحركة العربيّة الحديثة – عزة دروزة ٣ : ٤٧ .

ورفاق مصير . . واذا كان قد تمادى في تحركاته الوطنية ، فلعل المنصب الكبير يعيده إلى جادته السابقة .

وفي مدى عام واحد من هذا التعيين أصبح الحاج أمين رئيسا للمجلس الاسلامي الأعلى ، ومفتيا أكبر لجميع فلسطين . لقد كان المجلس مسؤولاً بحكم سلطاته عن ١٨ محكمة شرعية وجهاز مؤلف من ٢٥٠ معاونا ، وعن ست دوائر للأوقاف فيها ٥٩٢ موظفا ، وعن عشر مدارس وكلية دينية ، وكذلك عن عدة مؤسسات أهمها دار الأيتام الاسلامية . وهناك فريق آخر تابع للحاج أمين وموزع في أنحاء البلاد ، وليس للحكومة شأن به ، أولئك هم من يتولون معاملات عقود الزواج تحت مراقبة المحاكم الشرعية ولا يقل عددهم عن عدة مئات . وهكذا استطاع الحاج أمين من خلال هذا الجهاز الضخم التابع له أن يتصل بكل طبقات الناس في كافة أنحاء البلاد وأن يوجههم بالطريقة التي يراها .

دور المفتي السياسي :

المرحلة السياسية التي عاشها الحاج أمين وأمثاله من السياسيين كانت فترة صعبة وقلقة . اختلطت فيها الأمور ، وتشابكت المصالح ، واختلفت التحالفات . فالمنطقة العربية تنقضّ على الخلافة العثمانية بزعامة الشريف حسين أمير مكة بتحريض وتأييد من بريطانيا . وفجأة يصبح المسلم الذي كان يصوّب بندقيته ضد بريطانيا العدو اللدود للمسلمين ، اذا به ينقلها إلى الجهة المعاكسة ويصوّبها ضد نفسه واخوانه الأتراك .

وعندما انتهت المعركة وأعلن اللّنبي الذي كان قائدا للحلفاء (ومعهم بالطبع العرب) أن الحروب الصليبية التي كانت تهدف باستمرار للسيطرة على القدس قد انتهت اليوم ، فها هو يدخلها ظافرا منتصرا ، واذا كان اسلافه قد دخلوها تخوض

خيولهم للركب بدماء المسلمين . . فاليوم يدخلها هو وسط هتاف المسلمين ونشوتهم بالنصر ، باعتبارهم حلفاؤه وباعتباره قائدهم (!) .

وعندما أعلن اللنبي قولته هذه ، بدأت الشخصيات العربية والزعامات الدينية تنسحب من مهرجان الاحتفال . . ولعلها أدركت حجم الجريمة التي ارتكبتها . . ولكن ادراك الجريمة شيء والتخلص منها شيء آخر .

هذه هي الظروف السياسية التي نشأ فيها الحاج أمين الحسيني . فهو من الشخصيات التي انخرطت في العمل السري ضد العثمانيين ، وكان في وقت من الأوقات مواليا للانجليز ، وموقف هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني الصهيوني وتحيّزه للحاج أمين وخرقه للقانون من أجل انجاحه مفتيا للقدس . . لا يمكن تفسيره الا في هذا الاطار . . ويمكن لنا أن نقول أن الخطوط السياسية السليمة لم تتضح لهؤلاء الا بعد أن تمكن السرطان من جسد الأمة المريضة وأوشك على قتلها .

الجمعية الاسلامية المسيحيّة

يقال إن الحاج أمين شارك في ايجاد أول تنظيم سياسي واسع في عهد الانتداب وهو الجمعية الاسلامية المسيحية وكان له نشاط واسع فيها . . وبالرغم من أن اسمه لم يكن في عداد المؤسسين أو المسؤولين عن الجمعية إلا أنه ليس من المستغرب أن يكون له نشاط من خلف الكواليس ، خاصة والجمعية تتفق أهدافها مع أهداف الحركة العربية التي كان المفتي من أعضائها البارزين . بل ولربما شجع الانجليز أنفسهم قيام مثل هذه الجمعيات [١] .

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية (مرجع سابق) ص ٨١ .

في اللقاء بين الجمعية والدكتور وايزمان (زعيم الصهيونية) في ٨ آيار (مايو) ١٩١٨م أكد وايزمان أنه لم يكن مقصدهم القبض على السياسة العليا في فلسطين . . ورد عليه رئيس الجمعية بقوله « ان عنصري الاسلام والنصارى سيعاملان مواطنيهم الاسرائيليين كمعاملتهما لأفرادهما ما دامت الامة الاسرائيلية قائمة بحقوق هاتين الأمتين » [1] .

وبمناسبة ذكرى دخول الانجليز إلى يافا أصدرت الجمعية بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨م بياناً جاء فيه : « في مثل هذا اليوم السعيد من السنة الماضية دخل الجيش البريطاني المظفر مدينة يافا ، رافعا ألوية النصر لتحريرنا نحن العرب من ظلم الاتراك ، وقد أقمنا هذه الحفلة لنقدم لجلالة الملك وسعادة الجنرال اللّنبي وسائر أمراء وأفراد الجيش المظفر مزيدا من التبريك راجين من الله دوام نصره وتوفيقه لدولة بريطانيا العظمى الآخذة بناصر الامم الضعيفة المظلومة . . . » .

من هذه النصوص يتضح مدى الغفلة التي كانت تسيطر على ساسة فلسطين في تلك الايام ومنهم بالطبع المفتي .

كان المفتي من مؤسسي النادي العربي في القدس عام ١٩١٨م ورئيسا له . كانت أبرز أهداف النادي الوحدة مع سوريا ومكافحة الصهيونية . . وكانت جريدته " سوريا الجنوبية " تعبر عن هذه الأهداف . كما تأسس عام ١٩١٨م في القدس المنتدى الأدبي وقد أطلق عليه هذا الاسم تيمنا بالمنتدى الادبي الذي أنشأه عبد الكريم الخليل ضد السلطة العثمانية في استانبول .

بعد أربع أو خمس سنوات انضم أعضاء النادي العربي إلى الحركة الوطنية بزعامة

---

(١) أوراق خاصة – أكرم زعيتر . من كتاب القيادات والمؤسسات السياسية(مرجع سابق) ص ٨٣ .

الحاج أمين ، وجنح معظم شباب المنتدى الادبي إلى الحركة المعارضة بزعامة راغب النشاشيبي .

ذكرت بعض المصادر ارتباط المفتي ببعض **الجمعيات السرية الفدائية** مثل **الكف الاسود** التي تأسست في يافا وغيّرت اسمها فيما بعد إلى جمعية " **الفدائية** " في مايو ١٩١٩م [١] ، وان كان البعض الآخر يعتقد أن الامر مبالغ فيه وأن التقارير البريطانية والصهيونية هي التي ضخمت دور الفدائية أكثر مما يستحق.

مواسم النبي موسى :

تحدثنا سابقا عن مواسم النبي موسى ، العيد الديني الذي استمر طيلة العهد العثماني ، يتوافد فيه المسلمون من أنحاء فلسطين إلى القدس حيث يتجمعون ، ثم يتوجهون نحو أريحا حيث مقام النبي موسى ، ضمن تقليد وبروتوكول معين .

في عام ١٩٢٠م ، وبتأثير مباشر من الحاج أمين ، ابتدأ تحويل هذه المواسم التقليدية إلى مناسبات وطنية تحتشد فيها عشرات الالوف من الناس ، تتعالى فيها الأناشيد والاهازيج ، فيها لمعان السيوف والطبول والموسيقى ، فيها الخطابات وأصوات الدعاة وهم يهتفون بحياة فلسطين والامة العربية وحريتها وكرامتها . الأصوات تحيي ذكرى صلاح الدين محرر القدس ، والناس على امتداد ثلاثة كيلو مترات من محطة سكة الحديد إلى سور القلعة في باب الخليل . الحكومة حشدت السيارات والمصفحات والرشاشات وقوى الجيش والبوليس من فرسان ومشاة . كان الحاج أمين شخصية ذكية قادرة على استغلال المناسبات وتوجيهها . . وفي أحداث ابريل (نيسان) التي رافقت موسم عام ١٩٢٠م حكم عليه بالسجن ، واضطر على أثرها إلى مغادرة البلاد . بقيت مواسم النبي موسى مزدهرة ببقاء

---

(١) فلسطين والانتداب البريطاني – كامل محمود حلّة ص ٢٢٥ .

المفتي في البلاد ، وما أن غادرها عام ١٩٣٧م حتى اضمحلت وانتهت . . الأمر الذي جعل هذه المواسم مرتبطة بزعامة المفتي وقيادته للحركة الوطنية والدينية .

ونرجح هنا ، أن الاحداث التي بدأ يتعرض لها المفتي والمواجهات المتعددة الجوانب بين الحركة الوطنية التي يقودها وبين الحركة الصهيونية التي تخطط للاستيلاء على البلاد باشراف وتخطيط الحكومة البريطانية هذه الأحداث جعلت المفتي يعيد ترتيب أولوياته . . ويحوّل بريطانيا من مركز الحليف إلى مركز العدو . . وشخصية ذكية مخلصة مثل المفتي لا ينقصها الدليل على صحة هذا الموقف .

المؤتمر التبشيري الثالث

دأبت المنظمات التبشيريّة على عقد مؤتمراتها الدورية لدراسة نتائج أعمالها والتخطيط للمراحل القادمة . . ولننقل هنا مقتطفات من مقررات المؤتمر التبشيري الثالث الذي عقد سرا في القدس في الفترة (٣-٧) ابريل ١٩٢٤م وحضره ثمانون مندوبا منهم نواب المؤتمرات المحلية التبشيرية التي عقدت في شمال أفريقيا وغرب آسيا ومنهم مبشرون في البلاد العربية والاسلامية ، ومنهم رجال العمل المتدربون في جمعيات التبشير الموجودة في أوربا وأمريكا والمتصلة بحركة التبشير في العالم الاسلامي ، بالاضافة إلى جماعة من ضعفاء المسلمين .

بنيت قرارات المؤتمر على أن الاسلام قد حاق به الضعف ، **وأن الروح القومية أصبحت تدحض روح الجماعة الاسلامية** ، والمثل على ذلك هو المسلم التركي ، الذي أخذ يتطور ليصبح تركيا أكثر منه مسلما ، وأن « رسالة التبشير التي قمنا بها حتى اليوم كانت أكثر اعتمادا على ضعف الاسلام منها على قوة النصرانية » ، وقد برهن كثير من رجال المؤتمر على أنهم « ما عادوا يرون ذلك المسلم الأبي بإسلامه ، العالي الجبهة بدينه ، الذي كانوا يرونه من قبل » .

وأبرز ما ورد في مخطط العمل أنه يجب أن يكون موجهاً نحو النشء الصغير من المسلمين وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة . وهذا الاتجاه كان في صلب تفكير الرئيس موط (رئيس المؤتمر التبشيري) ، وهو القائل أيضاً بأهمية دور الطلاب والأساتذة ، وقد أصدر فيما بعد في سنة ١٩٣٥م كتابا بعنوان " خمسة عقود ونظرة إلى المستقبل " يرى فيه صواب الحركة التبشيرية التي بدأت في مطلع القرن ، تلك الحركة التي استغلت الطلاب والأساتذة وعوام الناس في التبشير ، ويعتقد (موط) أن المظهر البرىء في الطالب والأستاذ لا يصرف المسلم عن سماع أقوالهم ، بينما الثوب الذي يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب[1] .

المؤتمر التبشيري الرابع

بعد أربع سنوات على قيام المؤتمر التبشيري الثالث . . والنجاح الكبير الذي حققه ذلك المؤتمر ، بدأت في مارس (آذار) ١٩٢٨م التحضيرات في القدس لعقد المؤتمر الرابع . . وكان أيضا برئاسة (موط) رئيس المجلس التبشيري العالمي . ولقد ذكر مطران الانجليز في القدس مستر ماكنز في حديثه عن أسباب انعقاد المؤتمر في القدس باعتبارها تحتل مركزا وسطا وهي ملتقى الأديان الثلاثة العظيمة وقد كانت محل ولادة الديانة المسيحية نفسها .

ولم يضع المفتي الحسيني الفرصة فنشرت جريدته الناطقة بلسانه (الجامعة العربية) مقررات المؤتمرات السابقة وقالت في عددها رقم ١١٩ ما يلي : « الهدف الأساسي بعد الحرب العامة . تأريث النار الدينية في البلاد المذكورة تأريثا

---

(١) التبشير والاستعمار – مصطفى الخالدي وعمر فروخ ص ٥٠ وكتاب القيادات والمؤسسات السياسية (مرجع سابق) ص ٢١٦ .

يجعل النصرانية والاسلام متعادين في بقعة واحدة وموطن واحد فتنتهي القضية الوطنية المقدسة في كل قطر مستعبد وتنحل روابط الاخوة الاسلامية المسيحية »[1]

وأرسل مندوبين عنه منيف الحسيني وعجاج نويهض لتأليب البلاد ضد المؤتمر . فقامت مظاهرات واصطدامات في نابلس وغزة وتحركات واحتجاجات في بقية المدن . وعندما طلب المندوب السامي مقابلة المفتي رفض في البداية ثم قابله ووجه له شبه انذار بأن يتوقف المؤتمر فورا مقابل وقف الأحداث . . وهكذا كان ولكن إلى حين .

المؤتمر الاسلامي العام

بدأ الساسة المسلمون في فلسطين يشعرون بالحصار . . فبريطانيا الحليفة واقعة تحت النفوذ الصهيوني . . تنحصر مهمة انتدابها في تثبيت وضع اليهود وتمكينهم من اقامة وطنهم القومي في فلسطين ، ترعى هجرتهم ، تمكنهم من الأرض ، تعدّل لهم القوانين ، على حساب أهل البلاد المسلمين .

في هذا الجو السياسي الخانق فكر الحاج أمين الحسيني بعد التشاور مع القيادات الاسلامية من خارج فلسطين أن يدعو إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس . . وكان للمفتي (فيما نتصور) عدة أهداف من عقد هذا المؤتمر . .

١ – فهو يعطي للقضية الفلسطينية بعدها الاسلامي . . فاذا كان اليهود تدعمهم الصهيونية العالمية يعقدون مؤتمراتهم بالتتابع ليروا إلى أين وصل تهويد فلسطين . واذا كان النصارى (الذين أعلنوا يوم دخلوا القدس « بلسان اللنبي » أن حربهم

---

(١) ٢٢ مارس (آذار) ١٩٢٨م .

الصليبية قد انتهت) ، يعقدون كذلك مؤتمراتهم العالمية التبشيرية التي كان ثالثها ورابعها في ربوع القدس ، ويبحثون كيف ينصّرون العالم الاسلامي ... اذا كان اليهود والنصارى يلجأون لقواهم الدينية العالمية فلم لا يلجأ المسلمون إلى العالم الاسلامي يضعون قضيتهم بين يديه . . . .خاصة وهم في مأزق سياسي خطير .

٢- وهو يعطي كذلك القضية الفلسطينية بعدا عربيا ، فالدول العربية المحيطة بفلسطين أكثرها مشغول في قضاياه الخاصة . . وحكوماتها خاضعة في أغلبها للانجليز ، الأمر الذي جعل قضية فلسطين على هامش اهتماماتهم . . ولكن المؤتمر الذي يتوجه في خطابه للأمة الاسلامية والعربية . . يجعل هؤلاء الحكام ينتبهون ، فالخطر قد يصيبهم أيضاً .

٣- وهو يعطي أيضاً ثقلا خاصا لسياسات المفتي داخل فلسطين ، في وجه خصومه السياسيين وهم كثرة ومن اتجاهات شتى .

أحيط المؤتمر باشاعات كثيرة لاجهاضه قبل أن يبدأ . . فاليهود أصحاب نفوذ واسع واعلامهم ممتد على الساحات العالمية . . ومن هذه الاشاعات :

* أن من أهداف المؤتمر أن يُؤتى بالخليفة عبد المجيد ليُبايع خليفة على المسلمين في القدس .

* وأن المؤتمر سوف يطالب بمخصصات الحرمين .

* وأن المؤتمر سوف يقرر تأسيس جامعة اسلامية بديلاً عن الأزهر الشريف.

وكان لشخصية المفتي الذكية ولسرعة مبادرته الدور الأكبر في افشال هذه الاشاعات . فقد وصل فجأة إلى القاهرة ، وأقنع شيخ الأزهر أن منصب الخلافة (الذي كان يطمح به ملك مصر أحمد فؤاد) ليس وارداً على الاطلاق ، وأن

أبحاث المؤتمر ستكون بعيدة كل البعد عن أن تمسّ الشؤون المصرية البحتة من سياسية وقومية أو أن تتعرض للأزهر الشريف . أما في الداخل ، فقد حرّكت الحكومة خصوم الحاج أمين لمقاومته ، فعقدوا مؤتمرا أسموه « مؤتمر الامة الاسلامية الفلسطينية » وكان على رأسه كبار المعارضين مثل راغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي والشيخ أسعد الشقيري . ولقد سقط هؤلاء بسوء نيتهم وشر فعلتهم من أعين الناس في فلسطين .

افتتاح المؤتمر

افتتح المؤتمر رسمياً ليلة الاسراء في ٢٧ رجب ١٣٥٠هـ الموافق ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١م ، وفي عشية الافتتاح كان الحدث الكبير وقوف السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء كبير مجتهدي الشيعة في المسجد الاقصى ليؤم جموع المصلين ، وأما كلمة المفتي فقد جاء فيها :

« إن أكثر الأقطار الاسلامية قد فقدت عزها وسلطانها وأصيبت جميعا بمحن وكوارث عديدة أثقلت كاهلها ، ولكن فلسطين هذه البلاد المقدسة أصيبت زيادة على ذلك كله بمصيبة خطيرة تهدد كيانها بانشاء وطن قومي صهيوني فيها . من أجل ذلك ، فقد رأينا عملا بقوله تعالى ﴿ وأمرُهُم شُورى بَيْنَهُم ﴾ أن ندعو إلى هذا المؤتمر العظيم للبحث في هذا الأمر الجلل . . . » [١] .

حضر المؤتمر ١٤٥ مندوبا يمثلون مختلف الاقطار الاسلامية ، بعضهم من كبار شخصيات العالم الاسلامي مثل : العلامة محمد رشيد رضا ، والامام محمد

---

(١) القيادات والمؤسسات (مرجع سابق) ص ٢٤٥ .

الحسين آل كاشف الغطاء ، ضياء الدين الطبطبائي رئيس وزراء ايران الأسبق ، عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي ، محمد اقبال الهندي ، الزعيم شوكت علي الهندي ، محمد علي علوبه من مصر ، الأمير سعيد الجزائري ، سعيد ثابت ، بشير السعداوي ، شكري القوّتلي ، رياض الصلح ، عمر الداعوق ، مصطفى الغلاييني ، وعبد الرحمن عزام .

مقررات المؤتمر :

تلخصت مقررات المؤتمر بما يلي :-

١- يطالب المؤتمر بتسليم خط السكة الحديدية الحجازية . وهو الخط الذي أنشيء بأموال المسلمين ، واعترفت معاهدة لوزان بأن الخط وقفٌ اسلاميٌ ، كما اعترف صك الانتداب بعدم التعرض لأوقاف المسلمين .

٢- استنكار قرار لجنة البراق الدولية .

٣- استنكار المعاملة السيئة التي لقيها زعماء طرابلس وبرقة ومجاهدوهم وسائر قبائلهم من تقتيل وتشريد .

٤-استنكار الظهير الفرنسي البربري ، وهو القانون القاضي بتنصير مسلمي البربر والمطالبة بالغاء الظهير والكف عن تلك الأساليب الخطيرة .

٥- استنكار الاستعمار بكافة أشكاله ، وفي أي قطر من الأقطار الاسلامية ، وذلك لأن الاستعمار لا يتفق مع الحق العام ومبادىء الدين الاسلامي القويم .

٦- وأما القرارات الخاصة بفلسطين فكانت :

* عقد المؤتمر كل سنتين .
* انشاء جامعة اسلامية باسم جامعة المسجد الاقصى .

* اسلامية البراق والتعاهد على الدفاع عنه .
* ايجاد دائرة معارف اسلامية .
* تأسيس شركة لانقاذ الأراضي ومساعدة الفلاحين والقرويين وتأسيس شركات تعاونية للتسليف .
* تأسيس اللجان المحلية في البلاد حسب مقتضيات كل بلد ، وبالفعل فقد تأسس فرع المؤتمر بالهند على اثر اجتماع كبير في ١٥ مارس ١٩٣٢م ، كما تأسس فرع في برلين في المانيا .

اللجنة التنفيذية :

انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية من ٢٥ عضوا ، مقرها القدس ، وأمينها العام ضياء الدين طبطبائي .

كانت القرارات خطيرة وطموحة . . وتحتاج لأموال كثيرة لتحقيقها ، فتشكلت لجنة من المفتي ومحمد علي علوبة الزعيم المصري وانضم اليهم الشاعر محمد اقبال فيما بعد ، من أجل جمع التبرعات . وفي الهند لقيت اللجنة ترحيباً كبيراً وجمعت أموالا طائلة ولكن برقية وصلت من حكومة لندن إلى نائب الملك في الهند طلبت منه منع تحويل الأموال إلى خارج الهند .

وهكذا بدأت تتقلص قرارات المؤتمر الكبير ، ويمكن اعتبار نهاية المؤتمر نهاية لمرحلة قاد فيها العمل الاسلامي بزعامة الحاج أمين الحسيني العمل السياسي في فلسطين ولقد امتدت هذه المرحلة منذ عام ١٩٢١م وحتى ١٩٣١م .

شخصية الحاج أمين الحسيني :

وقبل أن نتجاوز الحاج أمين الحسيني مؤقتاً ، لا بد من أن نقول إنه كان يتمتع بشخصية فذة ذكية ساحرة ، يصفه كريستوفر سايكس فيقول « إنه ذو شخصية

ذات تأثير كبير عندما تلتقي به ، وسحره الشخصي كبير ، وهو وسيم رغم ضآلة قامته . . »[١] ، لقد كان يجعل الآخرين يحسون حياله بأنهم عوام اذا ما قيسوا به. ووصفه المندوب السامي ماكمايكل بأنه « سيد من سادة المكر والخداع وهو المحرك لأكثر من ثورة واضطراب . . »[٢] . ويصفه مارلو بأنه « كان واحدا من أقدر السياسيين الذين أنجبهم الشرق الأوسط في السنوات الماضية ، وأن هناك عددا قليلا جدا من العرب في مستواه سواء من ناحية العقل أو المظهر ، ويضيف بأنه كان يستطيع أن يثير التعصب الديني دون أن يكون هو متعصبا ، وهو في المقاييس الشرقية مخلص بمعنى أنه ليس مدفوعا بدوافع مادية لتحقيق منفعة شخصية خاصة . . وهو شخص مقتدر جدا وخطير جدا بحيث ارتكب البريطانيون خطأ في تقديره لم ينتبهوا له الا بعد أن كان الوقت متأخرا جدا » . ويضيف عارف العارف الذي احتك به وبرجالات فلسطين : « بأنه من أخلص من أنجبته فلسطين للقضية العربية »[٣] .

وأنا على يقين أن هذه النقول لا تعطي صورة متكاملة لشخصية المفتي الفذة ، ولكنها أقوال أعدائه . . والفضل ما شهدت به الأعداء . ولنا عودة أخرى لشخصية هذا السياسي العبقري نلقي عليها مزيداً من الأضواء .

---

(١) Sykes , Op , cit , P - 138 عن كتاب التيار الإسلامى فى فلسطين ص١٠٩.

(٢) علي سعود عطية ص ٤٣٠ ، عن كتاب التيار الاسلامي في فلسطين ص ١٠٩ .

(٣) كل هذه النقول من كتاب – التيار الاسلامي (المرجع السابق) ص ١٠٩ .

جمعيات الشبان المسلمين

هي حركة قامت في مصر على يد الدكتور عبد الحميد سعيد ، عضو الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل ، على أن تكون حركة عالمية غير سياسية تضاهي في عملها جمعيات الشبان المسيحية . وقد انتقلت الفكرة إلى فلسطين . . وفي ١٨ نيسان (ابريل) ١٩١٨م عقد المؤتمر التأسيسي لجمعية الشبان المسلمين ، ووجهت الدعوة إلى حضوره جمعية الشبان الاسلامية ، والنادي الرياضي بيافا ، والنادي العربي بنابلس ، ونادي الاخاء الاسلامي بغزة ، وقد حضره ١٢٠ مدعوا . وكانت أهم القرارات تتعلق بترقية التعليم ومساعدة التعليم العالي وتشجيع الكشافة والفنون.

قرارات المؤتمر كانت عادية ، ولكن المشاركين كانوا من أهم الشخصيات السياسية . . الأمر الذي أعطى زخماً كبيراً للجمعية . .وجعلها تفتتح لها عشرين فرعاً في مدة قصيرة .

حاربت حكومة الانتداب جمعيات الشبان المسلمين بشدة وبطرق ملتوية ، فاعتقلت علي الدباغ رئيس الجمعية في يافا ، وحمدي الحسيني رئيس الجمعية في غزة ، وطلبت من الموظفين الانسحاب من الجمعية بحجة أن الجمعية قد سيست على يد رئيسها عزة دروزة . ومع ذلك فقد لعبت الجمعية دورا سياسيا بارزا على صعيد الأحداث سيظهر أثره بعد حين .

التحركات السياسية القومية

بالاضافة إلى **التيار الاسلامي** الذي بدأ يتبلور حول قيادة المفتي الحاج أمين الحسيني وخاصة بعد المؤتمر الاسلامي العالمي الذي عقد في القدس عام ١٩٣١م ، كان هناك **التيار القومي العربي** تقوده الشخصيات القومية التي اشتركت في الثورة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي ، وما زالت على صلة بالملك

فيصل الأول زعيم القوميين وملكهم في دمشق وفي بغداد بعد ذلك . والتيار القومي هذا هو الذي قاد الكفاح السلمي منذ دخول القوات البريطانية إلى فلسطين ، وكان يفرق بين اليهود وبين السياسة البريطانية الحليفة . . وكانت تمثل هذا التيار اللجنة التنفيذية التي انتخبها المؤتمر العربي الفلسطيني .

في أوائل الثلاثينات وخاصة بعد ثورة البراق بدأ الشعب يضيق ذرعا بهذه الأساليب العقيمة . . احتجاجات ومظاهرات وعرائض مع الحرص على خطب ود المندوب السامي البريطاني . وكان أول تمرد على هذا الأسلوب هو المؤتمر الذي عقد في نابلس بتاريخ ٣١ تموز (يوليو) ١٩٣١م تحت اسم « **مؤتمر التسليح في نابلس** » . . فقد تواترت الأخبار عن تسليح اليهود ، وقد عللت حكومة الانتداب ذلك بأنها تدرب شبان المستعمرات اليهودية بالأسلحة الرسمية المودعة من قبلها في مستعمراتهم . لم يسفر المؤتمر عن أية نتائج عملية . . بل اكتفى ببيان أعقبته مظاهرة احتجاج . والصيغة الأخرى هي **مؤتمرات الشباب العربي الفلسطيني** ، فقد عقد المؤتمر الأول للشباب في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٢م في يافا برئاسة عيسى البندك ، والمؤتمر الثاني في حيفا في ١٠ آيار (مايو) ١٩٣٥م . . ولم تخرج هذه المؤتمرات عن الاسلوب التقليدي المعروف ، ومن منجزاتها :

تشكيل **صندوق الأمة أو مشروع القرش** لجمع التبرعات وتشكيل **لجنة لحراسة السواحل** لمنع الهجرة اليهودية ، والدعوة إلى مقاطعة المعرض الصناعي الصهيوني الذي أقيم في تل أبيب في مارس ١٩٣٢م ، واقامة معرض عربي بديل في القدس بتاريخ يوليو ١٩٣٣م ، **وانعاش الحركة الكشفية في البلاد** .

من أهم المؤسسات السياسية القومية التي قامت في هذه المرحلة حزب الاستقلال في فلسطين . وقد انبثق عن اجتماع كبير ضم نخبة من رجال القضية

العربية .

اتفـق الحاضـرون على تـأليـف لجنـة تنفيذيـة مـهمتهـا « السـعي لعقد مـؤتمر عربي عام يبحث في مصـالح البلاد العربية المشتركـة » ، واتجهت الانظار كلها إلى المؤتمر المرتقب ، كان الاتجاه منذ البداية نحو عـقده في بغداد ، ولكن وفاة فيصل الأول ، والتـأثير البـريطاني حالا دون ذلـك . . ومـع ذلـك فـقـد أعلن الحـزب عن قيـامه رسميـاً في ٢ آب (اغسطس) ١٩٣٢م في بيان شهير جاء فيه :

« وسيكون الأساس الذي يبنى عليـه هذا الكيان الحزبي الاستقـلالي ، التجانس في المبادىء الصحيحة والاخلاص الشريف وحب العمل النزيه والابتعاد كل البعد عن الجري في طريـق السياسـات المحلية والشـخصيـة والعائليـة » . . ولأكثر من سبب أهمهـا التوجه الاسـلامي للمفتي والتـوجه القومي للآخريـن فقد حدث فـصام بين الاتجاهين . .

ونحب هنا أن نثبت خطبة المفـتي التـاريخيـة التي ألقاها في يافـا في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٣٣م في المؤتمر الذي سمي « مؤتمر اللا تعاون مع سلطات الانتداب » .

. وقد طالبوه بالاستقالة من منصبه كدليل على عدم تعاونه . . فقال :

« علمت قـبل حضـوري أن هناك خطة مـرسومـة لاحـراجي . . فأقـول لكـم انني لست بالشخص الذي يحرج ، ولا بالذي يحجم ، أو يعمل بالظلام .

واني مستعـد لا للاستقالة من رئاسة المجلس الاسلامي فحـسب بل من الحياة كلها ، اذا كان في ذلك خير للوطن ومصلحة للحركة الوطنية . أنا لست في هذه الحركة الوطنية دخـيلا ، ولم ألتصق بهـا التصاقـا ، ولم تأت اليّ الرئاسة الا على الحاشـية . ولقد خضت غمار الحركة الوطنية قبل الحرب العامة وعملت قبل الآن وإلى الآن . . لو كنت موظفا كما يظن البـعض لما كنت بينكم الآن ، ولو كنت موظفا لما قمت بأعباء الحـركة الوطنية من أولها إلى آخرها ، ولما حـوكمت ، ولما صدرت عليّ من

أجل القضية الوطنية عدة أحكام . تقولون زعامة . . إن في اطلاق هذه الكلمة في هذه البلاد خطأ ، فمتى كانت البلاد المحكومة المرغمة أنوفها فيها زعامات وتستطيع أن تقوم بحاجات البلاد وبأعبائها ؟ ولذلك فان كل ما يكتب في الصحف ويقال في هذا الاجتماع وفي مثله يجب أن يتلقى في الحقيقة كمسألة نسبية . لقد كنت في طليعة الحركة الوطنية منذ بدايتها وسأظل في طليعتها غدا وإلى ما شاء الله . . ولن أتخلف عن مواقع الخطر في المستقبل كما أني لم أتخلف في الماضي ، فسجلوا هذا عليّ . . . » (١) .

أحزاب فلسطينية جديدة

انتهت اللجنة التنفيذية عمليا بوفاة الشيخ موسى كاظم الحسيني . . فقد كانت شخصيته الفذة محل تقدير الجميع . . وكانت التيارات المختلفة على تفاوت اهتماماتها مجمعة على شخصه . فلما توفي في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٣٤م . . رشح الوطنيون جمال الحسيني لخلافته . . ولكن الآخرين عارضوا هذا الترشيح واشترطوا واحدا منهم مثل راغب النشاشيبي أو الشيخ سليمان التاجي الفاروقي أو أسعد الشقيري . . وهؤلاء من الشخصيات المتعاونة مع السلطة التي لا يستريح لها الشعب . وكان غرض هؤلاء عدم الاتفاق وحلّ اللجنة التنفيذية ليبقى الشعب الفلسطيني بدون قيادة تجمعه في هذا الظرف الدقيق .

ومع انفراط عقد الوحدة الوطنية التي كانت تمثلها اللجنة التنفيذية بدأت المجموعات والتيارات المختلفة تشكل أحزابا سياسية مثل :

* **حزب الدفاع الوطني** يدعمه آل النشاشيبي بزعامة راغب النشاشيبي

---

(١) وثائق المقاومة الفلسطينية – عبد الوهاب الكيالي ص ٣٢٤ .

وينسق أنشطته مع الملك عبد الله في الاردن ويدعو لوحدة فلسطينية أردنية .

* **حزب الإصلاح العربي الفلسطيني** بزعامة د. حسين الخالدي .

* **وحزب الكتلة الوطنية** بزعامة عبد اللطيف صلاح .

* يضاف اليها **حزب الاستقلال العربي** الذي كان قد شكل عام ١٩٣١م بزعامة عوني عبد الهادي من عدد من رجال الحركة الوطنية المعروفين .

* وفضلا عن هذه الاحزاب الاربعة فقد كانت هناك **لجنة مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني** برئاسة يعقوب الغصين والتي أصبحت مع الزمن أشبه بحزب سياسي مستقل .

(ومن الثابت أن هذه الاحزاب مجتمعة لم تكن تمثل سوى قسم من الشعب . حيث إن أكثريته كانت تدين بالولاء لجبهة الوطنيين (المجلسيين) وتلتف حول سماحة المفتي . شكلت القوى الوطنية لجنة تحضيرية للاعداد لحزب يمثلها . وفي ٢٥ آذار ١٩٣٥م أعلن تشكيل الحزب العربي الفلسطيني وانتخب لرئاسته جمال الحسيني . وكان هذا الحزب أكبر أحزاب فلسطين وأوسعها انتشارا وأكثرها نفوذا) [١] .

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما (المرجع السابق) ١ : ١٩٨ .

الفصل الرابع والعشرون

أحداث عام ١٩٣٣م

تزايدت أعداد المهاجرين اليهود بشكل خطير في عام ١٩٣٣م . وكانت الهجرة بالنسبة لبريطانيا التي تحكم قبضتها على البلد ، تتم بطريقة شرعية (وفق أرقام تحددها) وبطريقة غير شرعية (عن طريق التسلل والتهريب) وفي كلتا الحالتين لم تتخذ بريطانيا اجراءات معقولة لمنعها . وقد أثارت هذه الهجرة مخاوف الفلسطينيين ، وأوجدت جوا من القلق . . الامر الذي دفع بالشعب إلى التحرك . . وتوجهت الانظار مرة أخرى إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني ، وهي التي تمثل الحركة الوطنية من الناحية النظرية على الأقل .

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣م ، وهو اليوم المقرر لاجتماع اللجنة التنفيذية ، احتشدت جموع غفيرة من القدس والمناطق القريبة منها تطالب اللجنة بوجوب القيام بأعمال جدية في سبيل الدفاع عن الوطن [١] .

وكان هذا الاجتماع الذي ترأسه الشيخ موسى كاظم الحسيني من أخطر وأهم اجتماعات اللجنة التنفيذية ، وقد اتخذت فيه القرارات التالية :

* القيام بمظاهرات عامة دورية في مختلف مدن فلسطين .
* تبدأ المظاهرة الاولى في القدس يوم الجمعة ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣م ، تتبعها المظاهرة الثانية في يافا في ٢٧ تشرين الاول ، ثم في حيفا فنابلس فغزة فالخليل وهلم جرا . .
* تضرب فلسطين كلها اضرابا عاما في الأيام التي تجرى فيها المظاهرات .

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما — اميل الغوري ١ : ١٦٠ .

* يشترك جميع أعضاء اللجنة التنفيذية والمؤتمر الفلسطيني السابع في هذه المظاهرات . ولا بأس أن نسجل هنا كلمة الشيخ موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية التي قالها للمندوب السامي وهو يحاول ثنيه عن تنفيذ هذا القرار الذي ستقاومه الحكومة البريطانية بكل قوة . . قال له : « لقد قضيت خمسين سنة من عمري موظفا في الدولة العثمانية وكنت مسؤولا عن الأمن والنظام ، فهل تعتقد أنه من اليسير عليّ أن أدعو اليوم إلى ما تعتبرونه خروجا عن الأمن والنظام ؟ ان حكمكم الظالم وسياستكم الخرقاء هي التي دفعتني إلى توقيع قرار المظاهرات والاضرابات ، واني أعتبره عملا مشروعا تحتمه مصلحة وطني وشعبي . . »[(١)] .

مظاهرات القدس

وقامت مظاهرات القدس في تاريخها المحدد ، وانطلقت جموع المصلين والمشاركين من ساحات المسجد الأقصى المبارك ، يقودهم موسى كاظم الحسيني . وتصدت الحكومة للمتظاهرين وانزلت قواتها المدججة بالسلاح تهاجم الشعب الأعزل . وحاولوا عبثا اقناع موسى كاظم الحسيني فض المظاهرة . . وعندما عجزوا اختطفوه بالقوة وحملوه إلى مدرسة الفرنسيسكان . وأطلق الجنود النار وكانت حصيلة المظاهرة جرح ١٧ متظاهرا و ١١ متظاهرة .

مظاهرة يافا

وأصرّ الشعب على اكمال برنامجه ، وأصبحت فلسطين بكاملها مضربة يوم ٢٧

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما (المرجع السابق) ١ : ١٦٢ .

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣م ، وتوجه الشعب إلى يافا ، ومن المسجد الكبير سارت جموع الشعب يتقدمهم موسى كاظم باشا . وحاول حاكم يافا العسكري ومدير شرطتها العام اقناع رئيس اللجنة بفض المظاهرة . . رفض وصمم على السير . . وفتحت القوات الغاشمة النار على الجموع وكان الحصيلة ٥٣ شهيدا و ٢٠ جريحا من الفلسطينيين .

واستطاع الشباب انقاذ الشيخ موسى من رصاص الغدر البريطاني الذي كان يستهدفه فحملوه إلى دار الجمعية الاسلامية المسيحية في المدينة وكان عمره آنذاك ٨٣ عاما .

الاضراب العام

وفي يوم ٢٨ تشرين الاول اليوم التالي لمظاهرة يافا أصبحت فلسطين بأكملها مضربة استنكارا للمجزرة التي اقترفتها الحكومة البريطانية ضد الشعب الاعزل الذي انتفض يطالب بحقوقه المشروعة .

واستمر الاضراب مدة اسبوع كامل . . لم يتوقف الاّ بعد أن أطلقت السلطات سراح المعتقلين من قادة العمل الوطني .

برنامج المظاهرات

لم يستطع الشعب اكمال برنامجه في اتمام حلقة المظاهرات . . فقد ظهرت خلافات في أوساط الزعماء أصحاب المصالح المختلفة والمتضاربة فأجهضت بقية المخطط .

في منتصف شهر كانون الاول (ديسمبر) عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا في القدس تولى ادارته جمال الحسيني (الامين العام) بسبب مرض موسى كاظم ، وقررت اللجنة القيام بمظاهرات عامة في جميع مدن فلسطين وحدد له اليوم الاول من أيام عيد الأضحى المبارك .

وحاولت الحكومة جهدها لاجهاض هذا المشروع . . وعندما أخفقت لجأت إلى سماحة المفتي تتوسطه . . وكان عاد لتوه من جولة في اقطار العالم الاسلامي استغرقت أكثر من عام . . وكان جواب المفتي بأن أصدر بيانا للشعب أكّد فيه تأييده المطلق لقرار اللجنة التنفيذية ، ويهيب به للقيام بواجباته الوطنية وتحمل مسؤولياته تجاه وطنه وأمته ودينه .

أُسقط في أيدي البريطانيين . . ورأوا أن الاضراب قائم لا محالة . . فأحنت رأسها للعاصفة وأعلنت موافقتها على الاضراب . الأمر الذي أقنع الشعب أن الاصرار على المواقف الصحيحة سيضطر الأخرين إلى التراجع . وتم ذلك في اليوم الاول من أيام عيد الاضحى (مطلع) ١٩٣٤م .

الفصل الخامس والعشرون

خطة تهويد فلسطين عام ١٩٣٤م

« نشر د. حاييم وايزمان ، زعيم الحركة اليهودية ، وأول رئيس للدولة اليهودية (اسرائيل) في مذكراته (الخطأ والتجربة) التي نشرت عام ١٩٤٩م ، حقيقة كان يجهلها العرب ، وهي أن الانكليز واليهود قد توصلوا إلى شبه اتفاق بأن تتم مهمة تهويد فلسطين في سنة ١٩٣٤م . ويقول وايزمان إن هذا الاتفاق لم يستطع تنفيذه بسبب المعارضة التي قام بها العرب والثورات والاضرابات التي اشعل نيرانها المفتي الحاج أمين الحسيني » (١) .

وإذا صحّ القول بأن اسرائيل لم تقم عام ١٩٣٤م كما كان يخطط وايزمان الاّ أن اليهود حققوا الكثير من طموحاتهم ، فقد غدا لهم كيان سياسي وقومي معترف به في فلسطين ، وارتفع عددهم إلى خمسة أضعاف ما كانوا عليه عام ١٩١٨م واتسعت رقعة الاراضي التي أصبحت بحوزتهم .

ومع بداية عام ١٩٣٤م لجأت بريطانيا إلى المزيد من الاجراءات الاجرامية بحق سكان البلاد :

* سنّت الحكومة استناداً إلى قانون الدفاع قوانين صارمة سميت بالقوانين الاستثنائية ووضعت أنظمة قاسية عرفت بأنظمة الطوارىء وانطلقت تطبقها بكل وحشية مستهدفة كل مقاومة وطنية .

* لجأت الحكومة إلى سياسة ضرب الفلسطينيين اقتصاديا وافقارهم لاضطرارهم للتنازل عن أرضهم لليهود . فعمدت إلى زيادة الضرائب والرسوم حتى وصلت

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما (المرجع السابق) ٢ : ٢٩ .

عام ١٩٣٥م إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه .

* ضاعفت الحكومة جهودها لتشجيع الهجرة اليهودية برا وبحرا .

* قدمت الحكومة لليهود ٥٠٠ ألف دونم من الأراضي الاميرية (أراضي الدولة) لاقامة مساكن للمهاجرين .

* اتخذت الحكومة اقسى الاجراءات لمنع العرب من التسلح والاعداد . وتصدى المفتي الحاج أمين لاجراءات الحكومة . . فقد كان اللاعب شبه الوحيد بين جميع القوى الوطنية التي أصابها نوع من الترهل والاحباط .

* فقد أجرى المفتي اتصالات واسعة مع زعماء العرب وقادة المسلمين في العالم يطلعهم على ما وصلت اليه الامور في فلسطين ، ويحثهم على المبادرة لنصرة اخوانهم .

* حثّ المفتي جميع الخطباء والمفتين والقضاة والأئمة والوعاظ والمدرسين في أنحاء البلاد على توعية الشعب على التمسك بالميثاق الوطني ورفض بيع الأراضي لليهود

* شكل في جميع أنحاء البلاد جمعيات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* بدعوة منه عقد في القدس في ١٩٣٤/٨/٧م مؤتمر حضره أهل الرأي والعلم والدين للتباحث في الأوضاع الخطيرة التي تمر بها البلاد ، وقد أصدر المؤتمر فتوى بتكفير من يبيع أرضه لليهود .

* بتشجيع من المفتي عقد في القدس في ١٩٣٤/٨/٢٩م مؤتمر الكهنة الارثوذكس العرب في فلسطين توصل إلى النتائج نفسها .

* حال بوسائل مختلفة دون تحقيق أماني اليهود في شراء وتسجيل أراض اشتروها في قضاء طولكرم . .

الفصل السادس والعشرون

حركة القسّام وبروز التيار الاسلامي الجهادي

لعب العلماء المسلمون دورا أساسا في الكفاح السياسي ضد القوى اليهودية والبريطانية في فلسطين . . وتراوح هذا الدور بين التأييد للسياسة البريطانية الحليفة إلى الانقلاب الكامل ضدها . ومما لا شك فيه أن هذا الغموض وضعف الرؤية السياسية لدى القادة المسلمين هو الذي جعلنا نخسر قضيتنا الفلسطينية ولو إلى حين ، لأن قيمة الوعي السياسي . . ما كان في زمانه ومكانه ، فاذا انقضى الزمان ، وتغير المكان ، أصبح الوعي عاملا من عوامل كثيرة في قضية التحرير . لقد كانت المشاعر متبلدة . . وكانت تحتاج إلى كثير من الهزات لتصحو .

فعندما فتش الانجليز بيت المفتي كامل الحسيني بحثا عن أخيه الحاج أمين في أعقاب ثورة ابريل ١٩٢٠م . . غضب المفتي ورد على الانجليز وسامهم الرفيع الذي كانوا منحوه له .

وفي ١٣ يونيو ١٩٢١م كتب صموئيل المندوب السامي الصهيوني إلى وزير المستعمرات تشرشل يحذره بقوله : « إن مشايخ وعلماء المسلمين ظلوا حتى الآن في موقف المتفرج ، ولكنهم سيأخذون زمام المبادرة والحلول محل السياسيين في قيادة التحريض والثورة » (١) .

عندما ذكرت بريطانيا صراحة بعد نشر كتابها الابيض نهاية يونيو ١٩٢٢م أن عهودها المقطوعة للعرب لا تشمل فلسطين ، كان الرد الفلسطيني إرسال وفد إسلامي إلى مصر والحجاز لعرض القضية الفلسطينية من

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث – عبد الوهاب الكيالي ص ١٥١ .

المنظور الاسلامي . وكانت ذروة الانقلاب السياسي في عقلية المفتي الحاج أمين الحسيني الذي كان يعتبر من أشد أنصار الثورة العربية والحليف الاول للانجليز . . واذا به ينقلب ضدهم بعنف شديد . . بل وينقد نفسه نقدا ذاتيا عندما يؤكد في شهادته أمام اللجنة الملكية البريطانية فيقول : ان العرب كانوا يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية ، وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية . وأكد أن العرب كانوا أسعد حالا أثناء الحكم العثماني وأنهم كانوا شركاء في كل شيء[1] .

بل إن الاتراك عندما انتصروا على اليونانيين في حرب الاستقلال زينت الشوارع بصور مصطفى كمال أتاتورك وأقيمت صلوات الشكر في معظم مساجد فلسطين وفي المسجد الأقصى وجمعت الاعانات للضحايا والمتضررين الأتراك [2] .

ومن ميزات هذه المرحلة انشاء وظهور العديد من التنظيمات السرية والجهادية مثل جماعة الكف الاخضر في شمال فلسطين أوائل ١٩٢٩م وبدايات عام ١٩٣٠م ، والجهاد المقدس برعاية المفتي وبرئاسة عبد القادر الحسيني . لكن أقواها وأدقها تنظيما وأعظمها تأثيرا كانت حركة الشيخ عز الدين القسّام .

عز الدين القسام

عندما نتكلم عن النماذج المختلفة التي أغنت العمل الاسلامي بفكرها وتجربتها

---

(١) التيار الاسلامي في فلسطين (المرجع السابق) ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩ .

وجهادها ، لا نستطيع تجاهل شخصية عز الدين القسام ، فهو عالم مجاهد ، ورائد من رواد الكفاح ضد الاستعمار .

ولد في سوريا عام ١٨٧١م ودرس في مصر ، وقاتل الفرنسيين وعندما حكم عليه بالاعدام فر إلى فلسطين وقاتل الانكليز واليهود هناك ، ولقد أهمل المؤرخون عز الدين القسام كما أهملوا غيره من رموز الجهاد الاسلامي . . . بل إن بعضهم كتب كتيبا عنه وأعطاه صورة هي أقرب إلى صورة أبطال اليسار الذين يؤمنون بالصراع الطبقي ويناضلون من أجله .

أما الإسلاميون ، فإن دراستهم لعز الدين القسام ضرورية فهو : بطل مسلم وعالم جليل ومجاهد في سبيل الله ، والحديث عنه حديث عن تراث الحركة الاسلامية الحديثة وتاريخها . . وهو صاحب أسلوب مميز في العمل الاسلامي يعتمد أساساً على التربية والإعداد والتنظيم والجهاد . .

* فإذا تناولنا عالمية الحركة الاسلامية ، نجد القسام نموذجاً رائعاً جسد هذه العالمية بميادين الجهاد المختلفة التي كان رائداً كبيراً من روادها . فهو يجاهد الفرنسيين في سوريا ، ويجاهد الإنكليز واليهود في فلسطين ويتطوع مع عدد كبير من تلامذته في جبلة لقتال الايطاليين في طرابلس الغرب .

فكل الأعداء . . عدو للمسلمين . .

وكل الأرض . . أرض المسلمين تستحق التضحية والفداء .

* وإذا تناولنا القضية الفلسطينية . . وقلنا إنها قضية جهاد اسلامي . .

وأحببنا أن ندلل على ذلك . . فسيرتفع أمامنا المجاهد عز الدين القسام يطوف قرى فلسطين يتعرف ويعلّم وينظم ويعد الكتائب لليوم المعلوم . .

إن الظروف الخاصة التي عاشها القسام . . في اسرة فقيرة في مدينة جبلة على الساحل السوري . . والظروف العامة التي كانت تحيط به . . وظروف التآمر

الدولي الذي كان يستهدف الدولة الإسلامية العثمانية . . والتآمر الداخلي الذي هو جزء مكمل للمؤامرة الخارجية . . كل ذلك أثر في شخصية قوية ذكية مرهفة الحس ، صادقة التوجه مثل عز الدين القسام . .

أي الأحلام يريد القسام أن يحققها ؟

فأبوه الذي يخدم في حقول (البيك) ، يتعهد أرضه ، يسقيها ويحرثها ويزرعها ويرعى قطافها وحصادها ، ويعتني بحيواناتها – فحيوانات البيك مدللة ولا يجوز للفقراء أمثاله أن يقصروا في رعايتها – وأمه المرأة الطيبة الصامتة التي فتح عينه على الحياة فوجدها تعمل ، في الحقل ، وفي البيوت وفي كل مكان . . توزع نظراتها المشفقة على الأب الذي يشقى ، وعلى البنات اللواتي لم يأخذن نصيبهن من الحياة . . بل وعلى عز الدين الذي يظهر النبوغ المبكر في وجهه . . يعمل في النهار في الحقل ويسهر الليل في مدرسة الشيخ محمود المتواضعة . . وبيته البسيط المكون من حجرة واحدة تعيش أسرته في أحد أركانها . . وتعيش البقرة في الركن الأخير . .

وهل للقسام أن يفكر في سعادة بيته ، ولبيته كل الحق فيه ، أم أن أحلامه أكبر من ذلك واشمل ؟

وهذه المؤامرة التي تحيكها مختلف الأطراف : **القوى الخارجية** (ممثلة في انكلترا وفرنسا) التي تتدخل في شؤون الدولة العثمانية وتدعي حماية الأقليات في محاولة منها لضخ سمومها في كل مجالات الدولة . وهذه **المحاولات اليهودية** الآثمة التي بدأت تظهر للعيان بعد مؤتمر بال في سويسرا والتي قررت إسقاط الخلافة الاسلامية بعد أن امتنعت هذه الأخيرة عن بيع فلسطين لليهود . . **والقوى الداخلية** التي تتآمر مع أسياد الخارج . . **الماسونية العالمية** التي تلعب على حبل جمعية الاتحاد والترقي في استانبول لضرب الدولة العثمانية في

مركزها . . وتلعب على حبل **القومية العربية** في بلاد العرب في محاولة رهيبة لفصم عرى الأخوة والوحدة التي قامت عليها هذه الدولة الاسلامية العملاقة .

أي الأحلام يريد القسام أن يحقق . . . ؟

هذه بعض الخواطر التي مرت بذهن الفتى ابن الأربع عشرة سنة وهو منزو في ركن من أركان قارب الصيد الذي حمله من جزيرة أرواد المقابلة للساحل السوري إلى الاسكندرية حيث رغبت أسرته في أن يسافر إلى مصر ليدرس في أزهرها الشريف (عام ١٨٨٥م) .

وعندما حل الفتى عز الدين القسام . . في رواق " الشوام " . . شعر أنه في عالم آخر وكأنه عالم مسحور . . فمن يصدق أن محفظة عز الدين التي كانت قطعة من قماش خاطتها له أمه تحتوي على المصحف وبعض الكتب القليلة . . صارت مكتبات عامرة تضم كل أنواع الكتب التي حلم الطالب بها ليلتهمها . .

بل ومن يصدق أن عز الدين الذي كان يرفض الذل أمام الإقطاع المتحكم في أسرته وفي جميع الأسر في بلدته . . هو اليوم حر شامخ يتنقل من حلقة علم . . إلى حلقة بحث . . إلى كنف أستاذ قدير . . بل يستطيع أن يكون من أقرب الأشخاص إلى الإمام محمد عبده الذي كان مالىء الدنيا وشاغل الناس في مصر في تلكم الأيام . . بل ومن يصدق أن الفتى عز الدين . . يلتقي الآن مع أقرانه من مختلف أنحاء العالم . . في أروقة الأزهر . . يبحثون عن الوسائل الممكنة لتحرير بلادهم من الظلم الاجتماعي والسياسي . .

إن عز الدين القسام يعيش الحقيقة التي كان يحلم بها . . ونسى في غمرة ذلك الأمور الأخرى . . فما عاد يهمه أن تنفذ نقوده . . فساكن الأزهر يستطيع أن يعيش في كل الظروف .

عز الدين القسام في جبله :

وعندما عاد عز الدين عبد القادر القسّام عام ١٩٠٤م إلى بلدته الوادعة المستلقية على أطراف الشاطىء الجميل . . وجد كل شيء كما كان . . ، وإذا كان عز الدين يقبل مثل هذه الأوضاع وهو مستضعف فقير لا يستطيع عمل شيء . . فإن الأمر اليوم مختلف . .

أما هو فقد أصبح إماماً ومدرساً للجامع الكبير في جبله مسجد ابراهيم بن أدهم . . وهذه الوظيفة كانت تحميه من بطش الاتحاديين الذين سيطروا على الدولة العثمانية في أواخر أيامها . . وبدأوا يمدون نفوذهم إلى المناطق الأخرى . . وكان من الطبيعي أن يجدوا في الشيخ عز الدين عدواً لهم . . فقد كان متمسكا بالاسلام عدواً لهذه الدعوات القومية التي بدأ ينفثها هؤلاء بتشجيع من اليهود ودول الاستعمار .

وأما أسرته فقد انقطعت عن العمل في بيوت ومزارع الإقطاعيين . . فلا بد لهؤلاء الذين أكلت الأرض أجسادهم وأذهب الشقاء والاذلال ماء الحياة من وجوههم ، لا بد لهم من إجازة قصيرة يقضونها إلى جوار ابنهم الشيخ عز الدين يستعدون فيها لرحلة العمر بعد أن انقضى أكثره ، وإذا كانت الظروف المادية لم تتحسن بالقدر الذي يغير فيه شيخنا منزله إلى منزل آخر . . فعلى الأقل فليقسمه إلى أقسام يعيش البشر بقسم منه ويبقى القسم الآخر زريبة للحيوانات .

وهكذا يستطيع الانسان إذا تمرد داخله على الظلم والضعف أن يغير واقعه مهما كان هذا الواقع مرا ومؤلما . . ومهما كانت الامكانات قليلة ضعيفة . ولكن ، هل اسرة الشيخ هي أمه وأبوه وإخوته ، كلا ، بل هي كل سكان جبله الذين أحبهم من كل قلبه ، وقرأ على صفحة وجه كل واحد منهم الهوان والفقر الذي أحسه من قبل . .

ومن خلال دروس المسجد ، والزيارات لهؤلاء في بيوتهم وفي مواقع عملهم ، بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، والابتسامة الودودة ، أنس الجميع لفتاهم . . واهتم الشيخ بتعليم هؤلاء أمور دينهم (حقوقهم وواجباتهم) فلا يكفي أن يؤدوا طول حياتهم جميع ما تعارف الناس عليه من واجبات دون أن ينالوا أي نوع من الحقوق . . !

وبدأت أسر الاقطاع التي عاشت على دماء الآخرين . . تنظر بقلق لتحركات الشيخ . . استعملوا معه كل الأساليب ، فلم يستجب للإغراء وهو الفقير الذي يحتاج لكل شيء ، ولم ينفع معه التهديد والوعيد فهو ابن جبلة وكل سكانها اليوم إخوانه وتلاميذه ، لم ينفع معه استعداء السلطة ولا مكر الماكرين . . بل استمر في طريقه شامخا يريد أن يحقق لشعبه كل ما تصبو إليه نفسه وليبدأ ذلك في بلدته . .

وتتسارع الأحداث . . ويمر الشريط سريعاً أمام الشيخ عز الدين . . فيسقط السلطان المسلم عبد الحميد ، ويتسلم الدولة أذناب رباهم اليهود في محافل الماسونية ، وتقوم الحرب العالمية الأولى ويدخلها الاتحاديون لسبب مجهول . . إلا عند أساطين السياسة الغربية . . فقد كان معلوما ، أنهم رتبوا خططهم للاجهاز على الدولة العثمانية من خلال الحرب . . ويعلن الشريف حسين وأولاده – بعد التفاهم مع الانكليز – الثورة العربية التي تحالفت مع انكلترا ضد الدولة الاسلامية!!

ومع نغمات الماسونيين في الوحدة والحرية والمساواة . . ومع شعارات الانكليز بالأمة العربية الواحدة ، على هذه النغمات والشعارات يصحو المسلمون على معاهدات سايكس بيكو عام ١٩١٦م ، ووعد بلفور عام ١٩١٧م واحتلال المنطقة العربية من قبل دول الاستعمار .

وإذا كانت كلمات الجنرال الفرنسي غورو الحاقد الذي وقف على قبر صلاح

الدين الأيوبي وقال له : انهض يا صلاح الدين . . اليوم انتهت الحروب الصليبية ! ، إذا كانت هذه الكلمات الحاقدة قد حركت قلوب وعقول الغافلين . فقد كانت بالنسبة لعز الدين القسام وصحبه بمثابة البيان رقم واحد الذي يحرك على أثره موكب الجهاد بقيادة الشيخ المجاهد عز الدين القسام . .

حدثني شاهد عيان عن القسام فقال :

أعلن القسام الثورة مع عمر البيطار ضد الفرنسيين عام ١٩١٩م ، وكان معقلهم الاساسي في قلعة صهيون وبلدة الحفة في الجبال التي تلي مدينة اللاذقية ومن الكلمات التي كان يقولها لنا :

أيها الاخوان . . إن الجهاد هو الفريضة الماضية إلى يوم القيامة . . علينا جميعا أن نجاهد في سبيل الله لتخليص بلادنا من المستعمر الغاشم ولتعود بلادنا إسلامية تطبق شرع الله .

أيها الاخوان :

تسلحوا . . مهما تكن الظروف . . وليبع أحدكم كل شيء يملكه وليشتر السلاح وإذا لم يستطع فليبع أحدكم حجارة المسجد وليشتر السلاح ليقارع به الاحتلال والطغيان . . .

ولكم شهدت غابات الفرلق والصلنفة وجرود جبال العلويين ، القسّامَ ورفاقه يشنون الغارات على جنود الاحتلال . . يحيلونْ حياتهم إلى جحيم في تلك المناطق . .

وبعد سنة من إعلان الثورة أدرك القسام ورفاقه استحالة الاستمرار فلا سلاح ولا عون ولا مدد . . بينما استمرت مطاردة الفرنسيين له ولرفاقه ، رفاق الجهاد والايمان ، وصدر عليه حكم الإعدام من الديوان الفرنسي في اللاذقية ثم فاوضوه بعد ذلك – أثناء مطاردتهم إياه – على إلغاء حكم الإعدام وتحقيق كل ما تصبو إليه

نفسه من مال ومركز فظل على بلائه وعنفوانه واستعلائه وقرر مغادرة البلاد إلى فلسطين . .

القسام في فلسطين

من قدر الله إلى قدر الله

عندما ضاقت الأمور في وجه عز الدين القسام في سوريا . . ووجد نفسه أمام خيارين : الإعدام ، أو الاستسلام الذليل . . يومها قرر الانتقال من ميدان إلى ميدان . . ولسان حاله يردد : بل فراراً من قدر الله إلى قدر الله . وإذا كانت أنواع من الرجال تلعب فيهم الأقدار ، فإن الأفذاذ والعظماء يؤمنون بالأقدار ويستفيدون منها لخدمتهم بتغيير مواقعهم . . وهذا معنى قول الملائكة للذين استضعفوا في الأرض : « أَلَم تَكُن أَرضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِروا فِيها . . » .

واستقر بالقسام المقام في قرية الياجور قرب حيفا . . وكان ذلك في شباط (فبراير) عام ١٩٢٢م ، وحاول صديقه كامل القصاب أن ينزل الشيخ ورفيقاه الحنفي والحاج عبيد في حيفا ضيوفا عليه . . ولكن الشيخ أبى ، فليس المقام مقام أيام ، والهمة العالية تقتضي أن يشكر الموقف الكريم وأن يعتمد هو وإخوانه على أنفسهم ، وإذا كانت بيوت التنك لا يستطيع الكثيرون أن يسكنوها . . فهي بالنسبة للقسام مناسبة جداً . . فهي من ناحية لا تقل عن مستوى بيته في جبله ، وهي من ناحية أخرى بيوت المستضعفين والمهاجرين . . وأقرب إلى الواقع الحقيقي الذي تعيشه الأمة في تلكم الأيام .

جاء القسام إلى فلسطين مجاهدا ، فلقد كان واضحا له المخطط الرهيب الذي رسمته اليهودية العالمية في بال في سويسرا ، والذي قرر إنشاء وطن قومي لليهود

في فلسطين ، وكان يرى التآمر العالمي المدعوم بالقوة الاستعمارية عامة والبريطانية خاصة لتطبيق هذا المخطط الرهيب .

وكان يرى الهجرة اليهودية . . والشبان اليهود المسلحين القادمين من أطراف العالم يستولون على الأرض بالإغراء أو الارهاب . . وفي كل يوم كانت تزداد مساحة حي التنك الذي يقطنه . . وكانت بالنسبة إليه المؤشر على فداحة الخطب .

كانت قضية فلسطين واضحة لكل انسان مؤمن بصير . . كانت واضحة للسلطان عبد الحميد عندما عرف أنه سيفقد ملكه من أجل موقفه الإسلامي الرائع في القضية الفلسطينية . . وكانت واضحة للإمام حسن البنا عندما استنفر إخوانه في العالم للجهاد في سبيل الله لإنقاذ فلسطين . . وبنفس القدر كان الأمر واضحا في ذهن القائد المجاهد عز الدين القسام . . راجع الزعامات الفلسطينية وتشاور معهم . . وكانت لهم آراء غريبة ، بعضهم يكتفي بالمظاهرات . . وبعضهم يكتفي بالمؤتمرات . . وبعضهم يؤمن بالمفاوضات وآخرون ذهبوا إلى بريطانيا من أجل إيجاد حل للقضية .

يا سبحان الله كيف تتكفل بريطانيا لليهود بأنها لن تخرج من فلسطين حتى تمكن لهم فيها . . ثم يأتي المغفلون العرب ليفاوضوها على حقوقهم . . أما القسام فقد كان يعرف طريقاً واحداً للتحرير . . فالحقوق تؤخذ ولا تمنح وليس بغير القتال تسترجع الحقوق .

ولكن الأمر يحتاج إلى أناة وعمل دقيق . . ويحتاج إلى تكوين جيل جديد يؤمن بالجهاد طريقا للتحرير . . يحتاج إلى جيل مؤمن يباشر الجهاد بنفسه . أكثر مما يحتاج إلى جيل منظّر يدعو غيره للجهاد ويقبع هو في الأبراج البعيدة . من أجل ذلك ولمدة سبع سنين بقي القسام يتصل بالناس ويتعرف على نوعياتهم ، ويربيهم ، وينظمهم ، ويدربهم ، ويعدهم للساعة الحاسمة . . عمل مدرسا في

مسجد النصر في حيفا [(١)] ، ثم انضم إلى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٦م ونال في الانتخابات التي جرت في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٢٨م أكثر الأصوات فانتخب رئيسا لها [(٢)] ، ثم عمل خطيبا في مسجد الاستقلال أكبر مساجد المدينة ، وفي عام ١٩٢٩م تقدم بطلب لتعيينه في وظيفة مأذون شرعي فتم له ذلك ، وهكذا استطاع الشيخ خلال سبع سنوات من جمع وظائف معلم في مدرسة وواعظ في مسجد ومأذون شرعي ورئيس لجمعية . . لقد استطاع أن يضمن لنفسه شرعية الاتصال بطبقات الأمة كافة [(٣)] .

الإعداد للثورة

وكان الإعداد للثورة يحتاج في نظر القسام إلى :

١- الاتصال بالناس كافة متدينهم وغير متدينهم . . ولكم دخل في جدال مع العلماء الرسميين عندما كان يقضي الساعات مع انسان معروف بسلوكه غير المستقيم . . وكان ينتصر عليهم في أكثر الأحيان عندما يتحول هذا الانسان إلى مجاهد من الطراز الأول [(٤)] ، وكانت مجموعة وظائفه تؤمن له هذا الاتصال على هذا النطاق الواسع .

٢- **بث الحب بين الناس** . . فقد كان المستعمر واليهود يشيعون كثيراً من

---

(١) عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد ص ١٣ .

(٢) ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني العبيدي ص ١٦ .

(٣) ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني العبيدي ص ١٧ .

(٤) أرض الثورات – عرفات حجازي .

الأراجيف يفرقون فيها الناس بعضهم عن بعض . . وكان القسّام يعمل على إحباط خطة الأعداء التي تقول : فرق تسد ، عن طريق إشاعة الحب وتأليف القلوب . . فلا بناء بغير حب ، ولا تماسك بغير اخوة . . وأول درجات الحب سلامة الصدر وأعلاها مرتبة الإيثار . .

٣- **دعوة من يتوسم فيهم الخير** إلى بيته [١] . . فهناك مجلس قيادة الثورة ، وفي هذا المجلس البسيط المتواضع كان القسام يتعرف على عناصره ويتفاهم معهم في جو من الأخوة في الله ، وكان يتدرج مع عناصره حتى يصل بهم إلى درجة المصارحة بهدفه . . وأن الهدف يقوم على الجهاد في سبيل الله من أجل إنقاذ فلسطين .

٤- كان القسّام يؤمن أن فلسطين لن تنقذ إلا إذا استشعر أهلها مسؤولياتهم . . رجالها ونساؤها وأطفالها . . العامة والعلماء . . وكان يؤمن عمليا بالشعار الذي رفعه من بعده العالم المجاهد عبد القادر عودة عندما كتب كتابه : الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه . وكان يعتقد أن مسؤولية العلماء أكبر وأشمل . .

كانت المؤامرة كبيرة تشمل جميع الجوانب . . فالعمل يجرى على إسقاط الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة . . ورفع شعار لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة . . وشغل العلماء بتوافه الأمور مثل تزيين المساجد والاحتفالات بالمناسبات . . والانشغال بأمورهم المعيشية . . أما الجهاد والقتال فقد كان بعيدا جدا عن اهتماماتهم .

كان القسّام يناشد العلماء أن يتحسسوا مسؤولياتهم وأن يقودوا شعبهم لتخليص بلادهم من رجس الاستعمار . . كان يناشدهم أن يحوّلوا المحاريب إلى

---

(١) الثورة العربية الكبرى في فلسطين - صبحي ياسين ص ٢١ .

منابر للثورة . . وأن تكون خطبهم مشاعل نور يهتدي بها الشعب التائه وبيانات ثوريه يحفظها المجاهدون .

هذه باختصار الوسائل التي سلكها القسام في مرحلة الإعداد للثورة ولقد أحس الناس جميعا . . الأصدقاء والأعداء بتحركاته حتى إن حاكم لواء حيفا الانكليزي قال له :

« يا شيخ إنك متحرك وذو نشاط مناوىء لنا ، فرد عليه الشيخ – بعد أن أخرج المصحف الشريف من جيبه – قائلا :

" هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولانخالفه " [1] .

ولقد انتشرت دعوته ليس في شمال فلسطين مقر اقامته فحسب بل وشملت وسط فلسطين ووصلت حتى غزة في الجنوب .

الجهادية

في عام ١٩٢٥م وبعد ثلاث سنوات من الاعداد المحكم الدقيق بدأ القسام بتكوين منظمته الجهادية التي تميزت بما يلي :

(ا) الدقة في اختيار العناصر :

كان القسام دقيقا في اختيار عناصره . . كانت الاهداف كبيرة وخطيرة . . وتحتاج إلى العناصر القوية والموثوقة . . (ولذلك لم يكن يبوح بالسر الكبير الذي يحمله وهو الثورة لمنع اقامة وطن قومي في أرض فلسطين إلا لأشخاص قلائل جدا بعد أن يدرس نفسياتهم دراسة كافية لمدة قد تطول عدة سنوات) [2] .

---

(١) الاسلام بين العلماء والحكام عبد العزيز البدري ص ٢٣٥ .

(٢) الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ – ١٩٣٩ صبحي الياسين ص ٢٠ .

والثورة التي تريد أن تنتصر تتريث في اختيار العناصر الاساسية . .
فالجهاد الاسلامي في عهد النبوة وفي العهود التي تلته قامت أساسا على تلك العناصر التي نشأت في محضن النبوة فكان الرجل منهم بأمة . . والرجل بألف . . والرجل بجيش ففتحت بهم البلاد واهتدت بهم العباد . . وكانو رموز كل فتح عظيم أدركه المسلمون بعد ذلك .

(٢) السّرية :

أسس القسام منظمته على أساس من السّرية الكاملة . . وإذا كانت السّريه في العمل الإسلامي الدعوي قليلة الأهمية . . لأنها شبه مستحيلة فإنها في العمل العسكري ضرورية جدا .
ومن هنا فقد كان الشخص الذي يقع عليه اختيار الشيخ يخضع لتجربة ومراقبة تمتحن خلالها عزيمته وقدرته على حفظ السر [١] .
بل ولم يكن اعضاء المنظمة يعرفون بعضهم بعضا [٢] ، وزيادة في الحرص والحيطة كان الأعضاء يتعاملون بأسماء حركية خاصة غير أسمائهم [٣] .

(٣) مراعاة جانب الاختصاص

تطورت الأمور وتشابكت المصالح ، وصار لكل فرع من فروع الحياة علم ينظمه ويحدده . . فإذا راعى كل ذي اختصاص اختصاصه ، وعمل في الحقل

---

(١) عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد ص ٢٥ .
(٢) ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني العبيدي ص ٢٤.
(٣) عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد ص ٢٥ .

الذي يتقنه ، فإن النتائج توشك أن تكون في التقدير السليم .

أما إذا زعم الزاعم أنه صاحب كل الأختصاصات وصار القائد قائد الحرب وأستاذ العسكرية وإمام السلم ورجل الاقتصاد فلك أن تتوقع أن الأمور لا تسير في خطها السليم .

ولقد راعى عز الدين القسام جانب الاختصاص في تنظيم حركته . . فقسم أعوانه إلى عدة مجموعات على النحو التالي :

١- **المجموعة الفدائية او وحدة التدريب العسكري :** ومهمتها تأسيس فرق المناضلين والفدائيين لمباشرة العمل المسلح وكان يشرف عليها الضابط العثماني **(جلادات)** .

٢- **مجموعة التهيئة والإعداد الثوري :** ومهمتها نشر روح الثورة على مؤامرات الصهيونية والانتداب وتوعية الناس لرصد المؤامرة التي تستهدف القضاء على المقدسات ومطالبتهم بالاستعداد التام ومن أبرز قادتها **الحاج حسين حماده.**

٣- **مجموعة التمويل :** ومن مهماتها جمع الاشتراكات من الأعضاء وقبول التبرعات لشراء السلاح ومن قادتها البارزين **الشيخ حسن الباير والشيخ نمر السعدي .**

٤- **مجموعة الوعظ والدعاية :** ومهمتها بث روح الجهاد في نفوس المواطنين والطلاب ورواد المساجد وتعليمهم امور دينهم .

٥- **المجموعة السياسية :** ومهمتها الاتصال بالشخصيات السياسية العربية لتوحيد صفوفهم وكذلك للتجسس على اليهود والانكليز لمعرفة خططهم السرية .

٦- **مجموعة العمل الجماهيري :** ومهمتها المشاركة في المظاهرات ويشرف عليها **الشيخ محمود المخزومي .**

٧- **مجموعة أسر المعتقلين** : ومهمتها تأمين الاتصالات والوقوف الى جانب أُسر الشهداء في حالة اندلاع الثورة [١] .

أما الشيخ عز الدين قائد الثورة فكان يلقي الدروس ويشرف على إعداد هؤلاء الأبطال ولم ينس يوما أن يختم دروسه بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم ﴾ المائدة - ٥١ .

هكذا نظم الشيخ عز الدين القسام طلائعه المجاهدة . . كل فصيل يعرف مهمته ولا يتدخل في مهمة الفصيل الآخر . . للأمور العسكرية أحد قواد الجيش ، للوعظ والارشاد أحد المشايخ ، وللإعلام رجال وللمال رجال . . ولكل مهمة يُسأل عنها ويحاسب على أساسها .

وللأسف الشديد فإن هذا الدرس التنظيمي لم يأخذ به من جاءوا بعد القسام بخمسين سنة . . فقد سبقهم في الزمان وسبقهم في التنظيم والاعداد .

(٤) عدم خلط المراحل .

لم يحن عام ١٩٣٠م حتى بلغ أعضاء الجهادية حوالي مائتي فدائي والأنصار اكثر من ذلك بكثير (حوالي ٨٠٠) ، وكان الشيخ عز الدين قد نظمهم في حلقات سرية على نمط حلقات الأرقم بن أبي الأرقم ، كل حلقة تتكون من خمسة أشخاص عليهم نقيب للقيادة والتوجيه [٢] ، ثم اتسعت تلك الحلقات لتضم تسعة أشخاص .

وهنا تبدأ المشكلة الحقيقية . . التي تواجه جميع الحركات الثورية . . ففي

---

(١) عز الدين القسام - عبد العزيز السيد احمد ص ٢٧ .

(٢) شؤون فلسطين ص ١٨٢ .

البداية يعمل الجميع ويلتف الجنود حول القائد في التزام وطاعة كاملين . . ومع نمو الحركة تتغير الظروف ، ويستشعر البعض من أنفسهم قوة ، وقد تحدث بعض الاخطاء ، وقد يساء تفسير بعض الحوادث . . كل ذلك سيدفع بعض المتعجلين الى خلط المراحل واستعجال ملاقاة العدو . .

وهنا يبرز دور القيادة : فتقف بصلابة في وجه الحماس وتلزم الجميع بالخطوات المحسوبة وبالخطة المقررة ، أوتساير المتحمسين لتحتفظ بهم والنتيجة في مثل هذه الحالة هي الدمار والإخفاق .

ولننظر كيف تصرف القسام عندما واجهت حركته مثل هذه الحالة . .؟

عام ١٩٢٩ حاول اليهود احتلال حائط المبكى والمسجد المجاور له بتشجيع ومساندة قوات الاحتلال البريطاني ، فتصدى لهم سكان القدس وقراها بشجاعة نادرة وانفجر الشعب الفلسطيني في انتفاضة عارمة استهدفت العديد من المدن التي يتواجد فيها اليهود ولاسيما الخليل وصفد . واستمرت الانتفاضة اسبوعا كاملا سقط خلالها أكثر من ٦٠٠ مواطن بين شهيد وجريح واعتقل المئات . وكانت قمة البطش البريطاني إعدام شهداء الثلاثاء الحمراء : **فؤاد حجازي (من صفد) ، ومحمد جمجوم وعطا الزير (من الخليل) .**

ومع تصاعد الهيجان الشعبي . . رأت مجموعة منظمة القسام وعلى رأسهم عضوالقيادة «أبوابراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) . .» أن الوقت قد حان لإعلان الثورة (١) .

ولكن القسام بقوة شخصيته . . وإدراكه لأبعاد القضية . . وبحكم تجربته الجهادية التي مارسها في سوريا ضد الاحتلال الفرنسي . . بحكم ذلك كله . .

---

(١) ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني عبيدي ص ٢٨ .

قال لإخوانه بمنتهى القوة والحزم :

لم يئن الأوان بعد ولا بد من الالتزام ، ومن خالف فله طريق ولنا طريق آخر . . ولن تعلن الثورة حتى تكتمل .

وفي عام ١٩٣٣ حدث ازدياد في الهجرة اليهودية ، وبأعداد كبيرة حيث بلغ عدد المهاجرين هذا العام نحو ثلاثين ألفا ، كان من جراء ذلك ترتيب إجراء عدد من المظاهرات في المدن الفلسطينية . .

قامت المظاهرة الأولى في القدس يوم الجمعه ١٣ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٣٣، وشهدت يافا المظاهرة الثانية ، التي كانت تحديا جديدا للمحتل . . وعندما أخفقت السلطات البريطانية في أن تمنع المظاهرة أو أن تحول دون موسى كاظم الحسيني و قيادتها . . حدثت المجزرة . .

ومرة اخرى تساءل عضو القيادة أبو ابراهيم الكبير (خليل محمد عيسى) : أما آن لنا نشارك في شرف هذا النضال ؟

ألم يتحقق شعار الحركة ، تعلن الثورة عندما تكتمل ، ألم تكتمل ؟ . . أليست الظروف الموضوعية في البلاد قد نضجت ؟ اليس هذا العمل المسلح من صفد شمالا إلى الخليل جنوبا دليلا على نضج الظروف ! ، الايستحق هذا العمل الرائع مشاركة منا ودفعا له باتجاه الثورة . . لقد آن لنا أن نخرج من السر الى العلن .

لكن الشيخ عز الدين الذي نيّف على الخمسين ومازال مكتويا بسياط الإخفاق الذي أطاح بالثورة في سوريا . . كان يقول : أليس الانطلاق قبل الاستعداد الكافي أحد أسباب الإخفاق . .؟

هل هذه حركة تستجيب للأحداث المؤقتة ، أم أنـها مشعل ينطلق فيحرق كيان العدو المحتل ولا يستطيع أحد أن يطفئه حتى يضيء كل فلسطين بنور

الاستقلال[1] ؟

بهذا الوعي الشامل ، وبهذه الصلابة الكاملة ، تصرف القائد عز الدين القسام . . حاول عبثا إقناع المتحمسين بوجهة نظره ، فعندما أصروا . . تمسك بموقفه السليم ، وهكذا تكون قيادة الثورات : صلابة في الحق . . تمسكا بالخطة . . وعدم استعجال المراحل أو خلط المواقف .

(٥) وضوح الخطة :

كانت خطة العمل واضحة عند عز الدين القسام ، ولم تؤثر جميع المفاجئات أو الأحداث الملتهبة أو استعجال البعض للمراحل . . لم تؤثر قط على خطته التي كانت تتلخص بما يلي :

تعلن الثورة عندما تكتمل ، وبالفعل فإن أحداث ١٩٣٣– ١٩٣٥ قد جعلت المناخ العام في فلسطين أكثر نضجا ، المهاجرون اليهود يتدفقون ، والمحتلون الانكليز يزداد حقدهم على الوطنيين ، والأسلحة تتدفق على اليهود تحت مختلف الأسباب . . أما في الجانب الاخر فقد نمت كوادر الحركة وأصبحت بالمئات ، وكثر الاعضاء فصاروا بالآلاف . .

في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٣٥ دعا القائد عز الدين القسام رجال قيادته وتدارسوا الموقف ثم كان قرار بدء الثورة [2] .

وكانت الخطة كما يلي :

---

(١) عز الدين القسام – عبد العزيز السيّد أحمد ص ٣٥ .

(٢) ثورة عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد ص ٣٨ .

* يغادر جميع أفراد التنظيم أماكنهم فورا ويتوجهون إلى أرض المعركة في جبال جنين القريبة من حيفا ، وعليهم أن يودعوا أهليهم ويواعدوهم اللقاء في الجنة .

* وفي قرية كفروان الجبلية وزع القائد رفاقه على قرى : يعبد وفقوعه ، وصندلة وقباطية للاتصال بأهاليها وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة ، حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المناضلين ، فإذا اكتمل العدد الذي يريد هاجم مدينة حيفا واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء ، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام الحكومة الوطنية ، ويكون أعوانه في المدن الاخرى قد قاموا بنفس العملية .

ولقد سارت الخطة كما يرام . . ها هو القسّام ابن الستين عاما يتسلل ليلا وقد نزع لباس الواعظ ليرتدي لباس القائد المجاهد . . ويجمع أسرته وأولاده الصغار ليخبرهم بعزمه . . ويواعدهم في جنة الرضوان . .

وفي الجبال اتخذ رجال (الجهادية) مراكز لهم ، نهارهم اتصال بالآخرين في القرى المجاورة . . وليلهم عبادة وتهجد وتدريب على السلاح .

(وكان القائد محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قرب قرية فقوعه فشاهد دورية بوليس من الفرسان يقودهم شاويش يهودي . . فدب الحماس في المناضل الحارس فأطلق النار على الشاويش اليهودي فقتله إلا أن زميله استطاع الهرب . .

وفي اليوم الثاني صباح يوم ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ قامت قوات كبيرة انكليزية بتطويق جميع القرى المجاورة . . ثم تطورت الأمور فعقد اجتماع في مكتب المندوب السامي الانكليزي وتقرر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة . . مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها . .

وأرسلت نجدات من رجال البوليس الانكليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا ، تساندهم الطائرات ، وزحفت القوات الى جبال جنين وطوقت منذ طلوع

الفجر قرى : يعبد واليامون ويرقين وكفروان وفقوعة . كان الشيخ القسام مع أحد عشر مناضلا في أحراش يعبد في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية من يعبد .

وحين طلب إليه أن يستسلم أجاب إننا لن نستسلم . . والتفت الى زملائه قائلا : موتوا شهداء[1]) .

واستشهد القائد الكبير عز الدين القسام يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥م . . ولطالما كان يتوق للشهادة . . لكأنما أراد القدر أن يؤكد له ما كان يصر عليه أن التصرف الخاطيء المخالف للخطة المتسرع مهما بدا جميلا . . ففيه الضرر الكبير . .

إن وضوح الخطة قضية ضرورية في حالات الحرب والسلم . .

وبدون خطة واضحة يتحول العمل الدعوي والجهادي إلى مناوشات بدون هدف . . ترضي من قام بها . . أو تحقق أغراضا سطحية موقتة . .

(٦) القائد القدوة :

وإذا كانت القيادة أنواع . . قيادة تنبثق بشكل طبيعي من بين العناصر التي عاشت معها ، وخططت لرفعة شأنها ، دون أن يشكل ذلك أدنى ميزة مادية أو دنيوية لها . .

وقيادة أخرى تتخذ الأسباب لتضع نفسها على رأس الجماهير ، وهي دائما في مقام دنيوي ومادي أرفع . . يدعون الآخرين للفداء وهم وأسرهم وأولادهم في مأمن من كل ذلك . . فكلامهم يصح على الاخرين ولا يصح عليهم . .

من الصنف الأول كانت قيادة القائد المجاهد عز الدين القسّام . . عاش في

---

(١) ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني العبيدي ص ٤٤ .

بيوت الصفيح . . وجلس ونام وقام في وسط إخوانه وأبنائه . . أولاده مع المجاهدين وبناته وزوجته في خدمتهم . . وعندما حانت ساعة القتال تقدمهم . . دون أن يعبأ بسنيّه الستين يحملها فوق كاهله . .لم يكن في قاموسه مثل التعابير المتأخرة : قيادة ميدان ، وقيادة أخرى بعيدة عن الميدان . . فمجال الكلام غير مجال الميدان ، فهناك يكرم المرء أويهان . .

كان بإمكان القائد أن يستسلم للقوة الطاغية المحتلة التي كانت تطوق قواته من جميع الجهات . . وكان بإمكانه أن يستجيب للمساومات . . ويدخل في تحالفات وسيجد الأعذار والتفسيرات المناسبة . .

(كلا ، فلقد استشهد البطل عن وعي كامل بضرورة الاستشهاد ، لأن استشهاده يعني وضوح الرؤية بالنسبة لدور الحركة الطليعية ، وتأثيرها على مستقبل الشعب ونضاله ، إن مهمته أن يموت حين تجيء لحظة الموت من أجل أن يصنع للآخرين المستقبل والحياة .

والانسحاب يعني ببساطة التخلي عن تجسيد هذا الدور ، أو إتاحة الفرصة للتشكيك فيه ، وهو أمر سيجعل الفرصة متاحة لهدم كل ما بنى الرجل خلال الأعوام الطويلة ، وما كان للقائد التاريخي أن يهرب من ساحة الموت ، التي هي ساحة الخلود الأبدي ، إلى ساحة الحياة الوضيعة التي هي

الموت الحقيقي على سطح الأرض . . [1]) .

بداية أم نهاية :

هل كان استشهاد قائد الثورة ورائد النضال والكفاح الشهيد عز الدين القسام نهاية لمنظمته الجهادية . . أم بداية حقيقية للوعي الشعبي . . والتحرك الثوري في

---

(١) عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد ص ٢١ .

ارجاء فلسطين والوطن العربي والاسلامي كافة .

* قال اليهود : لقد كانت أحلام درويش متعصب . . انتهى وانتهت معه أحلامه . .

* وقال الانكليز في أحد بلاغاتهم : لقد قضينا على بعض الأشقياء منهم الشيخ القسام وبعض رفاقه . . ذلك بزعمهم ، أما الحقيقة فلقد تحول الأمر من رجل الى قضية ، ومن بطل الى أمة . . ومن شعلة ارتفعت لتعم أرض فلسطين كلها . . ولقد تجلت هذه البداية :

(أ) في جنازته :

(فقد حمل المواطنون جثمان الشهيد الى حيفا ، ومن هناك انطلق موكب تشييعه ، كان مهرجانا حقيقيا قام به الفقراء والفلاحون والعمال الذين أحبهم فأحبوه . وآثرهم فآثروه ، وافتداهم بالروح فأعزوه وأكرموه . . وكانت مظاهرة غضب وسخط بالغ على الانكليز حيث قام المتظاهرون بتحطيم مبنى الشرطة ، ثم انطلقوا سيرا على الأقدام يحملون جثمان الشهيد على أكتافهم الى بلدة الياجور ، وعلى طول الطريق الممتدة إلى عشرة كيلومترات كان الهتاف بحياة الشهيد ، والجميع يجددون العهد على السير على خطاه حتى تتحقق الأهداف التي استشهد من أجلها .

وفي الياجور ووري الشهيد الثرى ، وبينما كانت حيفا تودع بطلها الكبير ، كانت المآذن تنعى القائد ، وبينما كانت الصلاة تقام على الشهيد ، كانت مساجد فلسطين كلها تقيم صلاة الغائب على روحه المرفرفة سعيدة هانئة في سماء فلسطين) [1] .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) وفي تأبينه :

وفي ذكرى الأربعين لاستشهاده أقيم احتفال كبير في مدينة حيفا ، تقاطرت إليه الشخصيات الوطنية من جميع أنحاء فلسطين .

الشيخ سليمان التاجي الفاروقي يهتف :القسام نقل القضية من دور الكلام الى دور العمل .

والأستاذ أكرم زعيتر يقول : (بالأمس دفنا القسام ودفنا معه العدل البريطاني ، لماذا التمجيد والتأبين ؟ ألأنهم ماتوا ؟ كلا بل لأنهم عرفوا كيف يموتون ، وأي سبيل الى الجنة يسلكون ؟ القسام خاطب الناس بأفصح لغة وأكرم بيان ، فتح بالقضية باب الجد ، ودق بيده المضرجة باب المجد . .) .

وقال عجاج نويهض (سافر القسام وكان جواز سفره الأكبر مصحفا في جيبه وقلبه . .) .

(٣) وفي التغير الشعبي الذي حدث :

فلقد ذكرت جريدة الجامعه الإسلامية : (والظاهرة الأخاذة التي تجلت في الاجتماع العظيم دلت على أن الشعب الفلسطيني قد تحول تحولا مدهشا عن سياسة المجاملة الى سياسة المصارحة والمعالنة ، والنزوع الى العمل الجدي في روح جديدة . . . ستظهر آثارها قريبة إن شاء الله . . .)

كما قامت مظاهرات هاجم فيها أبناء الشعب الفلسطيني دوائر البوليس والدوريات الانكليزية بالحجارة ونشرت تلك المظاهرات وعيا في صفوف الشعب المسلم في فلسطين وأخذ كل فرد يفكر في الثورة المسلحة على الظلم والطغيان ، وأخذ العلماء يحرضون الشعب على القتال والجهاد [١] .

---

(١) الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢٨ .

وقد تصاعد الأمر إلى درجة استدعت فيه السلطات البريطانية الغاشمة أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها وحظرت عليهم كتابة أيّ شيء عن القسام وهددت بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم [١] .

(٤) وفي تماسك الثورة القسامية :

فقد أدرك رفاق القسام ، حتى أولئك الذين كانوا يخالفونه في بعض التفاصيل ، أنه أبعد منهم نظرا وأكثر منهم حكمة ، وأدركوا يوم استشهاده أن العبء الثقيل قد حط على كاهلهم فاجتمعوا وتعاهدوا . ومنذ اليوم التالي لاستشهاد القائد كان رفيقه الشيخ فرحان السعدي يأخذ زمام المبادرة ويرابط في جبال صفد يكملون المسيرة .

(لم تمض إلا شهور قليلة حتى كانت الشرارة الأولى لثورة عام ١٩٣٦ حينما نصب السعدي ورفاقه يوم ١٥ نيسان (إبريل) ١٩٣٦ ، كمينا لقافلة من ١٥ سيارة علي طريق طولكرم – نابلس بين عنبتا وسجن نور شمس .

وفي يافا تكون الشرارة الثانية في ١٩ نيسان (إبريل) ١٩٣٦ ، ومن يافا تنتقل شرارة الثورة المسلحة لتشمل كل فلسطين ، فتكون الكوادر القسامية طلائع الثورة ، وقادة معاركها . . [٢])

فلم تكن إذن النهاية . . بل البداية التي أيقظت الشعب المسلم في فلسطين وأقامت له معالم الطريق . . وقدمت النموذج الرائع في الشهادة . . تلك كانت قصة الشهيد القائد عز الدين القسام ، التي سجلها الشاعر محمد صادق عرجون .

من شاء فليأخذ عن القسام أنموذج الجندي في الإسلام

---

(١) شئون فلسطينية ص ١٨٧ .

(٢) الشيخ عز الدين القسام – عبد العزيز السيد أحمد .

ولـيتخـذه إذا أراد تخـلصـا		من ذلـة المـوروث خيـر إمـام
تـرك الكـلام ورصفـه لهـواتـه		وبضـاعـة الضعفاء محـض كـلام
أوماترى زعماءنا قد اتخمـوا الـ		آذان قولا أيّـما اتخـام
كنـا نظـن حقيقـة مـا حبـروا		فـإذا بـه وهـم مـن الاوهـام

والقصة لخصتها ابنة الشهيد (ميمنة القسام) عندما تكلمت عن أبيها في أول مؤتمر نسائي عقد في فلسطين عام ١٩٣٨م فقالت :

(هل تسمحُنّ أن تتكلم عـربية يا سيداتي ، أبوها شيـخ جليل وعالم من علماء الدين ، له أنصـار وتلاميـذ ، ألف منهم عـصبة كريمة مـجاهدة ، ومـضى بهم إلى أحراش يعبد وروابي جنين وهناك وقف أمام جيش من الظالمين وهتف باخوانه : الله أكبر ، الله أكبر ثباتا ثباتا ، موتوا في سبيل الله لإنقاذ فلسطين وما هي إلا ساعة حتى كان أبي وملاذي الشيخ عز الدين القسام ، صريع الظلم والعـدوان ، يخضب دمه عمامـته البيضاء ، ويسقي شـجرة الاستقلال في ثرى فلسطين ، وقـال التاريخ : عز الدين أول شـهيد في الثـورة ، دق باب الحـرية بيـده المخضبـة بالدمـاء ، فكان في استشهـاده استاذا في الفداء ، أما طلابه ومريدوه فمنهم مـن قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ! نعـم منهم من خاض الغمرات ، وغشي المعامع ، واسـتبسل في الوقـائع ، وهـو لا يزال في الجبـال والوهاد ، في المغاور والكـهـوف ، لم يلق سلاحه ولم يستسلم حتى تنجو فلسطين من كيد الكائدين أما أنا فلست أقول سوى : الحمـد لله ثـم الحمـد للـه ، الـذي شرفـني باستشهـاد أبي وأعزني بموتـه ولم يذلنـي بهوان وطنـي واستسـلام أمتـي [1] .)

---

(١) الحركـة الوطنية الفلسطينيـة ص ٤٧٤ والمرأة العربية وقـضية فلسطين – المؤتمر النسائي الشرقي عام ١٩٣٨ ص ١٥١



عز الدين القسام

الفصل السابع والعشرون

نابلس تقود الحركة الوطنيّة

نستطيع أن نقول إن الحركة الجهادية التي أسسها القسام . . وأحياها باستشهاده ، قد أحدثت هزّة عميقة في كل فلسطين . . فالشعب المغلوب على أمره ، الذي ضاق بخلافات السياسيين وأطماعهم وانقساماتهم ، قد وجد الحل الحقيقي لمأساته وذلك بالثورة العارمة ليس على اليهود فقط بل وعلى الانجليز أسباب البلاء وعلته أيضا .

والسياسيون الذين كانوا يقدّمون رجلا ويؤخرون أخرى . . ويدبجون البرقيات التي تشيد بذكرى دخول اللنبي القائد الحليف الى القدس . . والذين لم يسأموا من المظاهرات والمطالبات والعرائض واللقاءات . . هؤلاء الزعماء بما فيهم كبيرهم المفتي الحاج أمين الحسيني وجدوا أنفسهم خلف الشعب الذي تركهم وراءه ومضى يلحق بالقسام .

أما زملاء القسّام الذين استعادوا أنفسهم بعد الصدمة الكبيرة التي حدثت لهم باستشهاد قائدهم . . فقد نظموا أنفسهم واختاروا الشيخ فرحان السعدي قائدا جديدا لتنظيمهم [١] .

وفي ١٥ أبريل ١٩٣٦ فجّر القسّاميون الشرارة الأولى للثورة الكبرى في فلسطين ، عندما قاموا بقيادة الشيخ فرحان بقتل يهوديين وجرح ثالث في عملية (عنبتا — نور الشمس) التي هزت البلاد وأحدثت جوا عاما من التوتر [٢] .

---

(١) حرب العصابات في فلسطين — صبحي ياسين ص ٧١ .

(٢) الحركة الوطنية الفلسطينية — أكرم زعيتر ص ٥٣ .

وقد عرف اليهود فيما بعد أن المهاجمين كانوا من جماعة القسام وبقيادة الشيخ فرحان السعدي الذي انتقموا منه بإعدامه صائما وهو شيخ في الثمانين [1] .

ثم حدث اشتباك آخر في يافا يوم ١٩ أبريل بين العرب واليهود أدى إلى قتل ١٦ وجرح ٧٥ من اليهود ، واستشهاد ٦ وجرح ٧١ من المسلمين ، فأعلنت السلطة في الليلة نفسها فرض منع التجول كما أعلنت حالة الطوارىء في فلسطين . إزاء هذة الأحداث لم يقم السياسيون بأكثر من مقابلة المندوب السامي ليعلنوا أسفهم على العنف الذي حصل . . بينما سارع رجال نابلس وشبابها الى عقد اجتماع سريع اتخذت فيه قرارات سياسية هامة ، أرست مبادىء الحركة الوطنية في عهدها الجديد . من أهم القرارت التي خرج بها الاجتماع ما يلي :

١ – تتولى نابلس قيادة الحركة الوطنية على أساس قومي لا حزبي .

٢ – يجب أن توجه القضية توجيها صحيحا فتتجه المقاومة ضد الانجليز أولا باعتبارهم أساس البلاء . . ولا يجوز أن تصرف القضية الى مقاومة الصهيونية وحدها .

٣ – تتولي نابلس حالا الاتصال بالبلدان الاخرى دون انتظار موقف الأحزاب .

٤ – لا يجوز أن تهدأ الحركة أو أن يدعو أحد الى تهدئتها ما لم يتحقق هدف من أهدافها . . فالوعود الكاذبة ولجان التحقيق وايفاد الوفود لا تغني عن الحل العاجل .

٥ – الحل العاجل للحركة يعني وقف الهجرة اليهودية .

٦ – الحركة تقوم على التنظيم ، وأول بوادر التنظيم تأليف لجنة قومية

---

(١) الثورة العربية الكبرى في فلسطين – صبحي ياسين ص ٣٠ .

تعطي الصلاحيات المطلقة لتنظيم نابلس [1] .

وفي نهاية الاجتماع اتخذ قرار إعلان **الاضراب العام في نابلس فورا** ، ودعوة سائر المدن الى الاضراب حتى تستجاب الأهداف الوطنية ، وكذلك دعوة إلى تأليف لجان قومية مماثلة تتولى إدارة الحركة الوطنية في منطقتها . وانتخب المجتمعون أعضاء اللجنة القومية الأولى في فلسطين من :

عبد اللطيف صلاح ، أكرم زعيتر ، فريد العنبتاوي ، أحمد الشكعة، واصف كمال ، حكمت المصري [2] .

في اليوم التالي مباشرة تجاوبت يافا مع نابلس وشكلت لجنتها القومية . . وكذلك فعل الوطنيون في القدس . وفي غمرة هذا الحماس الوطني تشكلت في مختلف المدن والمناطق قيادات محلية باسم اللجان القومية . . دعت كلها الى الوقوف صفا واحدا ضد الاحتلال .وقد وصل عدد اللجان القومية الى أكثر من اثنتين وعشرين لجنة في أنحاء البلاد .

لقد كان بيان نابلس . . وتشكيل اللجان القومية في المدن الأخرى يعني إن الشعب لم يعد يثق بالأحزاب والسياسيين وبطريقتهم في معالجة الأمور ، وأنه مصمم على أن يقود الكفاح على طريقته .

---

(١) أوراق خاصة – أكرم زعيتر – الوثيقة رقم (٥) .

(٢) القيادات والمؤسسات (مرجع سابق) ص ٣٣٣ .

اللجنة العربية العليا

بعد اتساع نطاق الحركة الوطنية . . ونجاح الإضراب العام في أرجاء البلاد . . . وجد السياسيون أنفسهم خارج الحلبة . . وأدركوا أنهم إن لم يضحوا بأنانياتهم ومصالحهم الخاصة وينضموا إلى ركب الشعب . . فسيفوتهم القطار وتعريهم المواقف ، ولذلك لم يجدوا مفرا من ركوب الموجة وتبني موقف الجماهير .

في ٢٥ أبريل تم تشكيل قيادة سياسية موحدة في فلسطين مثلت فيها كافة الأحزاب باسم اللجنة العربية العليا (١) . ولأول مرة ظهر الحاج أمين في المواجهة المباشرة ضد البريطانيين عندما وافق على رئاسة **اللجنة العربية العليا** ، وقد اعتبر نزوله العلني للميدان كسبا كبيرا للحركة الوطنية .

في مساء ٢٥ ابريل قررت اللجنة العليا في أول بيان لها الاستمرار في الإضراب وحددت ثلاثة أهداف مقابل إيقافه :

١ – ايقاف ومنع الهجرة اليهودية منعا باتا .

٢ – منع انتقال الأراضي العربية لليهود .

٣–انشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي منتخب (٢) .

---

(١) كانت هذه اللجنة تتألف من المفتي والفرد روك والدكتور حسين الخالدي ، ويعقوب الغصين ، وجمال الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، وأحمد حلمي باشا ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج ، وعبد اللطيف صلاح ، ومحمد عزة دروزه ، وفؤاد سابا .

(٢) الحركة الوطنية الفلسطينية – أكرم زعيتر ص ٧٦ .

الإضراب الشامل

كان التجاوب الشعبي مع الإضراب الشامل رائعا ، إذ شمل جميع مظاهر العمل والنشاط التجاري والصناعي والنقلي والمدرسي والزراعي في جميع المدن والقرى .

وفي الاجتماع الذي نظمته اللجنة العربية العليا في القدس يوم ٧ مايو (أيار) ١٩٣٦م قررت اللجان القومية بالإجماع العصيان المدني أي الامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا من ١٥ أيار (مايو) حتى تغيرالحكومة سياستها .

وفي الاجتماع وجه المفتي نداء الى العرب والمسلمين ناشدهم فيه أن يدركوا فلسطين قبل أن تصبح اندلسا ثانية .

أما على الصعيد الحكومي الرسمي وموظفي الحكومة فإنه قد اندمج في الإضراب أكثرمن نصف البلدات وجميع دوائر الأوقاف والمحامون ، وكان للبوليس دور محمود حيث فر بعضهم بسلاحه [1] .

وظهر التكافل الاجتماعي في الإضراب بصورة رائعة ، وتعاون الجميع في سد حاجات بعضهم بعضا .

اشتعال الثورة

في منتصف مايو ١٩٣٦م اتخذت الثورة شكلا جديدا ، فظهرت المجموعات المسلحة في القرى والجبال وعلى الطرقات العامة تقوم بهجمات مسلحة عنيفة ومركزة ، تدمر طرق المواصلات وتهدم الجسور وتنسف المراكز وتقطع أسلاك البرق والهاتف . . وبعد أن كان معدل العمليات الجهادية اليومية عشرا ، صار المعدل بعد انتهاء الشهر الأول من الإضراب خمسين عملية يوميا .

وتحمّل أبناء الريف أكثر القوى الاجتماعية استجابة للثورة كل أنواع الإضطهاد

---

(١) فلسطين وجهاد الفلسطينيين — محمد عزة دروزة ص ٤٠ .

والتفتيش المستمر ونسف المنازل وظلوا حتى النهاية أوفياء لثورتهم [1] .

ولقد برز في هذه المرحلة قادة كبار مثل : فخري عبد الهادي ، وعبد الرحيم حاج محمد ، وعارف عبد الرزاق ، وعبد القادر الحسيني (وكان يرأس منظمة الجهاد المقدس التي قامت بالدور الأكبر) ، والشيخ فرحان السعدي ، والشيخ عطية محمد عوض ، ومحمد صالح الحمد ، (والأسماء الثلاثة الأخيرة من جماعة القسام) . [2]

وإذا كان المفتي هو القائد الفعلي لهذه الثورة . . إلا أن عبد القادر الحسيني هو الذي كان يدير العمليات من مركز له اتخذه في بير زيت .

وتجاوبت البلاد بشكل كبير مع الثورة المباركة . . وبدأ المجاهدون يسيطرون على الأوضاع فدمّروا مواصلات العدو ، وضربوا مراكزه الإقتصادية ، وبدأو يهاجمون معسكرات الإنجليز ومراكز الهاجاناه . .

في اغسطس (آب) ١٩٣٦م انضمت لثوار فلسطين كوكبة من مجاهدي الاردن وسوريا والعراق وتولى فوزي القاوقجي القيادة العامة للثورة بينما تسلم المجاهد سعيد العاص* قيادة منطقة الخليل – بيت لحم – القدس .

وقعت في هذه الأثناء معارك كبيرة أذهلت الأعداء ، منها معركة عصيرة الشمالية (١٩٣٦/٨/١٧م) ومعركة وادي عرعرة (٢٠ أغسطس ١٩٣٦م) ، ومعركة بلعا (٣ سبتمبر ١٩٣٦م) ومعركة نابلس (٢٤ سبتمبر ١٩٣٦م) ومعركة بيت أمرين (٢٩ سبتمبر ١٩٣٦) .

---

(١) التيار الإسلامي (المرجع السابق) ص ٣٣٦ .

(٢) التيار الإسلامي (المرجع السابق) ص٣٣٧ .

* أحد قادة الثورة السورية قدم الى فلسطين في يونيو ١٩٣٦ واستشهد على أرضها في معركة الخضر التي جرح فيها القائد عبدالقادر الحسيني .

بلغ مجموع العمليات التي نفذها المجاهدون خلال ثورة عام ١٩٣٦م حوالي ٤٠٠٠ عملية، وبلغ عدد الشهداء حوالي ٧٥٠ شهيدا[١] و١٥٠٠ جريح وأكثر من ٣٠٠٠ معتقل، أما قتلى وجرحى اليهود فقد زادوا عن ٣٦٨ و ٤٨ من البريطانيين.[٢]

استخدمت بريطانيا كل ماعرفت به من وحشية وهمجية في قمع الثورة[٣] .. وعندما أعياها الأمر لجأت الى الحكام العرب وأكثرهم يومذاك من أصدقائها، للضغط على الفلسطينيين لايقاف الإضراب ..

وبالفعل فقد أصدر حكام العرب نداء يوم ٨ أكتوبر ١٩٣٦م جاء فيه[٤]: "لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم الى الإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ..."[٥].

إنه بيان صغير صدر عن حكام العرب استطاع أن ينهي إضرابا دام ستة أشهر عجزت بريطانيا بكل أسلحتها وبطشها وطغيانها أن تنهيه.

واستجابت الهيئة العليا لهذا النداء وطلبت من الشعب الثائر إنهاء الإضراب إعتبارا من ١٢ أكتوبر ١٩٣٦، ووقعت (الهيئة) للاسف فيما حذرت منه بأنها لن توقف الإضراب حتى تتحقق أهدافها.

---

(١) يذكر أميل الفوري أن عدد الشهداء كان ٣٠١٥ شهيدا وأن ضعف هذا العدد أصيب بجراح. فلسطين عبر ستين عاما ٢ : ٩٣

(٢) التيار الإسلامي (المرجع السابق) ص ٣٣٨.

(٣) في هذه المرحلة عرفت فلسطين نسف المنازل وهدم الأحياء على يد السلطة البريطانية.

(٤) مصر وحدها لم تشترك في هذا النداء بينما لعب نوري السعيد دورا رئيسا.

(٥) الحركة الوطنية الفلسطينية – أكرم زعيتر – ص ٤٥٨.

الفصل الثامن والعشرون

لجنة بيل وقرار التقسيم

كان لتردد الزعامات الفلسطينية دور كبير في انهيار الأوضاع وتفاقم أزمة البلاد . كما أدى تنافس العواصم العربية ، وتبنيها سياسات متناقضة الى توهين قوة الشعب الفلسطيني الذي توقع أن يقف أشقاؤه الى جانبه في ساعات العسرة . ففي الإضراب الشعبي المتصل الذي استمر أكثرمن ستة أشهر ضغط الحكام العرب ورضخ الزعماء الفلسطينيون فأوقفوا الإضراب .

وعندما رفض زعماء اللجنة العربية العليا أن يقابلوا اللجنة الجديدة التي بعثت بها الحكومة البريطانيه لتقصي الحقائق والتحقيق في أسباب الحوادث . . لاعتقادهم أن مثل هذه اللجان مضيعة للوقت ، ضغط الحكام العرب ثانية [1] ورضخ قادة اللجنة العربية أيضا وقابلوا (لجنة بيل) في ٦ يناير ١٩٣٧ .

ومن المناسب هنا أن نثبت بعض أطراف المذكّرة التي تقدم بها مفتي فلسطين للجنة المذكورة ، فقد يكون فيها عبرة لمن يدرسون التاريخ . جاء في المذكرة :

" لقد كان العرب يؤلفون جزءا مهما من كيان الدولة العثمانية ، ومن الخطأ أن يقال إن العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك ، وان نهضتهم ومساعدة الحلفاء لهم في

---

(١) بعث هؤلاء برسالة الى رئيس اللجنة العليا بنص مشترك جاء فيها : وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب فقد رأينا أن المصلحة تقتضي بالاتصال باللجنة الملكية البريطانية . (القيادات والمؤسسات – المرجع السابق ص ٣٦٠) .

الحرب العامة إنما كانت ترمي الى تحريرهم من ذلك النير ، فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية ، وذلك بحكم الدستور الذي وضع أساس حكم واحد لجميع البلاد والعناصر التى كان يتألف منها كيان الدولة العثمانية . وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع المناصب المدنية والعسكرية فكان منهم وزراء ورؤساء وزارات وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون ، كما كان في مجلس النواب والأعيان العثماني عدد كبير من الأعضاء العرب وفقا للدستور . وعندما وضعت الحرب العامة أوزارها على أساس مبادىء ولسون ، ومنها مبدأ تقرير المصير لكل أمة حسب رغبتها أواختيارها . . ومع ذلك فقد سارت الحكومة البريطانية الستة عشر عاما الماضية بطولها على تلك السياسة التي أضرت الكيان العربي أعظم الضرر ، إذ هبطت نسبة العرب العددية من ٩٣٪ في بدء الاحتلال الى ٧٠٪ ، إذ مكّن لليهود من الاستيلاء على قسم وافر من أخصب الأراضي العربية ، وتم تشريد مزارعيها ، ومحو القرى العربية التي كانت آهلة فيها . وخيبت كل أمل للعرب بالاستقلال .

إن ما يؤلم العرب كثيرا أن يروا حكومة بريطانيا ممعنة في ظلمهم والإجحاف بحقوقهم وتعريض كيانهم القومي للاضمحلال ، وهي تخضع للمطامع اليهودية في جميع الشؤون ، وتمنح اليهود الامتيازات الخطيرة المتحكمة في شؤون البلاد . . .) (١) .

---

(١) فلسطين بين الإنتداب والصهيونية ص ١٨٢ .

وفي ٧ يوليو ١٩٣٧ نشرت الحكومة البريطانية توصيات لجنة بيل [١] التي نصت على ضرورة تقسيم فلسطين لمنطقتين عربية وتضم الى شرق الأردن وأخرى يهودية ، على أن تبقى الأماكن المقدسة (وتشمل القدس وبيت لحم والناصرة وما بينهما مع ممر الى يافا ويشمل اللد والرملة) تحت الانتداب البريطاني . وأشار التقرير الى موافقة فيصل الأول في اتفاقه مع وايزمان على مثل هذا التصور الذي يسمح بقيام كيان يهودي في فلسطين .

مشروع التقسيم

(ا) تقسيم فلسطين .

أ- دولة يهودية ، تمتد من الحدود اللبنانية الفلسطينية الى جنوبي يافا ومن العجب أن هذه الدولة التي اقترحتها اللجنة الملكية ، يفوق عدد العرب فيها عدد اليهود (٣٢٥ ألف عربي مقابل ٣٠٠ ألف يهودي) . وفي القسم الشمالي منها يبلغ عدد

---

(١) كان المعروف عن بيل هذا أنه رجل نزيه مرموق لم يعرف عنه أي انحياز للصهيونية - هذا ظاهر الأمر - أما الوثائق التي نشرت لأول مرة عام ١٩٦٦ فقد أظهرت أن بيل المحترم قد أمضى شهرين في لندن قبل قدومه الى فلسطين في مقابلات سرية مع قادة الصهيونية من أمثال وايزمن ولويد جورج . وقد أقنعه هؤلاء آنه ليس للعرب ظلامة حقيقية فعندما يصبح اليهود أكثرية في فلسطين ، يستطيع الأغنياء من العرب أن يبيعوا ممتلكاتهم ويرحلون ، وأبناء الطبقة الوسطى سيجدون العمل متوافرا ومن لا يستطيع البقاء في البلد المتحضّر فبإمكانه أن يرحل الى الدول المجاورة .

العرب ٣ أضعاف عدد اليهود . كما أن اليهود فيها ، يملكون $\frac{٥}{١٨}$ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة ، ثم ان $\frac{٧}{٨}$ مما يملكه العرب من بساتين البرتقال في فلسطين كلها ، يقع ضمن هذه الدولة المقترحة .

وهي تشمل مدنا عربية صرفة ، مثل حيفا وعكا وصفد وطبريا كما أن هذه الدولة المقترحة كانت تشمل جميع الوية حيفا ، والجليل (بما فيها صفد وعكا) ، وجميع السهل الساحلي من أسدود الى الشمال (بما فيه سهل شارون ومرج ابن عامر) .

وقد اشترط أن ترتبط هذه الدولة بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا .

ب - **منطقة تقع تحت الإنتداب البريطاني الدائم** ، وهي تشمل القدس ، وبيت لحم ، وممرا يصلها بالبحر قرب يافا مرورا باللد والرملة ، ثم الناصرة وشواطىء بحيرة طبريا .

ج - **منطقة عربية** ، تشمل ما تبقى من فلسطين ، بما فيها مدينة يافا ، (على أن أراضيها وبساتينها واقعة ضمن الدولة اليهودية) ، ومناطق غزة ، وبئر السبع ، والنقب ، والخليل ، ونابلس ، والقسم الشرقي من مناطق طولكرم ، وجنين ، وبيسان . على أن تضم جميعا الى شرق الأردن ، وترتبط بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا .(انظر الخريطة) .

(٣) تبادل السكان بين الدولتين :

أوصت اللجنة بنقل اليهود القاطنين في المنطقة العربية ، إلى الدولة اليهودية ، وبنقل العرب المقيمين في الدولة اليهودية الى المنطقة العربية ، وبشكل تدريجي ، على أن تهيأ لهم أراض في منطقة بئر السبع ، بعد تحقيق مشاريع الري فيها .

وليس في هذه التوصية شيء من المنطق ، أو المعقول ، إذ إنه يعني نقل (١٢٥٠ يهوديا من الدولة العربية الى اليهودية ، مقابل نقل ٣٢٥٠٠٠ عربي من الدولة اليهوديه

الى العربية !)

(٣) دفع مساعدات مالية :

أن تدفع الدولة اليهوديه ، مساعدة مالية للدولة العربية ، كما تمنحها بريطانيا مليوني جنيه لدى تنفيذ التقسيم .

(٤) عقد معاهدة جمركية بين الدولتين :

تعقد معاهدة جمركية بين الدولتين ، لتوحيد الضرائب بينهما على أكبر كمية ممكنة من البضائع المستوردة .

ردّ فعل الشعب الفلسطيني

وكأني بالشعب الفلسطيني يجد نفسه فجأة ، أمام الحقيقة المؤلمة وجها لوجه . . فلطالما خدعه زعماؤه يوم ضمّوه الى ما سمي بالثورة العربية الكبرى ، ولطالما حلموا معا بدولة عربية كبرى من أقصى بلاد العرب الى أقصاها ، ولطالما تغنوا بصداقة بريطانيا وشرف كلمتها التي أعطتها لقادة الثورة العربية وللحكام العرب . . وها هو الشعب يدرك اليوم أمام قرار التقسيم أن الكل خدعوه . . وأنه مضطر أن يعتمد على نفسه أكثر من أي وقت مضى . ورفضت اللجنة العربية العليا قرارات اللجنة البريطانية جملة وتفصيلا ، وهب الشعب الفلسطيني في كافة أنحاء فلسطين يشجب ويستنكر المؤامرة ، ولجأ الحاج أمين الحسيني الى الحرم المقدسي الشريف في ١٧ سبتمبر ١٩٣٧ بعد أن شعر بأصابع الإنجليز تمتد باتجاهه لتقبض عليه[١] فقد كانوا يحمّلونه المسؤولية عن كل ما حدث .

---

(١) كتبت جريدة التايمز في ١٩٣٧/٧/١٦ مقالا جاء فيه أن المفتي هو العقبة الكؤود الذي يحول دون التفاهم مع اليهود . فيجب على الحكومة البريطانية أن تصفيه وتعزله وتبطش به وبأنصاره . كما ذكر تقرير بيل ما يلي : لقد كانت اللجنة العربية العليا مسؤولة لدرجة كبيرة عن مواصلة الإضراب في السنة الماضية وتمديد أجله ، ويتحمل مفتي القدس القسط الوافي من المسؤولية .

شعر الإنجليز بخطورة الموقف فصعدوا من إجراءاتهم القمعية لتركيع الشعب والقيادات الشعبية فأصدروا بلاغا رسميا اعتبروا فيه اللجنة العربية العيا وجميع اللجان القومية الأخرى في أنحاء البلاد غير شرعية ، وأقصوا المفتي من رئاسة

المجلس الإسلامي الأعلى ومن لجنة الأوقاف العامةالتي يرأسها ، واعتقلوا اعدادا كبيرة من القيادات الوطنية كما اعتقلوا من وجدوه من أعضاء اللجنة العربية العليا مثل : أحمد حلمي عبد الباقي ، وفؤاد سابا ، ويعقوب الغصين وحسين فخري الخالدي ، ورشيد الحاج إبراهيم ، الذين نفتهم الى جزيرة سيشل [1] ، بينما استطاع المفتي أن يتسلل من مكمنه في الحرم المقدسي الى لبنان وكان ذلك في ١٤ أكتوبر ١٩٣٧م .

بين مؤتمر بلودان والمؤتمر الصهيوني

كانت ردود الفعل الشعبية العربية عنيفة ضد قرار التقسيم مما دعا زعماء العرب وقادتهم الى عقد مؤتمرلهم في بلودان في سوريا في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ حضره حوالي ٤٥٠ عضوا من الأقطار العربية فكان أشبه بمهرجان سياسي منه بمؤتمر مسؤول . وبالرغم من أن قرارات المؤتمر كانت حاسمة وجيدة ، ولكن متى كانت قرارات مؤتمرات القادة العرب ضعيفة؟!

أهم المقررات هي :

١- فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .

٢- رفض ومقاومة التقسيم .

٣- الإصرار على إلغاء صك الانتداب وتصريح بلفور .

---

(١) كامل خلة (المرجع السابق) ص ٦٩٧ .

٤- وقف الهجرة اليهودية .

٥- آصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي لليهود .

وفي نفس الوقت تقريبا (أغسطس) عقد اليهود مؤتمرهم الصهيوني العشرين في زيورخ وعلى الرغم من المناقشات الحادة بين يهود يرفضون التقسيم وآخرين يقبلونه الا أن المؤتمر انتهى الى إعطاء اللجنة التنفيذية الصهيونية حق التفاوض مع بريطانيا من أجل تعديل مشروع التقسيم .

المرحلة الثانية من ثورة - ١٩٣٧ م

توقعت بريطانيا أن قمعها الجنوني لمختلف طبقات الشعب والهيئات والشخصيات الوطنية سيجعل الشعب يقبل بالتقسيم ويسلّم بالأمر الواقع . . ولكن توقعاتها كانت خاطئة خاصة بعد ظهور تقرير بلّ وما فيه من غبن لقضيتهم ونكران لحقوقهم ونفي زعاماتهم الى جزيرة سيشل ، فقد انتفض القسّاميون رواد الكفاح الفلسطيني فاغتالوا أندروز (١) حاكم الجليل في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ مشعلين بذلك المرحلة الثانية من الثورة كما أشعلوا مرحلتها الأولى من قبل ومن المناسب أن نلقي بعض الضوء على القائد القسّامي الشيخ فرحان السعدي الذي تولى القيادة بعد الشيخ عز الدين القسّام ، والذي لعب دورا حاسما في أحداث الثورة في هذه المرحلة .

الشيخ فرحان السعدي

ولد السعدي في قرية مزار من أعمال منطقة جنين لواء نابلس . وتلقى علومه في

---

(١) كان من أكثر القيادات البريطانية تجبرا وطغيانا ، وأشدهم محاباة لليهود وتشجيعا لهم على تملك الأراضي وسلبها من العرب . وهو الذي انتزع وادي الحوارث وأجلى العرب عنه وسلمه لليهود .

كتّاب القرية ومدرسة جنين الإبتدائية ، الا أنه كان مولعا في شبابه بتلقي الدروس الدينية في المساجد ، وبالاجتماع مع علماء الدين ، فأضفت عليه نشأته الدينية والعلمية مهابة واحتراما في بيئته ، ولما احتل الإنجليز فلسطين كان يعرف بين الناس بالشيخ فرحان . . [1]

شارك الشيخ فرحان في المؤتمرات الوطنية وفي المظاهرات ضد السلطة بصورة متواصلة ، وفي ثورة ١٩٢٩ ألّف عصابة من المجاهدين في قضاء جنين فقبضت عليه السلطة وسجنته ثلاثة أعوام ، ولما خرج من السجن انتقل الى حيفا وهناك اتصل بالشيخ عز الدين القسام وانضم تحت لوائه .

وفي ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٣٦ هاجم الشيخ فرحان ورفيقه الشيخ عطية أبو أحمد القافلة اليهودية ، ثم انتقل بعد هذه الحادثة التي أشعلت ثورة ١٩٣٦ مع رفاقه الى الجبال ومنذ مقتل أندروز بثت السلطة عيونها تتعقب القساميين حتى تمكنت من القبض على الشيخ فرحان وثلاثة آخرين من رفاقه ، ولما كانت السلطة تعلم أن الشيخ هو العقل المفكر للقساميين فقد حاكمته محاكمة صورية في ثلاث ساعات موجّهة إليه تهمة مقتل أندروز .

رفض السعدي أن يتكلم في أثناء المحاكمة ، فكان هادئا وكلماته قليلة ، وعندما سألوه أأنت مذنب ؟ أجاب : معاذ الله أن أكون مذنبا .

تبرع للدفاع عن السعدي عدد كبير من المحامين ، إلا أن المحكمة العسكرية التي تألفت لهذا الغرض حكمت عليه بالإعدام ، ونفذت الحكم في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧ . . ولم تبال مقدار ذرة بكون الشيخ ابن الثمانين عاما وأنه صائم في شهر رمضان .

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٣٧٦ .

ولم تستفد بريطانيا من الحكم الذي أرادته رادعا لمن تخول له نفسه الخروج على ارادتها فقد كان دمه لعنة عليهم وتحول الشيخ فرحان رمزا للمجاهدين صعّدوا ثورتهم على أثر استشهاده .

المفتي يرفض التقسيم

رغم التضييق الشديد الذي أحاطت به السلطات الفرنسية المفتي في لبنان . . الا انه استطاع أن يوصل للصحف في بيروت بتاريخ ١٩٣٧/١٠/٢٩ بيانا يرفض فيه التقسيم ويعلن تمسكه المطلق بمطالب الشعب . ودعا الفلسطينيين إلى المقاومة .

كان الشعب في داخل فلسطين ينتظر إشارة المفتي للتحرك . . وفي أعقاب صدور بيانه تجاوبت الجماهير وخرجوا في مظاهرات كبيرة في مختلف المدن يؤكدون رفضهم قرار التقسيم

في هذه الأثناء عقدت منظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني اجتماعا في ١٩٣٧/١٠/٣١ قررت فيه استئناف الثورة فجر يوم ١٩٣٧/١١/٢ (ذكرى وعد بلفور) .

لجنة الجهاد المركزية

تشكلت لجنة الجهاد المركزية من المفتي الحاج أمين والشيخ حسن أبو السعود ومنيف الحسيني وإسحق درويش في لبنان ، ومن محمد عزة دروزة (الساعد الأيمن للمفتي) ومعين الماضي في دمشق . كانت مهمة اللجنة مساعدة وتوجيه الثورة المتصاعدة في فلسطين وإسعاف منكوبيها ، كما كانت تتولى التنسيق بين فصائل الثوار في المناطق المختلفة [١] .

---

(١) التيار الإسلامي (المرجع السابق) ص ٣٤٣ .

عبد القادر الحسيني يقود الثورة

في الموعد المحدد ٢/١١/١٩٣٧ بدأت الثورة بانقضاض قائدها العام ، عبد القادر الحسيني ، وفصائله على مراكز الجيش البريطاني وثكناته وتحشداته في لواء القدس ، وبهجوم مركز على طرق المواصلات الرئيسة التي تربط القدس بالساحل .

وفي الوقت نفسه انقض المجاهدون على القوات البريطانية في سائر القطاعات في أرجاء البلاد . وهكذا انقلبت فلسطين من أقصاها إلى أقصاها الى اتون حرب .

استمرت الثورة من خريف عام ١٩٣٧ حتى نهاية عام ١٩٣٨ ، كان عدد المجاهدين يقدر بعشرة آلاف مجاهد ، برز منهم بالإضافة إلى عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس ، قائد الشمال أبو إبراهيم الكبير (خليل العيسى) وقائد منطقة نابلس الشيخ عطية أحمد عوض ، والشيخ يوسف أبو درة والشيخ محمد الصالح الحمد ، وعبد الرحيم الحاج محمد (وقد لقب بالقائد العام) وعارف عبد الرزاق ، وبرز في منطقة اللد الشيخ حسن سلامة وفي منطقة الخليل عيسى البطاط وعبد الحليم الجيلاني . (١)

كان تجاوب الشعب مع طليعته المقاتلة في غاية الروعة . . وفي أجواء الجهاد تتخلص الشعوب من أدرانها وتسمو أرواحها من شحها وتقاعسها .

ولقد استطاعت لجنة الجهاد المركزية بما تجمعه من مساعدات خارجية أن تخفف بعض العبء عن المقاتلين . . وإن كان الشعب بالداخل هو الذي تحمل العبء الأكبر والنصيب الأوفر من أثقال المعركة .

بلغ مجموع عمليات الثوار (٥٠٦) عمليات عام ١٩٣٧م بينما قفز الرقم إلى

---

(١) كامل خلّة (مرجع سابق) ص ٧٠٣ .

(٥٧٠٨) عمليات في عام ١٩٣٨ و(٣٣١٥) عملية في عام ١٩٣٩م .

قدرت خسائر البريطانيين بالأرواح أكثر من ١٠ آلاف قتيل عدا الجرحى ، وأقل من هذا الرقم بقليل من اليهود ، كما قدر عدد الشهداء الفلسطينيين بـ ١٢ ألفا ، قَتَلَ البريطانيون القسم الأكبر منهم . [١]

كانت بريطانيا تريد إخماد الثورة بكافّة الوسائل وبأسرع وقت ممكن ، فاستخدمت جميع الاساليب الوحشيّة التي عرفتها طوال تاريخها الاستعماري اللئيم في فلسطين وخارجها . ويقدّر صبحي الياسين [٢] عدد القوات البريطانية التي شاركت في قمع الثورة بحوالي ٤٢ ألفا بالإضافة إلى ٢٠ ألف شرطي و ١٨ ألفا من حراس المستعمرات يقودهم كبار القادة البريطانيين مثل (ديل) و (ويفل) و (منتجمري) . عدّلت الإدارة قانون الطوارىء وباتت تهمة حيازة أي قطعة من السلاح تكفي للحكم بالإعدام أو السجن المؤبد ، وأصبحت كل بيارة او عمارة عرضة للنسف لمجرد صدور النار منها .

بلغ عدد الذين أعدموا شنقا خلال هذه الفترة (١٤٦) شخصا وعدد المحكومين تجاوز ألفي شخص والمعتقلين أكثر من خمسين ألفا وعدد المنازل التي نسفت نحو خمسة آلاف منزل [٣] .

وأقامت السلطات البريطانيّة سورا من الأسلاك الشائكة على طول حدود فلسطين مع سوريا ولبنان لتمنع الفدائيين من التسلل .

---

(١) التيار الإسلامي (المرجع السابق) ص ٣٤٧ .

(٢) حرب العصابات في فلسطين ص ٧٣ .

(٣) بيان نويهض – (مرجع سابق) ص ٣٨٢ .

كان ميزان القوى يميل من ناحية العدد والقوة العسكرية ومعداتها بنسبة ٢٠ – ١ لصالح البريطانيين (١) .

ليس ذلك فحسب . . بل لجأت بريطانيا إلى سلاحها التقليدي " فرق تسد " فأوحت الى أنصارها وعملائها ممن كانوا ينفسون على الحاج أمين مكانته الرفيعة التي احتلها بمواقفه الجهادية ودعمه للثورة . . فأنشأوا ما سمي (فصائل السلام) بزعامة فخري النشاشيبي والتي اقتصرت مهمتها على تعقب الثوار وجرّهم الى معارك جانبية . يقول المؤرخ عارف العارف : إن هؤلاء أسهموا في القضاء على الحركة الوطنية في البلاد وفي إخماد الثورة التي كانت ترمي الى إنقاذ فلسطين من براثن اليهود والإنجليز (٢) .

في هذه الثورة المباركة التي وقف فيها الشعب وحيدا أعزلا . . قدمت فلسطين عددا من القادة الشهداء كان على رأسهم القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد وعطية محمد عوض وومحمد الصالح الحمد وفرحان السعدي ويوسف أبو درة . . (٣) وغيرهم كثير .

لجنة وود هيد ومؤتمر المائدة المستديرة في لندن

في ٤ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٨ أعلنت وزارة المستعمرات البريطانية قرارها بإرسال لجنة فنية الى فلسطين لدراسة إمكانية تنفيذ مشروع التقسيم . ووصلت اللجنة

---

(١) يوسف الرضيعي (مرجع سابق) ص ١٠٨ .

(٢) يوسف الرضيعي (مرجع سابق) ص ١٠٠ .

(٣) التيار الإسلامي في فلسطين – ص ٣٥٢ .

في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٣٨ فقوبلت بالرفض الكامل . . ولم يقابلها فلسطيني واحد . . وأعلنت اللجنة العربية العليا لفلسطين مقاطعتها للجنة البريطانية الجديدة .

وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ صدر تقرير لجنة وود هيد ، وقد احتوي على ثلاثة مشاريع للتقسيم ، الا أن التقريرقد أشار الى الصعوبات الجمة سياسيا واقتصاديا وجغرافيا في تطبيق أي من مشاريع التقسيم المعروضة .

وبناء على ذلك فقد أصدرت الحكومة البريطانية بيانا جاء فيه " وقد قرّ رأي حكومة جلالته بعد إمعان النظر والتدقيق في تقرير لجنة التقسيم ، أن الصعاب السياسية والإدارية والمالية التي ينطوي عليها الاقتراح عظيمة يكون معها هذا الحل غير ممكن " (١) .

على اثرها دعت الحكومة البريطانية الى مؤتمر مائدة مستديرة يعقد في لندن ، يحضره ممثلون عن الحكومات العربية وعن سكان فلسطين من العرب واليهود ، يبحث في الحلول المناسبة . فإذا أخفقت هذه المباحثات ، فستقرر هي السياسة التي تنوي اتباعها .

كانت هذه هي إحدى ثمار الثورة المباركة . . فقد أيقنت بريطانيا أن تجاهل الثورة أمر غير ممكن . . وأن الزعامات التي صنعتها في المنطقة لم تعد هي المتكلم الوحيد باسم فلسطين . . وأن القضية لم تعد محلية تماما ، فقد استطاع المفتي أن ينقلها الى المستوى العربي والإسلامي .

وتنافس اصدقاء بريطانيا على الإدعاء بحق تمثيلهم للشعب الفلسطيني في المؤتمر فقد أعلن فخري النشاشيبي أن ٧٥٪ من مصالح فلسطين وأكثر من ٥٠٪ من سكانها ممثلون في حزب الدفاع الذي تشرد زعماؤه خوفا من مؤامرات المفتي . وأن هؤلاء مستعدون للتعاون مع الحكومة البريطانية لإيجاد السلام وأنهم يتوقون الى التفاهم مع

---

(١) القضية الفلسطينية أكرم زعيتر صـ ١٣٣

اليهــود والعيش معهم بسلام .(١)

ولـم تستـفد بريطانيـا من هذه الزوبعة . . فقـد اضطرها الضغط الشـعبــي [٢] الى تشكيل الوفد برئاسة المفتي الذي اعتذر وانتدب الأستاذ جمال الحسيني نائبا عنه .

أما وفود الدول العربية في مصـر والعراق والسعودية والأردن واليمن فكانت وفودا قوية ، وحضر المؤتمر عبد الرحمن عزام مستشارا للوفود في البداية ثم عضوا رسميا فيما بعد .

حددت اللجنة العـربية العليـا ميثاقـا قوميـا كحد أدنى للمطالـب التي لا يجوز التنازل عنها وهي :

١– الإعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في بلادهم .

٢– العدول عن تجربة إنشاء وطن قومي لليهود .

٣– انهاء الانتداب البريطاني واستبداله بمعاهدة صداقة .

٤– منع الهجرة اليهودية .

٥– منع انتقال الأراضي إلى اليهود منعا باتا . [٣]

بدأ المؤتمر في لنـدن يوم ٧ شبـاط (فـبـراير) ١٩٣٩ . وناقـشت الوفـود القـضـيـة الفلسطينية من مـختلف جوانبـها ، وتشكلت لجنة فرعـية للنظر في مراسـلات الشريف حسين – مكمـاهون التي نصت على تكوين دولة عربية مسـتقلة تتضمن فلسـطين كما يرى القـادة العـرب . . بينمـا الجانب البـريطاني يرى أن فلسـطين غيـر

---

(١) حول الحركة العربية الحديثة – عزة دروزة ٣ : ٢٣١

(٢) كانت بريطانيا ترفض التعاون مع اللجنة العربية العليا . . فهي بالنسبة لها لجنة إرهابية ولا تمثل شعب فلسطين !! .

(٣) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٣٩٠ .

واردة ضمن الاتفاق . .

كان التناقض واضحا في المؤتمر بين **الوفد العربي** الذي يصر على الاستقلال التام وإنهاء محاولة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وإلغاء الانتداب ووقف الهجرة وبيع الأراضي لليهود . . وبين الوفد البريطاني برئاسة مالكوم ماكدونالد الملتزم بوعد بلفور . . وبصك الانتداب . . فأعلن رئيس المؤتمر أن الحقوق اليهودية لن تصان في ظل حكومة عربيـــة .



عبد القادر الحسيني

الفصل التاسع والعشرون

نـــذر الحـــرب الكونيـــــة

والكتاب الابيض١٧ أيار ١٩٣٩م

بدأت أجواء أوروبا تتلبد بالحرب ، وتنذر باندلاع حرب كـونية جديدة ، فقد غزت ألمانيـا تشيكوسلوفاكيـا وغزت إيطاليـا ألبانيـا فـي ١٧ آذار (مارس) ١٩٣٩ . الأمر الـذي اوجب على بريطانيا فض المؤتمر بسرعة وتـقدمت من جـانبهـا بمقترحات للوفدين العربي واليهودي ، تشكل الهيكل الرئيس لكتاب أبيض جديد أعلنته الحكومة البريطانية فيما بعد . وهكذا انتهى رسميا مـؤتمر المائدة المستديرة في ١٧آذار (مارس) ١٩٣٩م دون نتيجة تذكر .

في لندن ، أجمعت الصحف على أن الحالة الدولية تقـتضي من بريطانيا سرعة إنجاز المشكلة الفلسطينية كي تتـفرغ لمجابهة الأحداث ، بحيث يصبح جيشها على استعداد للتنقل والحركة بعد أن ينتهي من أعماله في فلسطين ، كما ألحت الى أن الحرب تقتضي مراضاة العرب ، خـاصة وأن مصر هي إحدى المراكز الحـربية الهامة في سيـاق السياسة العسكرية البريطانية ، لهذه الأسباب فقـد أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض في ١٧ مايو (أيار) ١٩٣٩م جـاء فيه : **بأن حكومـة جلالته وجدت نفسها حرة في وضع سياستها الخاصة بعد فشل مؤتمر لندن .**

تضمن الكتاب الأبيض ثلاثة موضوعات رئيسة ، حول الدستوروالهجرة والأراضي .

" **ففي باب الدستور** جاء بأن الهـدف الذي ترمي إليه الحكومـة في النهاية هو تأليف حكومة فلسطينيـة مستقلة ، ترتبط مع بريـطانيا بمعاهدة صداقة ، ويـساهم العرب

واليهود في حكومتها بشكل يضمن المصالح الأساسية للفريقين .

وفي باب الهجرة وانتقال الأراضي اعترف الكتاب بأن استمرارها مجحف بحقوق العرب ومهدد لكيانهم ولذلك فلن يسمح بالهجرة الا لفترة خمسة سنوات ، ولعدد لا يتجاوز خمسة وسبعين ألفا . وبالنسبة للأراضي فقد حدد الكتاب التدابير التي تحدد انتقال الأراضي العربية لليهود بحيث تضمن عدم إلحاق الضرر بالاقتصاد العربي . . . " (١) .

ورفضت اللجنة العربية الكتاب الأبيض ، وكذلك رفضته جميع الدول العربية باستثناء شرق الأردن . كانت وجهة نظر المفتي ان ما يحققه الكتاب الأبيض من الأماني ضئيل جدا ، وأن بريطانيا لن تنفذ هذا القدر الضئيل . . وأن أمر التعايش مع الحركة الصهيونية أمر مستحيل . أما اليهود فقد رفضوا الكتاب الأبيض أيضا ودعوا إلى مؤتمر صهيوني عقد في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٣٩ في نيويورك ترأسه الحاخام شلومو غولدمن الذي صرّح " إن فلسطين لم تكن يوما عربية وإن الكتاب الابيض لا يمكن تفسيره إلا على قاعدة اللاسامية الدولية ضد اليهود . وقد ابرق وايزمان للمؤتمر قائلا :" إن الشعب اليهودي قرّر الوصول إلى تطبيق الفكرة بتمامها . والحركة الصهيونية ويهود العالم يجب عليهم الآن أن يشتركوا اشتراكا كاملا في المسؤولية والتضحية من أجل استمرار الهجرة الى فلسطين واستمرار الاستعمار اليهودي فيها ومقاومة الكتاب الأبيض" (٢) .

بعد وضوح الموقف اليهودي ، وامتناع بريطانيا عمليا عن تنفيذ أي بند لمصلحة العرب من بنود الكتاب الأبيض ، عندها أدرك الموافقون كم كانوا مغفلين . وأدركوا

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٣٩٥ .

(٢) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٣٩٩ .

كذلك أن بعض الملاينة التي أظهرتها بريطانيا في كتابها هذا ما هي إلا من باب مسايرة الأوضاع نتيجة لنذر الحرب الشاملة التي تلوح في الأفق .

فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية

كان موقف اليهود سريعا وحاسما في إعلانهم تأييد بريطانيا ودول (الديموقراطيات) ضد ألمانيا . . فألمانيا بالنسبة لهم تعني النازية العدو اللدود لليهود . ففي ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٣٩ أرسل (وايزمان) إلى رئيس وزراء بريطانيا تشمبرلين يؤكد له أن اليهود سيقفون ويحاربون الى جانبهم .

وأعلنت الوكالة اليهودية في فلسطين أنها ستقدم جميع المساعدات بإخلاص الى بريطانيا . . بالرغم من موقفها الأخير في كتابها الأبيض الذي يعد ضربة قاصمة للمشروع الصهيوني في فلسطين .

أراد اليهود أن يستثمروا موقفهم هذا ويفرضوا آراءهم ، فقد كان الجميع بحاجة لهم ولأموالهم فطالبوا بإنشاء قوة عسكرية يهودية مستقلة تحت إمرة الجيش البريطاني ، فهي فرصتهم لإنشاء جيش المستقبل .

رفضت بريطانيا ظاهريا هذا الطلب . . أما في الواقع فقد كان الفيلق اليهودي في طور الإنشاء والتكوين والتسليح . . ولم يكتفوا بذلك بل انتزعوا موافقة واضحة من تشرشل (الرجل القوي ورئيس وزراء المستقبل) بإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين تستوعب ما بين ثلاثة الى أربعة ملايين يهودي .

كانت الحرب العالمية الثانية فرصة اليهود لتثبيت جميع طلباتهم وتحقيق كل أحلامهم وتنفيذ جميع خططهم . . ففي الحرب يستطيعون أن يفرضوا آراءهم على بريطانيا المشغولة بالحرب وعلى الحلفاء المحتاجين لهم . . بعد أن كانوا يستجدون منهم العون

والمساعدة .

وفرق بين موقف العرب المهزوز المائع . . وبين مواقف اليهود الذين يعرفون بالضبط ماذا يريدون . . فاغتنموا الحرب لتحقيق أهدافهم :

(١) فشكلوا جيشهم (الهاغاناه) في فلسطين ،

(٢) وأقاموا مصانع سلاح خاصة بهم ،

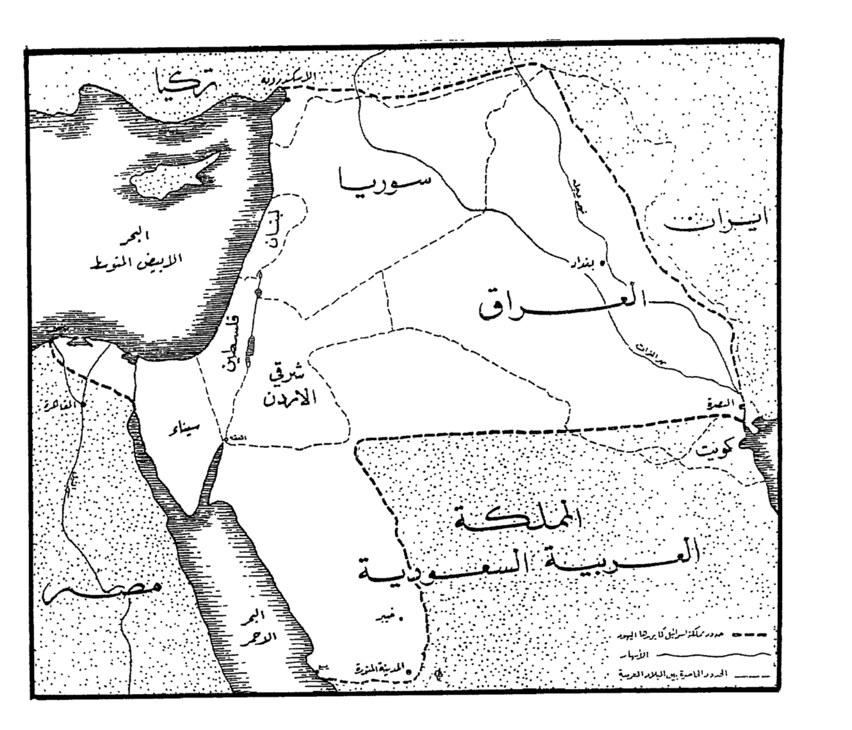
(٣) وطالبوا بإنشاء فيلق يهودي من أنحاد العالم تحت إمرة الأمم المتحدة . . وكان لهم ذلك . . فقد رفرف لأول مرة علم الفرقة اليهودية (هو علم إسرائيل اليوم في ٣١ تشرين الأول اكتوبر ١٩٤٤م) . . وكان ذلك من أهم مكتسباتهم .

(٤) أدركوا تغير الموازين العالمية . . فنقلوا مركز ثقلهم الى أمريكا وعقدوا مؤتمرهم الصهيوني في نيويورك بتاريخ ٩-١١ مايو (ايار) ١٩٤٢ وهو المؤتمر الذي صار يعرف باسم (مؤتمر بلتيمور) .

أهم قرارات هذا المؤتمر الذي لعب فيه بن غوريون دورا حاسما :

* تهجير اليهود بأعداد كبيرة إلى فلسطين لتحقيق وجود الأكثرية .
* رفض الكتاب الأبيض والدعوة إلى تحقيق مقاصد وعد بلفور وصك الانتداب بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين .
* إنشاء جيش يهودي خاص ، تعترف به الدول .
* الإسراع في إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين ، وهذه أول مرة يعلن فيها اليهود مثل هذا الإعلان ، وحددوا حدود دولتهم كما يلي :

" تمتد حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها من ميناء صيدا شمالا الى العريش جنوبا على ساحل البحر الأبيض ، الى ميناء العقبة وخليجها على البحر الأحمر . وليس نهر الأردن حدا للدولة اليهودية بل هو عمودها الفقري ، فهي تمتد الى ما وراءه بحيث تضم المقاطعة



تركيا
الاسكندرونة
سوريا
ايران
لبنان
البحر
الابيض المتوسط
بغداد
العراق
فلسطين
نهر الفرات
شرقي
الاردن
البصرة
القاهرة
سيناء
العقبة
كويت
المملكة
العربية السعودية
مصر
البحر
الاحمر
خيبر
المدينة المنورة
حدود مملكة اسرائيل كما يريدها اليهود
الأنهار
الحدود الحاضرة بين البلاد العربية

المعروفة بشرق الأردن ، وحتى الجبال المشرفة على باديتي الشام والحجاز .

إن المناطق المتاخمة لهذه الحدود ، يجب أن تدخل في أي حال من الأحوال في دائرة نفوذ الدولة اليهودية بعد إنشائها وتثبيت دعائمها بحيث يبسط ذلك النفوذ اقتصاديا وسياسيا على بيداء الشام حتى نهر الفرات شمالا وشرقا ، وحتى أطراف سيناء وجبل السويس جنوبا . فهذه المناطق هي المجال الحيوي الذي لا بد منه للدولة اليهودية المقبلة " . (١)

وإذا كان وعد بلفور قاعدة لانطلاق اليهودية في تحقيق أحلامها مع بريطانيا ، فإن فرصة اليوم مناسبة للانطلاق من مقررات بلتيمور لتحقيق الأحلام مع أمريكا هذه المرة . وبالفعل فقد انتزعوا تصريحا رسميا (بهذه المطالب) من فرانلكين روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية بتاريخ ١٦ آذار (مارس) ١٩٤٤م .

الإرهاب اليهودي في فلسطين

وبينما كان اليهود يحرصون على مشاعر بريطانيا في بداية الحرب ، الا أن الوضع تغير بعد المكتسبات التي حصلوا عليها بعد ذلك . . فراحوا يطبقون سياسات الهجرة وانتزاع الأراضي واغتيال كل من يقف في طريقهم بالقوة .

وأصدرت الحركة الصهيونية منشورا باسم الجمعية العسكرية اليهودية تعلن فيه فتح أبواب فلسطين لليهود ، كما تعلن أن غاية اليهود هي إنشاء مملكة يهودية كبرى في

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص٤١٨ ، وثائق محفوظة في مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير وثيقة رقم (٤٢) القدس ، اكتوبر ١٩٣٨ .

وطنهم التاريخي وإجبار بريطانيا على التخلي والرحيل عن فلسطين ، فهم يعتبرونها عدوهم الأول . (١)

وقرنت القول بالفعل :

* فقد نسفوا وفي وقت واحد دوائر الهجرة في كل من القدس وتل أبيب وحيفا في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٤ .
* ونسفوا دوائر الأراضي وهاجموا دوائر البوليس ، واغتالوا عددا من الضباط البريطانيين .
* وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ قتلوا اللورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة .

ولم يوقف اليهود مقاومتهم للاحتلال البريطاني في فلسطين الا بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ .

موقف العرب أثناء الحرب

وبقدر ما كان موقف اليهود أثناء الحرب ايجابيا ، مدركا لأبعاد الصراع الدولي ، مستفيدا حتى الثمالة من المعطيات الجديدة . . كان موقف العرب سلبيا متخاذلا خاطئا ،

فالعرب بعد تجربتهم المريرة مع الحلفاء . . كانت مشاعرهم مع دول المحور على قاعدة عدو عدوي صديقي . . ولم تتعد هذه المشاعر صدور القوم . . وأين ذلك . . من عمل اليهود بإقامة جيشهم ومصانع سلاحهم في فلسطين . .؟

هذا بالنسبة لمشاعر العرب . . أما حكامهم فقد كانوا جميعا من نتاج السياسات

---

(١) حول الحركة العربية الحديثة – عزة دروزة (٤ : ١٢)

السابقة التي هي من تصميم وتنفيذ بريطانيا . ولهذا السبب فقد تمكنت بريطانيا بمساعدة أصدقائها من تأمين العديد من الفرق العسكرية من المتطوعين العرب ، كما جُند الكثيرون منهم في الطيران الملكي والبحرية الأمريكية وفرق الإشارة والخدمات ، وفي الميدان الزراعي ضاعف العرب من انتاجهم لكفاية جيوش الحلفاء .

في هذه الأثناء . . شغل الإنكليز أصدقاءهم حكام العرب بالمشاريع الوحدوية ، وهي مشاريع فارغة تشغل الساسة والشعوب في مواقف عاطفية حتى إذا قاربت على النجاح أجهضوها . . . فمن مشروع نيوكمب الى مشروع الملك عبد الله بن الحسين ، الى مشروع الكتاب الأزرق الذي تقدم به نوري السعيد من أجل منطقة الهلال الخصيب مرتكزا على سياسة الكتاب الأبيض البريطاني بالنسبة لفلسطين . . ومن بين هذه المشاريع التي استهلكت مواقف الحكام وعواطف الجماهير مشروع الجامعة العربية . وإذا كان السلطان عبد الحميد (رحمه الله) قد رفع شعار الوحدة الإسلامية . . والذي مازال يداعب خيالات الكثيرين . . فلم لا يدفن الشعار ويهال عليه التراب وليكن مشروع الجامعة العربية هو البديل .

فقد صرح وزير الخارجية البريطاني (أنطوني أيدن) في في ٢٩ آذار(مارس) ١٩٤١ :

" إن الحكومة البريطانية تعطف على استقلال سورية مع تأييد مبدأ الوحدة العربية " (١) .

وفي ٢٤ شباط ١٩٤٣ أدلى أيدن ببيان آخر قال فيه : " إن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة تقوم بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية بينهم"

وأخذت مصر زمام المبادرة فأعلن رئيس وزرائها مصطفى النحاس في

---

(١) رحبت الصحافة البريطانية والأمريكية وعدد من الصحف اليهودية بخطة المستر أيدن . فقالت صحيفة هاآرتز في عددها الصادر في ١٩٤١/٤/٣ أن حركة الوحدة العربية لا تتعارض مع الحركة الصهيونية .

١٩٤٣/١٢/٣١ أنه على مصر أن تبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية . . وكان شكيب أرسلان السياسي الفذ قد رحب بفكرة الجامعة العربية ولكنه حذر من أن البريطانيين يرغبون في قيام الجامعة لتخدير الأمة لغرض إجراء عملية بتر أحد أعضائها وهو فلسطين .

واستمرت مصر في أداء دورها فدعا النحاس الحكومات العربية للتشاور . . ابتدأت هذه المشاورات في ١٩٤٣/٧/٣١ في الإسكندرية وانتهت في القاهرة في شباط ١٩٤٤ وتم الاتفاق على تأليف جامعة الدول العربية . واتفقوا على أن تضم الجامعة الدول المستقلة فقط . . (!) .

مشروع روزفلت الأمريكي

بعد تزايد المصالح الأمريكية في المنطقة والعلاقات التي توطدت بين الولايات المتحدة وبين الملك عبد العزيز آل سعود حاكم الجزيرة العربية ، عرض الرئيس روزفلت على الملك مشروعا يتولى بموجبه الملك عبد العزيز زعامة البلدان العربية مقابل ترحيل عرب فلسطين من بلادهم وإعلان فلسطين كلها وطنا قوميا لليهود ، وتقديم مبلغ عشرين مليون جنيه استرليني توضع تحت تصرف الملك عبد العزيز لإعادة توطين العرب المهاجرين . ولم تكن بريطانيا بعيدة عن هذا المشروع . . بل ويقال إن البريطاني سان جون فيلبي هو الذي وضعه بعد التشاور مع تشرشل .

رفض الملك عبد العزيز المشروع . . فهو لا يستطيع أن يفعل شيئا دون مشورة بقية الممثلين العرب . وفي لقاء ثنائي بين الملك عبد العزيز وروزفلت فيما بعد أوضح الرئيس أن القضية إنسانية تتعلق بإنقاذ اليهود الذين قاسوا أهوالا لا توصف على أيدي

النازية . . ورد الملك عبد العزيز : " أعطوهم أملاك الألمان الذين اضطهدوهم " .

المفتي
والاتصال بدول المحور

نعود مرة أخرى الى المفتي فقد كان اللاعب شبه الوحيد على الساحة العربية . . وكان لا ينقصه الذكاء في تقدير الأمور . . ولكنه مثل معظم الحكام العرب كان يتصور أن الأمور لا يمكن أن تتم الا من خلاله . . فأهمل بذلك الحركة داخل فلسطين ربما بانتظار عودته ليقودها بنفسه . . فلما لم يستطع العودة أهمل العمل في الداخل مقابل بعض المكتسبات الخارجية التي لا قيمة لها مالم يكن لها ما يسندها على أرض الواقع داخل البلاد .

الصهيونية كانت تبذل محاولات مستميتة لكسب الرأي العام العالمي والرأي الرسمي في الدول الخارجية وعلى رأسها أمريكا . . ولكنها قرنت ذلك بتثبيت وضعها داخل فلسطين : فقد استقدمت المهاجرين بكل الوسائل ، وسيطرت على الأراضي ، وأقامت منظمات الهاغناه والأرغون وشتيرن ، وأقامت مصانع للسلاح ، وباختصار فقد أقامت دولة يهودية بكل معنى الكلمة . . ولم تبق الا اللمسات الأخيرة لإعلان الدولة .

أما العرب فقد كان زعماؤهم في خدمة بريطانيا . . كما لم تنفعهم صداقاتهم مع أمريكا . . أما المفتي الحسيني الذي أصبح قائد الحركة الوطنيّة في فلسطين فقد حاول التفاهم مع الإنكليز ، وأعلن استعداده لتأييدهم مقابل السماح له بالعودة الى القدس فلم يفلح .

وعندما أقنعت بريطانيا فرنسا بتسليمه لها . . كان غادر لبنان سرا الى العراق الذي

كان يتمتع بحكومة وطنية يقودها رشيد عالي الكيلاني .

* امتعض الإنكليز واليهود معا لوصول المفتي والقادة الفلسطينيين الى بغداد . . وطالبوا الحكومة العراقية بإخراجهم . . وعندما رفضت الحكومة ، طالبوها بفرض رقابة شديدة عليهم ومنعهم من أي تحرك سياسي .

* ولقد حاول (أدمونز) وهو بريطاني يعمل مستشارا في وزارة الداخلية العراقية خطف المفتي وخصص للقيام بهذه المهمة قوة من الجند البريطاني . . ولكن الخطة اكتشفت وخصصت الحكومة على أثرها كتيبة عسكرية من الجنود العراقيين لحمايته .

* ولم يستسلم الإنكليز . . فقد نقل الإنكليز في مطلع أيار ١٩٤١ مجموعة من عصابة (أرغون) اليهودية بقيادة (حاييم رازيل) نزلوا بطائرة خاصة في مطار الحبانية ، وكانت مهمة هذه العصابة خطف المفتي أو قتله . فاكتشفتهم القيادة العراقية . . وأرسلت قوة عراقية التحمت معهم فقتل زعيمهم (رازيل) واثنين من رجاله ، أما الباقون فأفلتوا والتجأوا الى الحبانية (١) .

* أرادت بريطانيا اخضاع العراق لسلطانها ، فشنت على الجيش العراقي حربا غير متكافئة . . انتهت بتوقيع هدنة بين الطرفين في ١٩٤١/٥/٣٠ ، وتشكلت على أثرها حكومة عراقية جديدة ألغت جميع التدابير التي اتخذتها الحكومة السابقة برئاسة رشيد عالى الكيلاني . .

ألقت السلطات العراقية (الجديدة) القبض على عبد القادر الحسيني وقدمته

---

(١) ذكرت هذه المؤامرة بالتفصيل في كتاب وبشختمان بعنوان هتلر والمفتي . كما ذكرت في الصفحة ٢٠ من كتاب " أهي ميونخ ثانية " الذي أصدره ريتشارد كروسمان وميشال فوت .

للمحاكمة أمام محكمة عسكرية وكانت تهمته " أنه ومن معه من الفلسطينين أوقفوا تقدم الجيش البريطاني عشرة أيام . ." وحكم على عبد القادر بالسجن ثلاثة أعوام !! [1] .

أما الحاج أمين ، فقد تجددت محاولات الإنكليز للقبض عليه فغادر سرا إلى إيران في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٤١ .

* في إيران حاولت بريطانيا بالنسبة للمفتي نفس المسلسل . . تسليمه أوإبعاده . . ولما أعياها الأمر حاولت عن طريق عملائها خطفه أو قتله . . وعندما احتلت روسيا وبريطانيا إيران في ١٩٤١/٨/٢٩ غادر المفتي بيت الدكتور (محمد مصدق) ولجأ سرا إلى السفارة اليابانية ، واختفى فيها . رصد (ويفل) قائد القوات البريطانية جائزة كبيرة لمن يدل على مكانه . . ولكنه استطاع التخلص والوصول الى ايطاليا . . في أواخر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١.

* وصل المفتي الى روما ، وفي ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤١ تقابل مع موسوليني واستصدر منه تصريحا يؤيد استقلال فلسطين وسوريا والعراق . ثم انتقل الى برلين في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١ وقابل الفوهرر هتلر وحصل منه على تأييد ألمانيا للأماني العربيةفي الاستقلال والوحدة .

بدأت أحلام المفتي تتبخر ، فقد بدأت الكفة تميل لصالح الحلفاء . . وقد اضطرت الحكومة الألمانية بعد الغارات المتلاحقة على برلين إلى نقله إلى عدة جهات قبل توجهه إلى فرنسا في ٧ أيار (مايو) ١٩٤٥ حيث طلب حق اللجوء السياسي . ومن هناك غادر سرا الى مصر بمعونة عدنان الأتاسي وزير سوريا المفوض في باريس .

اتصالات المفتي بالفاشيين ثم هتلر والنازيين أعطت الفرصة لليهود لتوجيه اتهامات

---

(١) فلسطين عبر ستين عاما – الجزء الثالث (أميل الغوري) ص ٥٧ .

عنيفة ضده حتى أنهم اعتبروه مسؤولا عن المذابح اليهودية وطالبوا بمحاكمته باعتباره مجرم حرب . . فهل رأيت أجرم من هؤلاء ، يقتلون ويحتلون الديار ويهجّرون السكان ثم يتهمون الضحية بالإجرام!

غادر المفتي فرنسا [١] الى مصر بتاريخ ١٩٤٦/٥/٢٩ وحاول بكل الوسائل الوصول إلى فلسطين للمشاركة في معركتها المقبلة التي كان يتوقعها . . ولكن السلطات البريطانية حالت دون ذلك . . بل وفرضت على الحكومة المصرية منعه من القيام بأي نشاط سياسي . وفي خريف عام ١٩٤٧ حاول مغادرة مصر إلى فلسطين ولكن دون جدوى .

في ١٤ مايو ١٩٤٨ حاول السفر كذلك ولكن عددا من رؤساء وزارات الدول العربية ووزراء خارجيتها ورجال الجامعة العربية أبلغوه أن الوقت غير مناسب للسفر . . ولقد بعث الأمير عبد الله وزير دفاعه الى القاهرة يطالب السلطات المصرية بعدم السماح له بالسفر الى فلسطين . . وأن سفره في هذا الوقت سيفسد خطة الدول العربية في تحرير فلسطين . لم يكن المفتي مقتنعا بذلك فسافر سرا إلى غزة في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨ .

في غزة انعقد المجلس الوطني الفلسطيني ، وتألفت حكومة عموم فلسطين ، وبدأ المفتي وأخوانه في تنظيم مجاهدي فلسطين وتجنيد جميع القادرين منهم في كافة المدن والقرى التي لم يحتلها اليهود من رفح الى جنين [٢] .

---

(١) كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلته عندماقدم إليها قادما من سويسرا التي رفضت لجوءه اليها . . ثم أطلقت سراحه بناء على وساطة الملك محمد الخامس وتدخل الملكين عبد العزيز آل سعود وفاروق .

(٢) حقائق عن القضية الفلسطينية (المرجع السابق) ص ٨٤ .

وفي الخامس من أكتوبر ١٩٤٨م وصل إلى غزة اللواء حسين سري عامر مدير سلاح الحدود وأبلغ المفتي رسالة من النقراشي رئيس وزراء مصر بضرورة عودته إلى مصر لضروره ماسة . . وعندما رفض المفتي أفهموه بضرورة مغادرة غزة باعتبارها منطقة حربية . .

الفصل الثلاثون

فلسطين في تيه الجامعة العربية

بعض السياسيين يعتقدون بأن وقوف بريطانيا وراء انشاء الجامعة العربية ، كان يهدف إلى ابعاد شبح الوحدة الاسلامية ، ثم ادخال قضية فلسطين في اطار هذه الجامعة . . فاذا علمنا بان معظم الدول العربية السبعة التي تشكلت منها الجامعة العربية كانت تفتقر إلى الاستقلال الحقيقي ، وكانت القوى الخارجية تحركها في الاتجاه الذي تريد . . إذا علمنا ذلك نعرف أية متاهة دخلت فيها القضية الفلسطينية .

في المفاوضات التمهيدية التي عقدتها الحكومات العربية في الاسكندرية يوم ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤م من أجل انشاء الجامعة العربية ، لم توجه الدعوة إلى فلسطين باعتبارها دولة غير مستقلة ، واكتفى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر أن أبدى رغبته في أن ترسل الاحزاب الفلسطينية وفدا عنها . . وعندما سافر موسى العلمي إلى القاهرة ممثلا للاحزاب الفلسطينية لم يستطع حضور المؤتمر الا بعد أن حمل رسالة من رئيس دوائر الاستخبارات البريطانية الجنرال كلايتون الذي كانت تربطه به صداقة شخصية.[(١)] وقد جاء في الرسالة بأن بريطانيا لا تمانع من حضوره اجتماعات اللجنة التحضيرية

---

(١) موسى العلمي من الشخصيات الوطنية المرموقة ، ومن المقربين من المفتي الحاج أمين الحسيني . وكان من جملة القيادات الفلسطينية التي اضطرت للخروج واللجوء إلى بغداد . في بغداد بعثت وزارة المستعمرات الكولونيل نيوكامب لاقناع القيادات الفلسطينية بقبول الكتاب الابيض البريطاني . وكان موسى العلمي من الشخصيات التى وقعت في المطب ووقعت اتفاقا سريا بهذا الخصوص مع نيوكامب . بعد عودته إلى فلسطين . . بدأ يحارب بطريقة خفية الحركة الوطنية وقدامى المحاربين كما كان يسميهم . . وعمل هو وأحمد الشقيري وبعض العناصر الاخرى طابورا خفيا متفاهما مع الانكليز . . وكانوا يلقون في ذلك الدعم المالي من رئيس وزراء العراق نوري السعيد . مثّل العلمي فلسطين في اجتماعات اللجنة التحضيرية للجامعة وطالب حكومات الجامعة الاعتراف بالكتاب الابيض . .

للجامعة العربية !!

استطاع العلمي أن يشرح قضية فلسطين للجنة التحضيرية للمؤتمر ببساطة وواقعية . مما اذهل الحاضرين . . حتى إن رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر علق على الموضوع فقال : ما كنا نظن أن الحالة خطرة إلى هذا الحد [1] .

فلسطين على مرمى حجر من بلادهم . . ومع ذلك يجهلون أن تكون الحالة خطرة إلى هذا الحد !!

وتحمس المجتمعون وأصدروا قرارا جريئا ، فقد اعتبرت اللجنة التحضيرية " أن فلسطين ركن من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير الإضرار بالسلم والاستقرار بالعالم العربي . كما طالبت اللجنة بتنفيذ التعهدات البريطانية بشأن وقف الهجرة والمحافظة على الأراضي العربية والوصول إلى استقلال فلسطين ، كما دعت إلى عدم الخلط بين مسألة اليهود المضطهدين في أوروبا وبين الصهيونية ، إذ ليس أشد ظلما وعدوانا من أن تحل مسألة يهود أوروبا بظلم أكبر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم " .

وتحركت بريطانيا ، واعتبرت ما قيل تحديا لسلطاتها وتدخلا من الجامعة في شؤون فلسطين الداخلية . . وعندما صدر ميثاق الجامعة في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٥م كان خاليا من أي ذكر للقضية .

اتخذت الجامعة فيما بعد بعض القرارات بشأن فلسطين :

* **في موضوع الهجرة** أرسلت الجامعة العربية مذكرة إلى حكومتي أمريكا وبريطانيا تذكرهم بما جاء في الكتاب الأبيض وبتعهدات روزفلت باستشارة الدول

---

(١) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص ٥٣٨ .

العربيـة قبل اتخـاذ أي قرار بشأن فـلسطين وتذكرهم بالصـداقة التي تربطهم بالشـعوب العربية (!) .

* وبالنسبـة لانقـاذ الأراضـي الفلسطينيــة . . فقد اقترحت الجامعة تأسيس صندوق عـربي من أجل صـون الأراضي الفلسطينيـة . . فتوقـف للعـرب كـما يوقف اليهـود الأراضي لليهود .. وعلى الرغم من جودة المشروع الا أنه ضـاع في أروقة الجامعة وفي متاهة الخلافات داخل فلسطين .

* وأعلنت الجامعة مقاطعة البضـائع اليهودية وعدم السماح بدخولها إلى البلدان العربية (١) .

---

(١) أيدت جـمـيع الأحـزاب الفلسطينيـة هذه الخطوة ، وكـانت تهـدف إلى الإضـرار بقـوة اليهود الاقتصادية ، وتقوية الصناعات الفلسطينية .

الفصل الحادي والثلاثون

لجنة التحقيق الإنكلو - الأمريكية عام ١٩٤٦

أعلنت أمريكا في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٥م عن تأليف لجنة مشتركة مع بريطانيا لدراسة أحوال اليهود من ضحايا النازية في أوروبا بهدف تقدير عدد أولئك الذين يودون أو الذين تضطرهم أحوالهم أن يهاجروا إلى فلسطين . . وتقديم التوصيات لمعالجة هذه القضيّة .

وهذه أول مرة تأخذ فيها واشنطن زمام المبادرة من بريطانيا في قضية فلسطين . . والأمر طبيعي . . فقد تولت واشنطن زعامة العالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية من ناحية ، وهي تحت تأثير متعاظم للصهيونية من ناحية أخرى .

ابتدأت اللجنة أعمالها في واشنطن ، ثم تقسمت إلى لجان فرعية زارت كلا من ألمانيا وبولونيا وتشيكو سلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان ، وفي ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٤٦م وصلت اللجنة إلى القاهرة وقابلت عبد الرحمن عزام والشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين وعددا من الزعماء المهتمين بالقضية الفلسطينية . ثم زارت اللجنة القدس واجتمعت إلى جمال الحسيني الذي كان يمثل رأي (الحزب العربي) . وفي ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٤٦م أصدرت اللجنة تقريرها وكان كما يلي :

بالنسبة للهجرة : جاء في توصية اللجنة بأن تصدر في الحال إجازة تخول دخول فلسطين لليهود الذين كانوا ضحية النازية وعسف الفاشية . . وذلك بإعطاء مائة ألف رخصة لدخول فلسطين ، ونشعر بأن التنفيذ العاجل لهذا الأمر سيكون له أعظم الأثر .

بالنسبة للأراضي : فقد طالبت اللجنة بإلغاءالقوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضي الصادرة سنة ١٩٤٠م واستبدالها بقوانين تسمح بحرية البيع والتملك .

بالنسبة لقضية الحكم : فقد أوصت اللجنة بأن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأن الشكل النهائي للحكم يجب أن يضمن بضمانات دولية .

ردود الفعل العربية

كانت ردود الفعل الشعبية والرسمية العربية عنيفة للغاية . . فأعلن الإضراب وقامت المظاهرات في مختلف المدن العربية . . واعلن عبد الرحمن عزام : بأننا اليوم نرسل الإحتجاج وغدا نرسل الرصاص ضد من ينفذ هذا التقرير ، كما أعلن محمد علي جناح مؤسس باكستان : " إن التقرير أبشع حنث ، وإن المسلمين لن يسمحوا بتنفيذه ".

أما رسميا فقد تداعى حكام الدول العربية جميعا إلى لقاء لهم في أنشاص في ٢٨ أيار(مايو) ١٩٤٦م وأصدروا بيانا رفضوا فيه قرارات لجنة التحقيق واعتبروها قرارات عدائية وأعلنوا بأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها كما طالبوا بوقف الهجرة ، ومنع تسرب الأراضي لليهود . (١)

كما عقدت الجامعة العربية اجتماعا آخر في بلودان بتاريخ ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٦م اتخذت فيه مجموعة من القرارات اعتبرت في حينها نقطة تحول في مواقف الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية . . أهمها :

١– اعتبار تنفيذ توصيات اللجنة عملا غير ودّي موجها إلى الحكومات العربية .

---

(١) حول الحركة العربية الحديثة – عزة دروزة ص ٤ : ٥٢

٢- مفاوضة بريطانيا لإنهاء الوضع الحاضر في فلسطين ، وإلا تعرض القضية في هيئة الأمم المتحدة .

٣- تأليف لجنة دائمة تمثل فيها جميع الدول العربية مقرها القاهرة مهمتها معالجة القضية الفلسطينية .

٤- كما عينت الجامعة **هيئة عربية عليا جديدة** تكون بمثابة حكومة للشعب الفلسطيني تتكون من خمسة أشخاص يترأسها المفتي .

٥- وشددت على موضوع المقاطعة ضد اليهود وإنشاء مكاتب للمقاطعة في كل دولة عربية .

٦- وجرى الحديث عن قطع النفط السعودي والعراقي عن الدول الغربية والنظر في إلغاء ما يكون لها من امتيازات في الدول العربية .

واتخذت قرارت سرية أخرى : مثل احتمالات العمل العسكري ، وتأزيم الموقف مع أمريكا وبريطانيا إذا صادقتا على توصيات اللجنة .

ردود الفعل اليهودية

أما ردود الفعل اليهودية فتمثلت :

١- بإنشاء حركة منظمة في أوروبا لنقل المهاجرين والأسلحة إلى فلسطين .

٢- تصعيد أعمال العنف والبطش في فلسطين ، مطالبين بسرعة تنفيذ توصيات لجنة التحقيق الإنكلو - أمريكية . ومن أهم أعمال العنف التي ارتكبوها بعد اجتماع بلودان مباشرة ، نسف الجسور العشرة التي تربط فلسطين بمصر ، وشرقي الأردن وسوريا ولبنان . كما نسفوا فندق الملك داوود في القدس الذي كان مركزا للحكومة ، فقتل وجرح فيه ١٣٠ شخصا .

الفصل الثاني والثلاثون

مؤتمر لندن - سبتمبر ١٩٤٦م

وهو آخر مؤتمر يعقد في بريطانيا لمناقشة القضية الفلسطينية ، حضره وزراء الخارجية العرب بينما رفض الفلسطينيون الحضور مالم يكن برئاسة المفتي . . الأمر الذي أدى إلى حرمان الفلسطينين من حضور المؤتمر وعرض قضيتهم والدفاع عن مواقفهم . .

قدمت بريطانيا في المؤتمر مشروعها الذي عرف بمشروع موريسون أو مشروع النظام الاتحادي والذي يلتقى مع قرارت لجنة التحقيق الأنكلو- أمريكية . يرتكز المشروع على أنه لا دولة عربية ولا دولة يهودية ولا دولة ثنائية في فلسطين ، وإنما إعطاء كل فريق منطقة خاصة به يمارس فيها حكما ذاتيا خاضعا للحكومة المركزية .

وتقسم فلسطين في مشروع موريسون إلى أربعة كانتونات :

١ - **المنطقة اليهودية** التي تشمل المنطقة التي استقر فيها اليهود .

٢- **منطقة القدس وبيت لحم .**

٣- **النقب .**

٤- **المنطقة العربية .**

أما بشأن الهجرة فقد أقرّ المشروع بضرورة **هجرة مائة ألف يهودي على الفور . . .**

رفضت الوفود العربية المشروع ، وقدمت إلى الحكومة البريطانية مشروعا بديلا عرف باسم (**المشروع العربي**) ينص على تشكيل حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامي من عشرة أعضاء ، سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ريثما يتم إعداد الدستور الذي ينص على إقامة دولة ديموقراطية موحدة في فلسطين .

كان بيفن وزير خارجية بريطانيا الذي يتولى رئاسة المؤتمر ، يعقد مفاوضات سرية مع

وايزمان زعيم الصهيونية ووفد يمثل الوكالة اليهودية ، وقدم لهم خطة تقضي باقامة وصاية مؤقتة تمتد من ثلاث إلى عشر سنوات ، وتكون مرحلة انتقالية تمهد للحكومة اليهودية .

ولم يفلح بيفن في ازدواجيته تلك ، فقد اعلن الرئيس الامريكي ترومان رفضه مشروع موريسون وطالب بالتزام مقررات اللجنة الانكلو - امريكية السابقة . وهكذا أجبرت بريطانيا على أن تنفض يدها من قضية فلسطين . وفي الرابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٤٧م وفي نهاية الجولة الثانية من مؤتمر لندن أعلن بيفن رسميا قرار حكومته بإحالة القضية إلى هيئة الأمم .

الفصل الثالث والثلاثون

فلسطين في هيئة الأمم المتحدة

عرضت القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٤٧م .

وفي تقرير خاص بعث به أميل الغوري [١] من نيويورك إلى رئيس الهيئة العربية العليا في ١٦ أيار (مايو) ١٩٤٧م جاء فيه ما يلي :

(رغم موقف الصحافة العدائي فقد تمكنّا من إعطاء بعض الأحاديث إلى الصحف والمجلات ، فنشرت الصحف أشياء عديدة عن القضية ما كانت لتنشرها لولا وجود الوفد ، لقد فتحنا ثغرة ضيقة في صفوف صحافة الأعداء . ولعل أهم ما تمكن الوفد عمله هو تقديمه للقضية وعرضها على اللجنة السياسية (اللجنة الأولى) والتحدث عنها مرتين) [٢] .

وتحدث هنري كتن مندوب الهيئة العربية العليا لفلسطين في هيئة الأمم فشرح بإيجاز قضية فلسطين ، وذكّر بالوعود البريطانية للعرب ، وذكر أن وعد بلفور هو أساس كل الاضطرابات وأنه متناقض لتعهدات الدول الحليفة ، ولنقاط ويلسون الأربع عشرة وللمادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم .. وطالب بالاستقلال .. وتمنى على لجنة التحقيق التي ستبعث بها الأمم المتحدة وعلى الجمعية العامة " أن يقتنعوا بأن هذه المشكلة المعقدة لا تحل الا على أساس المبادئ التي اتفق عليها العالم المتمدن . "

ومما لا شك فيه أن السيد هنري كتن وهو محامي قدير عرض قضية بلاده عرضا

---

(١) عضو الوفد الفلسطيني إلى جلسات هيئة الأمم .

(٢) المؤسسات والقيادات (المرجع السابق) ص ٥٦٧ .

قانونيا مقنعا . . ولكن الأمم المتحدة كانت معنية بأمر آخر وهو كيف تقيم الدولة اليهودية في فلسطين بأسرع وقت ممكن .

ومن أجل هذا فقد تقرر في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٤٧م إرسال لجنة الأونسكوب للتحقيق في أوضاع المنطقة .

لجنة الأونسكوب

تألفت هذه اللجنة من ممثلين لإحدى عشر دولة هي : النمسا ، كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، غواتيمالا ، الهند ، هولندا ، إيران ، بيرو ، السويد ، الأورغواي ، يوغسلافيا . أعلنت اللجنة أن مهمتها زيارة مخيمات اليهود في أوروبا والبحث في اعادة توطينهم . ولهذا السبب فقد قاطعت الهيئة العربية العليا اللجنة فقد كانت لجنة لتوطين اليهود على حساب فلسطين وشعبها .

اجتمعت اللجنة بوزراء الخارجية العرب في لبنان في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٤٧م وكتبت تقريرها الذي شمل النقاط التالية :

(١) ضرورة إنهاء الانتداب في فلسطين ، ومنحها الاستقلال ، بعد مرحلة انتقالية ، تكون السلطة في أثنائها مسؤولة أمام منظمة هيئة الأمم المتحدة .

(٢) مشروع الأكثرية :

ويقض بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام :

دولة عربية ، وأخرى يهودية ، يربط بينهما اتحاد اقتصادي ، **ومنطقة دولية تديرها الأمم المتحدة .**

أ- الدولة العربية : وتشمل الجليل الغربي ، ومنطقة نابلس الجبلية ، والسهل الساحلي بين أسدود والحدود المصرية ، ومنطقة الخليل ، وجبال القدس وغور الأردن . وتقدر مساحتها بـ (٤٤٧٦) ميلا مربعا أي نحو ٤٢,٨٨ ٪ من مساحة فلسطين .

وكان تملّك اليهود في هذا القسم لا يزيد على (٠,٨٤٪) من مساحته . كما أن عددهم فيه كان عشرة الاف يهودي مقابل (٧٢٥) ألف عربي .

ب- الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ، ومرج ابن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلي ، والنقب . وتقدر مساحتها بـ (٥٨٩٣) ميلا مربعا أي نحو ٥٦ر٤٧٪ من مساحة فلسطين ، ولم تكن ملكية اليهود فيها تزيد على ٩,٣٨٪ .

ولم يكن عدد اليهود في هذه المنطقة يزيد على عدد العرب باكثر من الف نسمة . فقد كان عدد السكان العرب فيها (٤٩٧ الفا) ، فيما كان عدد اليهود (٤٩٨ الفا) .

ج- المنطقة الدولية : وتشمل القدس وبيت لحم والاماكن المقدسة داخل القدس وخارجها . وقد طالبت اللجنة بوضعها تحت نظام الوصاية الدولي . ولم تكن مساحتها تزيد على ٠,٦٥٪ من مساحة فلسطين أي نحو (٦٨) ميلا مربعا .

(٣) مشروع الاقلية :

ويرمي إلى تأليف حكومتين مستقلتين استقلالا ذاتيا . وتتألف منهما دولة اتحادية ، عاصمتها القدس ، وتتولى الحكومة الاتحادية قضايا الشؤون الخارجية ، والمصالح الاقتصادية المشتركة بين الدولتين ، والدفاع الوطني . أما رئيس الدولة فينتخبه مجلس الاتحاد .

وأما الهجرة اليهودية ، فلا يسمح بها الا للمنطقة اليهودية فقط ، تحت اشراف لجنة مؤلفة من تسعة أعضاء ، مقسمة بالتساوي ، بين العرب واليهود ، والامم المتحدة .[1]

ردود الفعل العربية

أولا : الهيئة العربية العليا :

---

(١) موجز تاريخ القضية الفلسطينية (المرجع السابق) ص ١٠٩ .

صدر رد الفعل الاول عن الهيئة العربية العليا فاصدرت بيانا بتاريخ ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧م جاء فيه :

(إن هذين الاقتراحين يخالفان بداهة كل أماني العرب ومطاليبهم وميثاقهم القومي، كما يخالفان ميثاق الامم المتحدة وجميع مبادئ الحق والعدل ، وفيهما من الجرأة على الحق والمنطق والتاريخ والتجاوز على حقوق عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين وعلى حقوق الامة العربية كلها والعالم الاسلامي بأسره في هذه البلاد المقدسة مالا سبيل إلى مناقشة أو مساومة ، ومالا يقابل إلا بالرفض البات والانكار المطلق [١] .

ثانيا : الجامعة العربية

أما الجامعة العربية فقد عقدت سلسلة من الاجتماعات ، وأصدرت مجموعة من القرارات والتوصيات . . ففي اجتماع صوفر ١٦/٩/١٩٤٧م قررت الجامعة مقاومة هذه المقترحات بجميع الوسائل وأرسلت جميع الدول العربية مذكرات شديدة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا مؤكدة أن كل اقتراح لا ينص على استقلال فلسطين كدولة عربية مرفوض جملة وتفصيلا .

كما قررت الجامعة في اجتماعها الذي عقدته في عالية في (٧–١٥) أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٧م تنفيذ مقررات بلودان السرية لدى تطبيق أي حل لا يؤدي إلى جعل فلسطين دولة عربية مستقلة .

وقد تواجد ضابط المخابرات (كلايتون) والذي كان بمثابة مندوب غير رسمي لبريطانيا لدى الجامعة ، في مكان المؤتمر ولعب من وراء الستار دورا رئيسا في صياغة قراراته .

---

(١) وثائق منظمة التحرير رقم ٣٩ .

من اهم مقررات المؤتمر :

* اقامة معسكر لتدريب المتطوعين في قطنا بالقرب من دمشق .

* وتشكيل لجنة فنية عسكرية أنيط بها البحث فيما هو مطلوب للدفاع عن العرب في فلسطين والاشراف على النفقات المالية . وتقرر فتح اعتماد بقيمة مليون جنيه مصري لأغراض الدفاع عن البلد . اختير للمشاركة في هذه اللجنة : اللواء اسماعيل صفوت من العراق والعقيد محمود الهندي من سوريا وصبحي الخضراء ثم عزت دروزة من فلسطين والمقدم شوكت شقير من لبنان وبهجت طبارة من الاردن وطه الهاشمي مفتشا عاما للمتطوعين .

وفي أول تقرير لهذه اللجنة قدمته للجامعة العربية جاءفيه :

" إن للصهيونيين في فلسطين منظمات وتشكيلات عسكرية وسياسية وإدارية على درجة من التنظيم مما ييسر لها أن تنقلب فورا إلى حكومة صهيونية . وإن للصهيونية قوة من الرجال (٥٠-٧٠ الف رجل) والسلاح والاحتياط وما تتطلبه الحرب من وراء البحار بمقياس واسع . وليس لعرب فلسطين من القوة على اختلاف أنواعها ما يقاس مع القوة الصهيونية . كما يوجد في المناطق التي تقطنها أكثرية يهودية مالا يقل عن ٣٥٠ ألف فلسطيني وهؤلاء مهددون بالقتل في حالة قيام حرب ."

وبناء عليه فان اللجنة العسكرية توصي (١) :

١- المبادرة فورا إلى دعوة المتطوعين وتدريبهم وتسليحهم .

٢- حشد القوات النظامية قرب الحدود مع فلسطين .

٣- تأليف قيادة عربية عامة .

٤- تزويد عرب فلسطين بكميات من الاسلحة .

---

(١) طريق النكبة - سامي الحكيم ص ٢٥ .

٥- وضع مالا يقل عن مليون دينار لتموين القوات الفلسطينية .

٦- مبادرة الدول العربية لشراء كميات من الاسلحة لتموين المجاهدين .

٧- حشد ما يمكن من الطائرات لمراقبة المواصلات البحرية والحيلولة دون وصول النجدات إلى اليهود . .

مقترحات المفتي

ولقد تقدم المفتي للجامعة بمشروع آخر تضمن ما يلي :

* تأليف حكومة عربية في فلسطين على الفور .

* تسليح الفلسطينيين ومساعدتهم بالمال والسلاح ، وعدم دخول الجيوش العربية النظامية الي فلسطين .[1]

ولكن مجلس الجامعة والملك عبد الله رفضا المشروع ، وعندما تقابل الملك عبد الله مع ممثلة الوكالة اليهودية غولدامائير في منزل بنحاس روتنبرغ في نهرايم ، أعلن عزمه على ان يضم إلى مملكته الجزء المخصص للعرب في مشروع التقسيم ، وأن يقيم علاقات سلام وصداقةمع الدولة اليهودية . وختم كلامه مع مائير " بأن كلينا يواجه خصما مشتركا يقف عقبة ازاء خططنا ، وهو المفتي " .[2]

---

(١) كان المفتي يعتقد أن عزل الشعب عن معركته ودخول الجيوش العربية النظامية الخاضعة لهيمنة بريطانيا انما هي مؤامرة ضد فلسطين ولقد تأكدت هذه الظنون . . فقد كان النقراشي من أشد المعارضين لدخول الجيش المصري الحرب . وبعد دخول الجيش أسرّ النقراشي إلى أحد كبار المصريين وقتئذ : ان الانكليز يتحمسون لدخولنا وقد وعدونا باسلحة . كشف النقاب عن ذلك في المحاكمات أمام محكمة الثورة عام ١٩٥٢م .

(٢) القيادات والمؤسسات (المرجع السابق) ص٥٨٠ .وكتاب حرب فلسطين (الرواية الرسمية الاسرائيلية) ص ٢٢٤ .

قرار التقسيم رقم ١٨١

حاولت الولايات المتحدة جهدها ، وبذلت كل ما تستطيع من وعد ، ووعيد ، وتهديد ، وضغط ، للحصول على اصوات الثلثين في الجمعية العامة بجانب مشروع تقسيم فلسطين ، وقد نجحت في ذلك يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م . فنال مشروع التقسيم الذي يحمل رقم (١٨١) ثلاثة وثلاثين صوتا . ولم يكن بين هذه الدول المؤيدة للتقسيم دولة واحدة مجاورة لفلسطين ولكن كان بينهما الدولتان الكبيرتان ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي . كما صوتت (١٣) دولة ضد مشروع التقسيم ، هي الدول العربية الست ، واربع دول اسلامية (افغانستان ، وباكستان ، وايران وتركيا) وثلاث دول اخري هي (الهند واليونان وكوبا) وامتنعت عشر دول عن التصويت .

والواقع أن عمل الامم المتحدة هذا ، لم يكن دستوريا اطلاقا ، وكيف يكون كذلك ، وهو يتعارض تعارضا كليا مع المبدأ الاساسي الذي انشئت المنظمة العالمية من أجله ، ألا وهو حفظ حق جميع الشعوب ، كبيرها وصغيرها ، في تقرير مصيرها . فهي ، بحرمانها عرب فلسطين ، وهم غالبية سكانها ، من حقهم في أن يقرروا مصيرهم بانفسهم ، تكون قد خرقت أهم مبادئها . (١)

اجتماعات الجامعة العربية

في أعقاب موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع التقسيم . . عقدت الجامعة العربية اجتماعا في ٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٧م واتخذت القرارات التالية :

* تزويد اللجنة العسكرية بالبنادق والأسلحة الخفيفة .

---

(١) الموجز في تاريخ القضية (المرجع السابق) ص ١١٠ .

* اعتماد مليون جنيه لصرفها على شؤون الدفاع ،
* ارسال متطوعين عرب إلى سوريا لتدريبهم وارسالهم إلى فلسطين ،
* جمع التبرعات بواسطة الحكومات ،
* القيام بالدعاية للقضية الفلسطينية في امريكا وبريطانيا .
* تأليف لجنة سياسية جديدة باسم لجنة فلسطين برئاسة عبد الرحمن عزام . . اصبح المفتي فيها مجرد عضو من أعضاء كثيرين .

انتقلت اللجنة العسكرية إلى دمشق ، وحصرت اعمالها في تزويد المناطق الفلسطينية المعرضة للخطر بما يتجمع لديها من سلاح وعتاد كما أقامت لها معسكرا في قطنا بالقرب من دمشق لتدريب المتطوعين من الفلسطينيين وغيرهم . وما أن بدأ المعسكر يقوم بدوره في تدريب المتطوعين ، حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بمذكرة إلى الجامعة العربية تعترض على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ، وتعتبر ذلك (عملا غير ودي) لأن بريطانيا لا زالت موجودة في فلسطين [1] .

وما ان وصلت المذكرة البريطانية . . حتى امتثل الجميع لها . .وسرحوا الشباب وسحبوا الاسلحة واغلقوا المعسكر . . **هكذا يكون الالتزام الكامل والطاعة المثلى لأوامر السادة . . ولم يتذكر أحد من زعامات الجامعة في ذلك الوقت أن يذكّر الجنرال كلايتون بأن دولته هي التي تشرف على تدريب وتسليح اليهود داخل فلسطين . وهكذا أضاع عرب فلسطين فرصة هامة كان يمكن أن تكون حاسمة في الصدام القادم بين عرب فلسطين وأعدائهم اليهود . . هذا بالنسبة للتدريب أما بالنسبة للتسليح والتمويل فالأمر أدهى وأمر . .**

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المرجع السابق) ص ٣١٢ .

فبدون الدخول في التفصيلات فان مجموع ما تسلمته اللجنة العسكرية من الحكومات العربية حتى ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٨م كان ٤١١٠ بنادق و ١,٨٠٩,٠٠٠ طلقة [1] . . وبفحص هذه الاسلحة وجد أن البنادق قديمة وان معظم المسدسات معطل لا يصلح للاستعمال . ولمزيد من التوضيح نقول : إن كل ما قدمته البلاد العربية من الاسلحة والذخائر لحرب فلسطين لا يعادل الاسلحة المودعة في مستعمرة واحدة لليهود . . اما مجموع ما تبرعت به الدول العربية فلم يتجاوز ٧٦٨ ألف جنيه !!

فهل يتصور أحد أن الشعب الفلسطيني الذي ذاق الامرين على يد قوات الاحتلال البريطانية داخل فلسطين ، ولاقى الحرمان والعوز والإهمال على يد أشقائه العرب والمسلمين خارج فلسطين . . **هل يتصور أحد أنه يستطيع الصمود أمام جحافل اليهود المدربة المسلحة . . التي تقف أكبر دول العالم إلى جانبها . . ؟!**

(١) المصدر نفسه ص ٣١٤ .

الأوضاع في اعقاب صدور
قرار التقسيم رقم (١٨١)

ما أن صدر قرار التقسيم رقم (١٨١) حتى هبّ الشعب الفلسطيني يدافع عن نفسه وأرضه وعن وطنه وحرماته . . في محاولة منه للتمسك بوطنه ما أمكنه ذلك . . وأعلنت بريطانيا من جانبها أنها عازمة على انهاء انتدابها وسحب قواتها وجهازها الاداري في ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨م ، وانها ستترك فلسطين لمن يقيم فيها ، نافضة يدها من مسؤولية الانتداب الذي نفذته لصالح الصهيونية على مدى ثلاثين عاما .

وما لبريطانيا والبقاء ؟ فقد أنجزت مهمتها بنجاح وصار اليهود على استعداد تام لإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين . . فيوم دخلت بريطانيا القدس كان عدد اليهود في حدود الخمسين ألفا واليوم هم ٦٠٠ ألف يهودي . وهم اليوم يسيطرون على أخصب أراضي فلسطين ، ولهم جيش مدرب ومسلح ومستعد في اللحظة المناسبة أن يقبض على ناصية الأمور ، وهم سادة الاقتصاد في البلاد بيدهم أهم المشاريع ، وهم أصحاب البيوت المالية والتجارية والمحلات العامة .

ولنضرب مثلا على ما نقول :

تضم مدينة القدس ٥٢١٠ دكاكين منها ٢٣١٢ دكانا للعرب والمسلمين والمسيحيين و ٢٧٩٠ دكانا لليهود .

وفيها ٤٤ مخبزا يمتلك اليهود ٣١ منهم ، وفيها ٢٤ دكانا لبيع التبغ يمتلك اليهود ١٩ منها ، و١٩ مصرفا لليهود منهم ١٤ ، و٩٩ محلا لبيع الكتب لليهود منها ٥٥ ، و٤٢ محلا لبيع مواد البناء لليهود منهم ٣٠ محلا ، ومن بين ٦٢ شركة لشراء الاراضي كان للعرب شركتان ، ومن بين ٥٥ شركة للاشغال العامة والمقاولات الهندسية والبناء كان للعرب شركة واحدة ، ومن بين ٦ شركات للآلات الزراعية

والاسمدة وتعمير الاراضي كان لليهود منها ٥ شركات ، وبينما يملك اليهود ١٦ شركة لأعمال البوتاس والأدوية والأملاح والراديوم وثلاث شركات للسجائر وست شركات لنشر العلم والتدريس وخمسا وستين شركة للطباعة وثماني شركات للأفلام والسينما لا يملك العرب شيئا منها . . وباختصار فقد استطاع اليهود خلال ثلاثين السنة الماضية أن يقبضوا على ناصية الأمور ، في الوقت الذي تولت فيه بريطانيا قمع العرب ومطاردتهم وحرمانهم من أدنى الحقوق في بلدهم . . (١)

إن مجمل حالة الشعب الفلسطيني عند صدور قرار التقسيم وصفها مؤرخ معاصر فقال : " شعب أعزل لا سلاح لديه ، لطمته هيئة من أكبر الهيئات الدولية بأظلم وأقسى قرار عرفه التاريخ ، ويقضي عليه بالتجزئة والحرمان وضياع الامل بالحرية التي كان ينشدها والوحدة التي كان يصبو اليها والامن والاستقلال الذي طالما تمناه ، ويرى بعين دامية وقلب واجف ، الهوة السحيقة التي حفرت امامه والتي سيقع فيها ، اذا لم يهب لانقاذ بلاده ، قبل أن يتمكن الأعداء من تأسيس دولتهم ، ولكن وسائله محدودة ، ووسائل أعدائه متوافرة ، فيقف حائرا متسائلا ما العمل . .؟ وكيف السبيل إلى النجاة . . " (٢) .

تجدد الكفاح المسلح

هبّ الشعب الفلسطيني في كافة أنحاء فلسطين ، يدافع عن نفسه وأرضه في حيفا وفي القدس ، في جنوب البلاد وفي شمالها ، والعالم مشدوه بما يبديه شعب فلسطين من غضب وما يقوم به من كفاح وجهاد متصل . المعارك متواصلة ليلا ونهارا . .

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المصدر السابق) ص ٣٠٦ .

(٢) نكبة بيت المقدس ١: ٣٨ .

وكانت بريطانيا تراقب الأمور حتى اذا مالت الكفة لصالح العرب هرعت فأنجدت أصدقاءها اليهود .

ولنستعرض بعض المعارك الهامة التي حدثت خلال هذه الفترة لاعطاء فكرة عن صلابة شعبنا وقدرته على تحرير وطنه لو أمدّه اشقاؤه بالامكانات فقط ، نذكر هذه النماذج لفتياننا ليحفظوا تاريخهم :

* **معركة ظهر الحجة** . . وفيها تغلبت البنادق البدائية الفلسطينية على الاسلحة المتطورة اليهودية فأبادوا المهاجمين عن بكرة أبيهم .

* **معركة كفركنا** . . حاول اليهود الاستيلاء على القرية . . فصدهم المجاهدون ولحقوا بهم حتى وصلوا إلى كرم الزيتون التابع لمستعمرة الشجرة .

* **معركة عين باهل** . . في ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٨م .

* **معركة الماصيون** . .

* **معركة شعفاط** . . وقعت في ٢٤ آذار (مارس) ١٩٤٨م .

* **معركة الدهيشة** . . في ٢٧ آذار (مارس) ١٩٤٨م .

وقد اصطدم مائتا مجاهد من فرق الجهاد المقدس مع قافلة يهودية قوامها ٢٥٠ رجلا من جيش الهاجانا كانوا يركبون ٥٤ سيارة محروسة بأربع مصفحات عسكرية ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة اشتركت فيها الطائرات اليهودية ، واستنجدوا بالقوات الانكليزية ولم تستطع كل هذه التجهيزات أن تفك الحصار عن اليهود . . فألقى اليهود سلاحهم بعد حصار دام ٣٦ ساعة متخلين للعرب عن الاسلحة وتسلمت الحكومة ١٥٩ يهوديا بينهم ٢٤ قتيلا .

مجلس الأمن مرة أخرى

تعالت صيحات اليهود ، واستنجدوا بالولايات المتحدة ، وحاول ترومان الرئيس

الأمريكي . . التخلي عن قرار التقسيم ، ووضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة وبالفعل فقد تقدم بمثل هذا المشروع في ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٨م . . ولكن اليهود وقفوا ضده ، وأدركوا خطورة هذه الخطوة المتراجعة . . وأعلنوا " إن قوة العرب خرافة ، وإن التراجع عن التقسيم سابقة خطيرة للهيئة ، هيئوا لليهود نصف فرصة لينسفوا اسطورة العرب . . ." (١) .

كما احتجت الوكالة اليهودية والمجلس القومي اليهودي بشدة ورفضا أي مشروع لنظام وصاية ولو لفترة قصيرة . وقال بن غوريون : " إن اقامة الدولة اليهودية لم تكن متوقفة عمليا على قرار الأمم المتحدة وإنما على إمكان رجحان كفتنا وقوتنا" (٢) .

تراجع ترومان عن القرار . . وهيأوا الفرصة لليهود ، وفتحت أبواب ميناء تل أبيب لتستقبل السفن الملأى بكل أنواع السلاح من أمريكا وبريطانيا ودول أوروبا الشرقية . . وتوافد على فلسطين عدد من الضباط الامريكان والبولونيين والتشيكيين والروس يدربون الشبان اليهود على الأسلحة الجديدة .

هذا على جبهة اليهود . .أما العرب الفلسطينيون فقد كان أهم سلاحهم ما استولوا عليه من أعدائهم . . أما المصادر الأخرى فقد كانت شحيحة للغاية .

(يقول محسن البرازي وزير الخارجية السوري في مذكراته : عندما تبرع الشعب العربي في المملكة العربية السعودية بنحو نصف مليون جنيه للمجاهدين الفلسطينيين عام ١٩٤٧م ، تدخل المسؤولون العرب طالبين تحويل المبلغ إلى الجامعة لا إلى الهيئة العربية الفلسطينية وحين تقرر في الرياض مد المجاهدين بكميات من السلاح والذخائر

---

(١) مذكرات وايزمان ص ٥٧٩ .

(٢) حرب فلسطين الرواية الاسرائيلية الرسمية ص ٢٠٢ .

بواسطة المفتي . . حوّل السلاح تحت إلحاح المسؤولين العرب إلى اللجنة العسكرية بدمشق . ولما سلمت مصر جزءا من كميات السلاح التي تعهدت بها إلى الهيئة ونقلت إلى فلسطين بواسطة محافظ سيناء أسرع أعضاء اللجنة العسكرية فتسلموا بقية السلاح ونقلوه إلى دمشق) [1] .

إن عرقلة تسليح المجاهدين في فلسطين كانت في بعض الأحيان تأخذ صورا أوضح وأعمق ،فقد اشتريت بعض الاسلحة البلجيكية بأموال تبرع بها اللبنانيون وتقرر تسليمها إلى القائدين عبد القادر الحسيني وحسن سلامة . . كدّست الاسلحة في عنابر اللجنة العسكرية . . وعندما حضر القائد عبد القادر الحسيني لتسلمها رفضوا طلبه وكان ذلك قبيل معركة القسطل التي استشهد فيها القائد عبد القادر الحسيني . [2]

هذه مجرد نماذج من تصرفات اللجنة العسكرية التي شكلتها الجامعة العربية للإشراف على قضية فلسطين . .!

فهل يسأل بعد ذلك أحد لماذا حارب الفلسطينيون خصومهم الأقوياء وهم منزوعو السلاح . . ؟!

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المصدر السابق) ص ٣٣٣ .

(٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين من كتاب جهاد شعب فلسطين (المرجع السابق) ص ٣٣٣ .

الفصل الرابع والثلاثون

المنظمات العسكرية اليهودية

كانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث :

١- الهاجانا وهي القوة الحربية الرئيسة الرسمية وتضم ٦٢ ألفا من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الاسلحة . ولها ثلاثة أقسام هي :

*** سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ ألف مسلح .**

*** شرطة المستعمرات (هنوطروت) .**

*** البالماخ أو فرقة الصاعقة .**

والهاجانا ليست مجرد تنظيم عسكري ، بل هي حركة شعبية عقائدية يهودية ، قامت أساسا لتربية الشبان اليهود (فتيانا وفتيات) واعدادهم من أجل النضال والاستقلال ، أو كما قال قائد الهاجانا (يسرائيل غاليلي) هدفنا هو استخلاص كل القوة الكامنة في الييشوف (أي الشعب اليهودي) لتحقيق هدفنا في الدفاع عن الحياة والممتلكات والشرف اليهودي .

ولقد عمقت الهاجانا جذور المهاجرين في اليهودية وصبغتهم بتعاليم التوراة وفرضت عليهم تعلم العبرية . . وقد عبّر بن غوريون عن ذلك فقال :" إن التوراة هي صك وجودنا ولقد تحولت الهاجانا مع الزمن إلى **مؤسسة جيش الدفاع الاسرائيلي** " .

٢- عصابة شتيرن ، وتضم حوالي ٣٠٠ مسلح .

٣- عصابة الأرغون زفاي ليومي وتضم حوالي ٦٠٠٠ مسلح .

٤- قوة الشرطة اليهودية وعددها حوالي ١٠٠٠ مسلح .

وبعبارة أخرى فإن مجموع المحاربين اليهود كان لا يقل عن (٧٠ ألف مقاتل) . .

مجـهزين بأحدث الأسلحـة . . فقـد أقيمت ومنذ وقت مـبكر مصانع للأسـلحة تديرها منظمة الهاجانا . . وبعد الحرب العالمية الثانيـة بعثت المنظمة بوفودها لشراء مصانع كاملة للأسلحة من الولايات المتحدة وفرنسا وغيرها وأقاموها في فلسطين بطريقة سرية . .

المنظمات العسكرية الفلسطينية

أهم هذه المنظمات هي :

(١) قوات الجهاد المقدس

وهي القوات التي شكلها المفتي الحاج أمين وقادها عبد القادر الحسيني في أواخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧م . بدأت هذه القوات بخمسة وعشرين رجلا ، وكانت تفتقر للتدريب وللسلاح وللاموال . . وشخصية قائدها هي التي أضفت عليها مزيدا من الجدية والحرص على القتال لتحرير البلد .

كانت قوات الجهاد المقدس تمثل المفتي . . الذي كان يخوض صراعا مريرا على كل الجبهات . . الداخلية والعربية . . من أجل القضية الفلسطينية .

(٢) جيش الانقاذ

أما القوات الاخرى العاملة على الساحة الفلسطينية فكانت **قوات جيش الانقاذ** . وهو الجيش الذي شكلته الجامعة العربية ، تلبية لقرارها بضرورة التدخل العسكري لمنع التقسيم واعلان فلسطين دولة عربية مستقلة .

ضمت هذه القوات حوالي (٧٧٠٠) متطوع ، (٢٥٠٠) منهم من داخل فلسطين والباقي من متطوعي البلاد العربية والاسلامية .

نال المتطوعون قسطا من تدريباتهم في معسكرات قطنا في سوريا [1] .. وعينت الجامعة العربية فوزي القاوقجي قائدا لهذا الجيش .

في نهاية مارس ١٩٤٨م قدّم قائد جيش الانقاذ تقريرا إلى الجامعة العربية عن حالة قواته فقال : " إن مستوى تدريب المتطوعين هو أدنى من المتوسط وقدرتهم القتالية

---

(١) اغلقت هذه المعسكرات بعد اعتراض كلايتون رئيس الاستخبارات البريطانية.

منخفضة ، ويرجع هذا إلى قلة عدد الضباط ، وضعف النظام العسكري ، ونوعية السلاح الرديء " .

أقام القاوقجي مقر قيادته في قرية جبع على سفوح جبل حوريش بين نابلس وجنين . . ووجه فور تسلمه مهمته بيانا جاء فيه : "جئنا إليكم بقلب واحد وهدف واحد هو إلغاء قرار التقسيم وتدمير الصهيونية وافتداء عروبة فلسطين " .

كان جيش الإنقاذ مثار جدل بين اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية وبين المفتي الحاج أمين الحسيني ، فقد كان الاخير يرى أن يتولى الفلسطينيون قيادة القتال في بلادهم . . وأن يقتصر دور الدول العربية على تقديم العون المادي والعسكري لإخوانهم . . في الوقت الذي كانت تعارض بعض الدول العربية مثل هذا التوجه . . وبالرغم من أن جيش الانقاذ استطاع في أول الامر القيام بدور جيد في إدارة بعض المعارك المهمة . . ولكنه كان يفتقر إلى هيئة أركان عامة ، الأمر الذي أحاله إلى جيش مهلهل مفكك . انسحب القاوقجي من فلسطين في ١٩٤٨/٥/٢٥م بعد أن أخفق جيشه في معظم المعارك التي خاضها ولم يحل دون سقوط طبريا وحيفا وعكا ويافا بأيدي اليهود .

إن الخلاف بين قوات الجهاد المقدس وجيش الانقاذ ، أو بين المفتي والجامعة العربية ، انما هو خلاف عميق الجذور ، سببه النظرة إلى القضية الفلسطينية . . فالمفتي كان يصر على تحرير كامل البلد على يد أبنائه ينضم إليهم متطوعون من الدول العربية على أن تسلم ادارة الحرب والسياسة في البلد إلى أهله .

أما الملك عبد الله فقد كان ينفذ سياسة التقسيم ويرى أن الظرف مناسب لضم الاجزاء العربية من فلسطين إلى مملكته وكانت الحكومة العراقية تدعم توجه الملك عبدالله ، بينما كانت مصر تعارض هذا التوجه وتساند المفتي وقد أمدته بالمال والسلاح

ونظرت بتحفظ شديد إلى جيش الانقاذ . هذه الخلافات منعت من قيام أية قوة عربية نظامية بالعمل داخل فلسطين قبل خروج البريطانيين منها .

(٣) بالاضافة إلى هذه القوات فقد تشكلت مجموعة من المراكز ، **مثل لجنة انقاذ فلسطين في العراق ، مكاتب اللجنة العسكرية في دمشق ، ومكتب فلسطين الدائم في بيروت ، ومراكز الاخوان المسلمين في القاهرة ودمشق وعمان** ، تستقبل المتطوعين من جميع البلدان وتوجههم إلى أرض فلسطين . وعندما شعرت بريطانيا والدول العربية بجدية هذا الامر ، بدأت تضغط لايقاف هذا السيل المتدفق من المتطوعين . . بحجة أن الجيوش العربية النظامية هي التي ستتولى تأديب اليهود . .!

عبد القادر الحسيني

وقبل أن نغادر هذه المرحلة من تاريخ النضال الفلسطيني ، يحسن بنا أن نقف قليلا مع شيخ المجاهدين قائد قوات الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني .

ولد في القدس عام ١٩٠٧م وهو ابن زعيم فلسطين الكبير موسى كاظم الحسيني . . الذي كان يقود المعركة رغم كبر سنه ضد الانكليز ، والذي توفى متأثرا بجراحه التي أصيب بها في المظاهرة الكبرى التي قادها في يافا .

لم يكن ابنه عبد القادر شخصا عاديا ، فهو منذ شبابه إنسان مجاهد . درس في الجامعة الامريكية في القاهرة قسم الصحافة والتاريخ ، وعندما تسلّم شهادة تخرجه تكلم وقال **أنه لا يتشرف بشهادة من هذه الجامعة التي أنشأها الامريكان الذين يباركون الصهيونية ويحمونها ، ولا يسعده أن يفرح بشهادة جامعة هي وكر للاستعمار والتبشير ، وقاعدة لأعداء العرب ، ثم رفع الشهادة التي سلمت له فمزقها أمام الجميع .** [(١)]

عاد عبد القادر إلى القدس وانطلق يزاول نشاطه في التنظيم السرّي الذي شكله مع إخوانه منذ عام ١٩٣١م . [(٢)]

وفي الوقت الذي كان يرفض فيه الشبان الوطنيون الوظائف الحكومية لئلا يقعوا تحت يد السلطة البريطانية ، فإن عبد القادر اتخذ له وظيفة في دائرة تسوية الأراضي . . كان يريدها غطاء رسميا لنشاطه الخاص الذي أحاطه بكل السرية والكتمان .

في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٣٤م وجّه عبد القادر دعوة إلى جميع المسؤولين عن

---

(١) جهاد شعب فلسطين في نصف قرن (المرجع السابق) ص ٣٥٤ .

(٢) فلسطين عبر ٦٠ عاما ١:١٦١ .

أعمال التنظيم في أنحاء فلسطين . عقد هؤلاء الشبان اجتماعا برئاسة عبد القادر وبعد أن أقسموا اليمين على التمسك بالميثاق الوطني والحفاظ على السرية والكتمان . . اتخذوا القرارات التالية :

١- مضاعفة الجهود لتسليح الشبان وتدريبهم .

٢- إعادة بناء التنظيم الجهادي السري .

٣- تعيين لجنة عليا للتنظيم من : حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الغارس وصالح الريماوي وأميل الغوري .

بدأ التنظيم يجمع المال ، ويشترى السلاح ، ويدرب الأعضاء . كانت لديهم سبعة مراكز سرية للتدريب في القدس ونابلس واللد والناصرة ورام الله والمجدل . . وكان يشرف على التدريب فريق من الضباط السوريين والعراقيين .

كان التسليح من أصعب الأمور . . فقد كانت الحكومات العربية المجاورة (بضغط من الانكليز) تمنع السلاح عن المجاهدين . . لهذا فقد قرر التنظيم الاستيلاء على سلاح القوات البريطانية ذاتها . . فشن عددا كبيرا من العمليات بالتعاون مع عناصره المنبثة في كل مكان واستطاع الحصول على السلاح وتصفية العناصر المعادية في المخافر والمراكز العسكرية .

بدأ التنظيم في مطلع ١٩٣٥م أعماله الفدائية فهاجم المستعمرات اليهودية وبدأ بالتعرض لدوريات الشرطة في المناطق المختلفة .

التنسيق مع المفتي

في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٣٤م التقت قيادة التنظيم السريّ بالمفتي في محاولة للتنسيق والتعاون . . وتبينت هذه القيادة أنه كان على اطلاع كامل على أعمالهم . . وأن هناك تنظيمات أخرى يشرف عليها تعمل بالطريقة نفسها . في صيف عام ١٩٣٥م عمل المفتي على توحيد هذه المنظمات تحت اشرافه وبقيادة عبد القادر وبذلك قامت

منظمة الجهاد المقدس التي تولت الاعمال الجهادية حتى عام ١٩٤٨م .

كان عبد القادر بطلا من أبطال ثورة ١٩٣٦م ، جرح في موقعة قرية الخضر فأسره الانكليز .

وكان قائدا في ثورة ١٩٣٧م ولقد جرح في معركة بني النعيم ، حتى ظن الانكليز أنه مات ، واستطاع رفاقه أن ينقلوه إلى دمشق حيث تم علاجه . عام ١٩٤١م اشترك في ثورة رشيد عالى الكيلاني في العراق .

حين أعلن التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧م جاء إلى مصر وابتدأ يشترى السلاح ويدرب الشباب ويتصل بالحركات الجهادية ، ثم عينه المفتي قائدا لفرق الجهاد المقدس ، فدخل فلسطين وحالفه النصر في جميع المعارك التي خاضها ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محيمر وقلندية وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان ورام الله . . وغيرها . واستشهد في معركة القسطل في ابريل ١٩٤٨م .

ولا بأس أن نتحدث قليلا عن معركة القسطل . . فبالاضافة إلى كشفها عن عظمة هذا القائد الكبير . . فإن أحداثها توضح عمق المأساة التي كانت تعيشها القضية الفلسطينية في تلكم الأيام .

معركة القسطل

هاجم رجال البالماخ الفدائيون من جيش الهاجانا اليهودي في الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٤٨م بلدة القسطل العربية . وكان اليهود يستهدفون فتح طريق القدس الجديدة التي أحكم العرب حصار أحيائها ، ومنعوا وصول التموين إليها ، حتى ضج اليهود في المجالات الدولية طالبين الغوث ، وتدخلت هيئة الأمم قبل أن يفنى سكانها جوعا وعطشا . بعد سقوط القسطل تجمع حوالي ثلاثمائة مناضل من القرى العربية المجاورة بقيادة صبحي أبو جبارة ، ومجموعة أخرى من الجهاد المقدس يقودها كامل

عريقـات ، وجمـاعة من القطمـون يقودهم ابراهيم أبو دية ، وجـماعـة من بيت صفـافا يقودهـم عبد الله العـمري وأنور نسـيبـة وآخرون من القـدس يقودهم حافـظ بركات ، وجماعة من عين كارم يقودهم خليل عنون وآخرون يقودهم عبد الفتاح درويش .(١)

وابتدأت المعركة أثر هجـوم رتب له العرب في ٤ أبريل (نيسان) ١٩٤٨م ولكنهم لم يستـطيعوا احـتلال القـسطل . في منتصف نهـار السادس من ابريل . . بدأت ذخـيرة العرب في النـفاذ . . وبينما كـانت الطائرات اليهـودية تزود اليهـود بالمؤن والمعدات . . فان المقاتلين العرب كانوا يطلبون العون ويستنجدون باخوانهم بلا طائل .

يذكـر المؤرخ عارف العـارف أنه ذهب شـخصـيـا يستنهـض همة الجـيش الأردني المعسكر في رام الله بالقـرب من ميدان المعـركة ويرجوه التدخل في المعـركة . . ولكن صراخه ذهب مع الريح . . فقد رفض القائد العام جلوب باشا . . التدخل !

هذا الموقف الصـعب دفع بقائد الجـهاد المقدس عـبد القـادر الحسيـني أن يسرع إلى دمشق الـتي اتخذتهـا اللجنة العسكرية مـقرا ، وأن يطلب العـون العسكـري ، وحـاول القائد أن يضع أمام أذهان رئيس وأعضـاء اللجنة تفاصيل الموقف العسكري في فلسطين ، وأن اليهود يزدادون قـوة كل يوم ، وأنهم يملكون كل أنواع الأسلحة الخفيفـة والثقيلة وأن الفلسطينيين لا ينقصهم الاّ السلاح . .! وكان عـبد القادر ينفخ في رماد . . فاللجنة على دين ملوكها وأعضاؤها على شاكلة من شكلوها .

وفي هذه الاثناء جاءت الانبـاء بسقوط القـسطل بيد اليهـود . . فغضب عبـد القادر ووجه كلامه إلى طه باشا الهاشمي المشرف العام على تلك اللجنة :

" ياباشا إن القسطل حصن منيع وليس سهلا استرجاعها بالبنادق القديمة والذخائر القليلة التي في أيدينا . أعطني السلاح الذي طلبته

---

(١) نكبة بيت المقدس ١٦٣:١ .

منك وأنا أستردها . لقد كانت خطتي إلى الآن أن أحاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد وأن أمنع عنهم وصول الإمدادات العسكرية والمؤن ، ونجحت خطتي . . أما الآن فقد تطورت الحال وأصبح لدى اليهود طائرات ومدافع وليس باستطاعتي أن احتل القسطل الا بالمدافع . . ورد الباشا : شنو عبد القادر ماكو مدافع !

أما وزير دفاع سوريا الشرباتي فقال : إذا احتل اليهود القدس فسوف نخرجهم منها أونقتلهم فيها . . وأدرك عبد القادر حجم المأساة . . ومستوى من يحدثهم من قادة ووزراء فرمى بخريطة معه في وجوههم وقال :

أنتم خائنون ، أنتم مجرمون ، سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين ، سأحتل القسطل وسأموت أنا وجميع أخواني المجاهدين " .

وبالفعل استشهد البطل عبد القادر الحسيني في القسطل . . وسجل التاريخ بأن الزعامات التي تولت القضية متخاذلة وانها باعت قضية فلسطين المقدسة بثمن بخس .

تساقط المدن الواحدة بعد الأخرى

وكما سقطت القسطل ، ولنفس الاسباب ، بدأت المدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى تسقط في أيدي اليهود .

سقطت يافا المدينة الجميلة ذات الميناء المزدهر على ساحل البحر الابيض المتوسط ، أغني مدن فلسطين وأشهرها بتجارة البرتقال .

أنشأ اليهود حيا في يافا اسموه (تل أبيب) ، لم يتمكنوا من توسيعه في العهد العثماني . . ولكنه نما وكبر بعد ذلك وفي عام ١٩٤٧م كانت تل أبيب تتسع لأكثر من ٢٠٠ ألف يهودي ، وتسيطر على أهم وأخصب الاراضي حول يافا .

دافع الفلسطينيون عن مدينتهم دفاع المستميت . . وتدخلت قوات جيش الانقاذ اعتبارا من منتصف فبراير (شباط) ١٩٤٨م في القتال إلى جانب الشعب . .

قال مناحم بيغن قائد منظمة الأرغون في كتابه (الثورة) يصف القتال في يافا :
في الوقت الذي اندفعت وحداتنا لاحتلال الاستحكامات الامامية للعدو ، لعلع صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز شفندا وأخذ يحصد المهاجمين . لقد تخضبت الارض بالدماء . . وأخذت فرقة الاسعاف تنقل القتلى والجرحى ، لقد سقطوا بالعشرات . لقد فشل الهجوم الأول وهزمنا في الجولة الثانية . . هاجمنا المدينة خمس مرات رددنا فيها على أعقابنا . "

وفرض الانكليز هدنة ليلتقط اليهود انفاسهم . . وأذعنت قيادة جيش الانقاذ بل وانسحبت قواتهم من المدينة . . وبدأ اليهود يسيطرون على يافا ويذبحون كل من وصلت إليه أيديهم وفي ١٣ مايو (ايار) ١٩٤٨م وقبل دخول الجيوش العربية بيومين سقطت المدينة في أيدي اليهود . . بعد أن سقط في الميدان أكثر من ٧٧٠٠ بين شهيد وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين . وبنفس الطريقة سقطت حيفا في ٢٢ أبريل (نيسان) ١٩٤٨م ، وصفد في ١١ مايو (ايار) ١٩٤٨م ، وعكا في ١٦ مايو (ايار) ١٩٤٨م.

القائد حسن سلامة [1]

حسن سلامة هو أحد قادة الجهاد المقدس ، وكانت الهيئة العربية قد عينته لقيادة القطاع الأوسط الغربي ، وكان مقاتلا صلبا خاض ثورات فلسطين المتعاقبة عام ١٩٣٦م وعام ١٩٣٨م . . وهو الذي رتب عملية نسف القطار بين مدينتي اللد وحيفا الذي تسبب في مصرع أعداد كبيرة من الجنود البريطانيين . اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق . . ثم لجأ إلى سوريا واستمر يبحث عن ملجأ حتى وصل إلى ألمانيا

---

(١) من كتاب جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن (المرجع السابق) ص ٣٨٥ .

. . وفي عـام ١٩٤٥م هبط سرا من طائرة المانيـة في سـهل أريحا مع رفـيق له وثلاثة من الالمان ، ولم ينج هولاء من مخابرات الانكليز ، ونجا حـسن سلامة ومعه ألماني واحد من الاعتـقال حيث قـصد سوريا حـتى عاد إلى وطنه محـاربا وقائدا لقطاع يمتـد من يافا إلى وادي الضرار .

تولى هذا القائد الدفاع عن يافـا ، وكان شوكة خطيرة في جنب اليـهود ، حتى إذا وصلهـا قواد وقـوات لجنة دمشق العـسكرية غـادرها إلى القرى المحيطة ووصل بجنوده الفلسطينيين مرات عديدة إلى تل أبيب .

وعندما نفذت ذخائر العرب وتغلب اليهود على جـيش الانقاذ ، استمرحسن سلامة وبامكانات مـتواضعـة للغاية يناضل في بقـية القطاع حـتى جرح في ٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٨م ، وما كـادت جراحه تندمل حـتى واصل نضاله في منطقـة اللد والرملة ورأس العين . كانـت رأس العين منبعا مـائيا يروي مـدينة القدس ، حـرص العرب على احـتلاله والاحتفاظ به منذ بدأ القتال بعد قرار التقسيم ، وكان لاحتفاظهـم به أثر كبير على اليهود في القدس ، فقد عطشوا واضطروا إلى الحـــد من استعمال المياه وتوزيعها مقننة محددة . حاول اليهود مرات عديدة أن يستولوا على ذلك النبع . . ولم تسقط رأس النبع الاّ في العاشر من يونيو (حزيران) ١٩٤٨م بعد أن دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين .

وبينما كانت قوات فلسطين تدافع عن رأس النبع أصيب الـقائد حسن سلامة بشظية في رئته اليسرى . . أودت بحياته (رحمه الله) .

" مجزرة دير ياسين "

ودير ياسين قرية قريبة من الـقدس ، كانت أشبه بجزيرة صغـيرة في منطقة يهودية ، تفاهـم سكانها مع اليـهود أن تبقى قريتهم هادئة بدون قتـال . أمن الفلسطينيون لقوم من ميـزتهم الغدر . وفي ذات ليلة ذبحـوا كل من كان في القريـة من شبان وأطفـال ونساء

وشيوخ . . **ذبحوا أكثر من ٢٥٠ شخصا ومثلوا بهم تمثيلا شنيعا** ، من قطع الآذان والاطراف إلى بقر بطون النساء . . ثم ألقوا بهم في بئر القرية . . جرى ذلك في ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨م أمام سمع وبصر قوات الاحتلال البريطانية . ولقد أرادت القوات اليهودية من هذه الحادثة وأمثالها كمجزرة قرية ناصر الدين القريبة من طبريا والتي أحرق اليهود بيوتها وقتلوا جميع سكانها . . أرادوا أن يدب الرعب والفزع في قلوب الفلسطينيين فيتركوا بيوتهم ويهاجروا . . .

ذكر غلوب باشا [1] : " كان جنود الهاجانا يصرخون بمكبرات الصوت الموضوعة في السيارات التي كانوا يطوفون بها في القدس « طريق أريحا ماتزال مفتوحة اهربوا من القدس قبل أن تقتلوا ! » . . وأضاف غلوب باشا في مذكراته إن حوارا جرى بين ضابط بريطاني وآخر يهودي سأله الأول ألا تظن أن الدولة اليهودية الجديدة ستتعرض لمتاعب لكون عدد السكان العرب مساو لعدد السكان اليهود . . فأجاب : أبدا فهذه مسألة بسيطة ما هي الاّ مذابح معدودات . . ونتخلص منهم نهائيا . . " .

هجرة الفلسطينيين

ما حدث في دير ياسين وقرية ناصر الدين واللد والرملة وغيرها من مناطق فلسطين . . كان سياسة مقصودة تتفق والسياسة البريطانية والصهيونية المعدّة سلفا لتسليم أرض فلسطين أرضا بدون سكان . .

(في اكتوبر ١٩٣٠م نشرت المانشستر غارديان بيانا وقعه كبار الساسة البريطانيين منهم تشرشل وتشمبرلن ولويد جورج وغيرهم جاء فيه : " انه كان مفهوما لدى بريطانيا عند اصدارها تصريح بلفور أن يصبح اليهود أكثرية ساحقة في فلسطين .

---

(١) مذكرات غلوب باشا .

." أما زعيم الصهيونية الأكبر وايزمان فقد كتب في مذكراته يقول : لقد تعهدت لنا بريطانيا أن تسلمنا فلسطين خالية من سكانها العرب ، وكنا على وعد بتنفيذ ذلك عام ١٩٣٤م) . (١)

رغم كل ذلك القتل والحرق والتمثيل والتخويف من قبل الأعداء ، ورغم الوعود المعسولة من حكام الأنظمة العربية بالعودة السريعة إلى فلسطين ، فان الذين تركوا بيوتهم وما يملكون وهاجروا إلى المناطق المجاورة حتى آيار (مايو) ١٩٤٨م لم يتجاوز مائتي ألف مهاجر .

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن (المرجع السابق) ص ٤٣٣ .

الفصل الخامس والثلاثون

الحرب الرسمية ١٩٤٨ - ١٩٤٩م

وقيام اسرائيل

في الموعد الـذي حددتـه ، انسحبـت بريطانيا من فلسطـين في ١٥ أيـار (مايو) ١٩٤٨م ، وفور ذلـك أعلن اليهـود قيـام دولتهم اسـرائيل . واعتـرفـت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بهذا الكيان وبدأت الدول الأخرى تتسابق للاعتراف .

بالنسبة للدول العربيـة فقد توالت اجتماعات زعمائهم منذ صـدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧م . . وقـرّ أخيرا رأيهم على ضرورة تدخل الجيوش العربيـة . . والقضاء عـلى اليهود . . وإعـادة فلسطين إلى الحظيرة العـربية . أقر زعـماء العـرب ذلك بالرغم من جـميع النـداءات التي وجهـهـا لهم أهل فلسطين الذين كـانت تمثلهم الهـيـئـة العـربيـة العليـا والتي كـانت تطالب بتـدريب الفلسطينيين وتسليـحـهـم وامدادهم بالمال والعتاد . . وهم يتكفلون بالتالي باليهود . . كان الاتفاق بين حكومات دول الجامعة العربية ورؤساء جيوشـهـا ، أن يبدأ الزحفُ في مساء الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨م ، فـتلتقي الجـيوش السورية واللبنانيـة والعراقـية والاردنية جـميعـهـا لدي العفولة في وسط فلسطين ، ثم تواصل زحفـهـا مجتمعة لتقسيم تجـمعات اليهود ، وتصل إلى الساحل الفلسطيـنـي . وأن يزحف الجيش المصري نحو عـسقلان والمجدل ثم يتـقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الأخرى ، على حين يتقدم قسم من الجيش الأردني نحو رام الله والقدس متعاونين مع الأردنيين الذين يجب أن يحاصروها من الشمال والشرق . (١)

---

(١) نكبة بيت المقدس ٢ : ٣٤٢ ، جهاد شعب فلسطين (المرجع السابق) ص ٣٩٢ .

وأكثر الدول العربية التي اتخذ قادتها قرار الحرب كانت خاضعة لبريطانيا بصورة أو بأخرى . . أما الأردن الذي تولى ملكه عبدالله بن الحسين قيادة الجيوش العربية ، فكان على رأس جيشه الجنرال كلوب وأكثر ضباط قيادته كانوا من البريطانيين . . كما أن جميع القواعد العسكرية في الأردن كانت بيد بريطانيا . أما الحكومات التي تولت السلطة في هذه الظروف فكانت منسجمة غاية الانسجام مع المخطط البريطاني الذي يعمل على تقسيم فلسطين .

رئيس وزراء الأردن في هذه المرحلة كان توفيق أبو الهدى . . شارك في جميع الاجتماعات التي اتخذت قرار الحرب في اكتوبر وديسمبر ١٩٤٧م . ومع ذلك فقد كان على اتصال مباشر مع وزير خارجية بريطانيا أرنست بيفن ، يرتب معه شؤون ومستقبل فلسطين . جاء في كتاب (جندي مع العرب) الذي كتبه جلوب عن هذه المحادثات فقال :

" أجري توفيق باشا أبو الهدى محادثة سرية مع وزير الخارجية البريطانية السير أرنست بيفن في شباط (فبراير) ١٩٤٨م ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الانجليزية فرافقته كمترجم ، ولقد ذكر توفيق باشا أن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهى قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاد الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئا من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ومجلسهم النيابي ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات الهاجانا ، بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وأن النتائج حول نهاية هذا الموضوع ما زالت غامضة ولا بد من أن يقع أحد أمرين اثنين :

١- إما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الامم المتحدة ، فيحتلون فلسطين كلها حتى حدود نهر الأردن بالقوة .

٢- وإما أن مفتي فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد ، والمفتي

يعتبر بريطانيا ألد أعدائه وقد قضى مدة الحرب مع هتلر : كما أنه عدو الاردن ويعتبر نفسه المنازل الوحيد لجلالة الملك عبدالله .

ونتائج هذين الأمرين ليست من صالح الأردن ، ولا في مصلحة بريطانيا ، وكثيراً ما نتلقى في الأردن عرائض من الفلسطينيين تطالب بتدخل جيشنا لحمايتهم ، وليس لدينا مانع من تنفيذ ذلك بعد انسحاب البريطانيين . وكان المشروع أو الاقتراح الذي حمله توفيق أبو الهدى يتلخص في أن يدخل الجيش الاردني فلسطين غداة انتهاء الانتداب تحت ستار حماية فلسطين كلها ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربي ويضمه إلى شرق الأردن دون أن يشتبك مع اليهود اطلاقا ، وتعهد أبو الهدى بثلاث أمور : ألاّ يحتل الجيش الأردني غزة والجليل [١] ، والاّ يعتدى الجيش المذكور على اليهود بأي شكل والاّ يحتل شبرا واحدا من القسم الذي صدر قرار الأمم المتحدة بإعطائه لليهود".

ويقول جلوب بعد أن أنهى هذه الفقرات من حديث رئيس وزراء الأردن ..

" إني لأذكر حتى اليوم ، المستر بيفن وهو جالس في مكتبه بعد أن أنهيت ترجمة الحديث ، يرد على رئيس الأردن قائلا : « إن ذلك هو الحل الوحيد المعقول » ولم أرى بدا من أن أوضح للرئيس الأردني بأن الجيش ليس بمقدوره أن يحتل منطقة غزة والجليل ، فأيد الرئيس الأردني فكرتي ، أما المستر بيفن فقال : « إن هذا هو الحل الوحيد المعقول ، ولكن يجب الاّ تذهبوا إلى ابعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية » فأجاب الرئيس أبو الهدى « ليس لدينا هذه الامكانات حتى لو تمنينا ذلك ، وأن الأردن حسب معاهدته مع بريطانيا لن يتخذ أي خطوة ايجابية الاّ بعد مشاورة الحكومة البريطانية » ، فشكر بيفن أبو الهدى لوضوح موقف الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته " [٢] .

أما الخطة التفصيلية لدخول الجيوش العربية فقد ذكرها كلايتون

---

(١) الجليل الغربي كان من أراضي الدولة العربية حسب قرارات الامم المتحدة .

(٢) جندي مع العرب – كلوب باشا ص ٦٣ .

في تقرير رفعه لوزارة الخارجية البريطانية يقول : " وترى الاقتراحات التي صرح لي بها سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أنه عند اتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذا لقرار الأمم المتحدة ، تنسحب معها القوات الأردنية المعسكرة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الأنكليز الذين يعملون في جيش شرق الأردن استقالاتهم ويعتزلون العمل رسميا في الجيش على أن يبقوا في البلاد . ومما لا شك فيه أن الثورة ستشتد في فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومة الأردنية عن قرارها بزحف قواتها على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين ، ولا شك في أن الجيش الأردني مدرب تدريبا حسنا ، فمتى اخترقت قواته أراضي فلسطين فمن المعقول أن ينضم إليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الأردني .

مما تقدم تبين أن تنفيذ الشرط الأول من اقتراحات الرئيس الأردني لن يثير ريبة الدول العربية ، أما فيما يختص بالقسم الثاني من الاقتراح فيرمي إلى أنه كلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها إلى المملكة الأردنية ، وستعمل القوات الأردنية جاهدة في احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي ، وقد أكد لي سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أن القوات الأردنية ستتحاشى مهاجمة القرى اليهودية ، وانما ستقوم من وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع الشبهات عنها ، وأضاف إنه عندما يتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فإن الحكومة الأردنية ستقوم بالاتصال بزعماء اليهود في فلسطين لحملهم على تقديم الضمانات الكافية لعدم محاولة توسيع دولتهم أو الاغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم ، وهنا قلت له : " قد تحاول المملكة الأردنية في المستقبل الهجوم على سوريا ولبنان لتحقيق فكرة سوريا الكبرى الأمر الذي يخلق اضطرابات في هذه البقعة من الشرق " فابتسم سعادته وقال : " كيف لنا أن ننفذ هذه الفكرة ونحن خاضعون لنفوذكم وبيننا وبينكم معاهدة " .

رأيت قبل أن أختم حديثي مع الرئيس الأردني أن أسأله عما إذا كان قد عرض هذه المقترحات على صاحب الجلالة الملك عبدالله فقال : " وهل يحق لي أن أبدي اقتراحات أو أن أتحدث باسم صاحب الجلالة الملك عبدالله دون عرضها عليه " وعرضت على سعادته أن أدون مقترحاته كتابة وأن يذيلها بتوقيعه وأن ينص فيها على أن جلالة الملك عبدالله موافق عليها ، فلم يمانع في ذلك ، فدونتها فعلا ووقعها بامضائه(١)

وعلى ضوء هذه الاتفاقات السرية جرت مسرحية دخول الجيوش العربية الرسمية إلى فلسطين .

أول القرارات التي اتخذها الملك عبدالله قائد الجيوش العربية أن أعلن **حل جيش الإنقاذ وإلغاء منظمة الجهاد المقدس وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وأعلن أن نشاطات الهيئة العربية العليا لم تعد تمثل عرب فلسطين ، وأن ممثليها لا يحق لهم التكلم باسم الشعب . . .!** ووضعت خطة لابعاد الفلسطينيين عن ميدان الجهاد والسياسة وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم.

ومع ذلك وبعد بضعة عشر يوما من القتال سجل العرب على الجبهات المختلفة النتائج التالية :

(أ) على الجبهة المصرية : سيطرت الكتائب على **غزة وبئر السبع وبعض المستعمرات اليهودية في النقب** ، واتجهت في خطين واحد في اتجاه الخليل والآخر في اتجاه يافا . كما ساهمت القوات المصرية تدعمها قوات المتطوعين المصريين والليبيين و السوانيين والمغاربة في **حصار القدس الجديدة .**

---

(١) محادثات قام بها كلايتون رجل المخابرات البريطاني في مصر ورفعها إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١٤ ديسمبر ١٩٤٧م .

(٢) على الجبهة العراقية : استرد الجيش العراقي مدينة جنين الهامة ، كما احتلت كتائبه مستعمرة الجسر على اليرموك وسارت باتجاهين الاول باتجاه نابلس فطولكرم فقلقيليه ، والثاني في اتجاه مرج ابن عامر مشارفة مستعمرة العفولة .

(٣) على الجبهة السورية : سيطرت الكتائب السورية على **سمخ** وبدأت زحفها عبر اليرموك من جسر بنات يعقوب باتجاه طبريا .

(٤) على الجبهة اللبنانية : احتلت **الناقورة وقرية المالكية** ، واخذت تهيمن على **معابر الجليل الغربي .**

(٥) الكتائب الأردنية : احتلت **أريحا والقدس** ، واصبحت **القدس الجديدة** تحت سيطرة مدافعها . كما سيطرت على **طريق القدس الرملة** ، كما عسكرت احدى هذه الكتائب حول اللد والرملة .

وقبيل نهاية أيار (مايو) ١٩٤٨م كان الموقف العربي في أوجه ، فالطائرات العربية تغير بشدة على المستعمرات ، والفلسطينيون يبلون بلاء عظيما على كل الجبهات ، والجيوش العربية تكاد تحدق بتل أبيب . (١)

ولقد عبّر قائد الجيوش العربية (جلوب !) عن هذا الموقف فقال :

" لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل في ١٥ أيار (مايو) وزحفوا زحفا جيدا لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة " (٢)

---

(١) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية – قسطنطين خمار ص ١١٧ .

(٢) جريدة النهار اللبنانية – ١٩٥١/٥/٣٠م .

الهـــدنة الأولى

أمام هذه الانتصارات الرائعة التي سجلتها الكتائب العربية والفلسطينية بدأت بريطانيا وأمريكا تضغط على مجلس الأمن لاصدار قرار بوقف القتال للبحث عن وسائل سلمية لحلّ النزاع . وبالرغم من معارضة الشعوب العربية والجيوش العربية فقد قررت اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية قبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال . وعلى ذلك أعلنت الهدنة اعتبارا من ١١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨م ولمدة أربعة أسابيع .

يقول مؤرخ عربي كان يتولى منصبا قياديا في حرب فلسطين يصف تلك الهدنة : " ليس لي إلاّ أن أصفها بالجريمة الكبرى وهي أخف وصف يمكن أن توصف به موافقة الجامعة العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد أو شرط ، فقد وافق أعضاء اللجنة السياسية على أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي ألا وهو السماح بفك الحصار عن مدينة القدس وانقاذ مائة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم . وانني اعتبر جميع الدول العربية مسؤولة عن ذلك القرار الاسود الذي اتخذ في عمان . ." (١) .

فما الذي حققه العدو في هذه الأسابيع الأربعة ؟

* **جلبوا كل أنواع الأسلحة والطائرات التي تدفقت عليهم من جميع الدول .**

* **استأجروا عددا كبيرا من الضباط والطيارين المحترفين .**

* **استولوا على ميناء حيفا** . . الذي اخلاه البريطانيون ليتسلمه اليهود ، وبذلك انفتحت عليهم أبواب البحر ليستقبلوا المهاجرين والمسلحين والاسلحة عبر الميناء الكبير

ولقد صور هذه الحالة المأساوية القنصل الأمريكي في القدس الذي قال : " إن

---

(١) كارثة فلسطين ص ٢٠٣ .

قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم . . ." (١) .

كانت القدس الجديدة التي تضم مائة ألف يهودي محاصرة من جميع الجهات ، يشترك في حصارها المجاهدون الفلسطينيون ، وقوات الإخوان المسلمين المصريين بقيادة القائد أحمد عبدالعزيز والجيش الأردني وكانت على وشك السقوط لولا لعبة مجلس الأمن وفرض الهدنة .

أما العرب فقد فرض عليهم حصار محكم فلم يصلهم أي نوع من الأسلحة من أية جهة كانت .

أما هيئة الأمم ، فقد انتدبت الكونت فولك برنادوت ليقوم بدور الوساطة لحلّ القضية الفلسطينية ، فوضع في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٨م مقترحات للتسوية السلمية أبرز ما جاء فيها :

١- أن يقوم اتحاد عربي - يهودي ، بين الاجزاء المخصصة للعرب في فلسطين (بعد ضمها إلى شرق الأردن) وبين الاجزاء المخصصة لليهود .

٢- أن يكون كل منهما مستقلا في شؤونه الادارية والداخلية وسياسته الخارجية .

٣- أن يضم النقب إلى الجزء العربي (وقد كان بموجب قرار التقسيم مخصصا لليهود) .

٤- أن تضم القدس إلى الجزء العربي (وقد كانت بموجب قرار التقسيم دولية) .

٥- أن يكون لليهود في القدس بلدية مستقلة استقلالا ذاتيا .

---

(١) جهاد شعب فلسطين (المرجع السابق) ص ٤٠٦ .

٦- أن يضم الجليل الغربي أوبعضه إلى القسم اليهودي (وقد كان بموجب قرار اتقسيم من الجزء العربي) .

٧- أن تعتبر ميناء حيفا وأماكن تكرير البترول القريبة منها وكذلك مطار اللد ، مناطق حرة .

٨- الاعتراف بحقوق من غادر البلاد من عرب فلسطين ، في العودة إلى ديارهم دون قيد أوشرط ، مع استعادة ممتلكاتهم .

استئناف القتال

ورفض اليهود مقترحات برنادوت لأنها تنص على ضم النقب والقدس للعرب . . أما العرب فقد رفضوها لأنها تقوم أساسا على فكرة التقسيم . . لقد أدركوا الجريمة الكبرى التي ارتكبوها بقبولهم الهدنة . . الأمر الذي دفعهم لاستئناف القتال في ٩ تموز (يوليو) ١٩٤٨م .

فماذا وجدت الجيوش العربية ؟

وجدت تبدل الأحوال . . فأوضاع اليهود تحسنت في كل القطاعات ، السلاح توفر بكل الانواع ، المتطوعون المدربون يستقدمون باسلحتهم عبر ٧٥ مركزا للتدريب أقيم في انحاء أوروبا ، طائراتهم بدأت تغير على العواصم العربية كالقاهرة ودمشق وعمان . . زاد على كل ذلك :

* الاوامر التي صدرت للقوات العراقية للانسحاب من رأس العين وبعض مناطق مرج ابن عامر .

* وللقوات الاردنية للانسحاب من اللد والرملة بناء على أمر مفاجئ من جلوب باشا .

* وقوات جيش الانقاذ للانسحاب من انحاء الجليل الغربي . **وبعبارة أخرى فقد**

وجدت هذه الجيوش النتائج التي كان بعض مسؤولي العرب قد طبخوها مع قادة بريطانيا وأمريكا .

الهدنــة الثانية

في ظل هذه الظروف الصعبة قرر مجلس الأمن الدولي في ١٥ تموز (يوليو) ١٩٤٨م وقف اطلاق النار في فلسطين وايجاد حل سلمي لمشكلتها .

وافق اليهود على القرار . . كمرحلة لتثبيت مكاسبهم . وكذلك وافق حكام الدول العربية على القرار فقد كانت أوضاعهم متردية .

ولكن ماذا فعل اليهود في أعقاب هذه الهدنة ؟

* قتلوا برنادوت الوسيط الدولي في القدس في ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨م وكان يسعى لعقد معاهدة رودس بين إسرائيل والدول العربية . وقد اعترفت عصابة شتيرن (بقيادة شامير) باغتياله .

* تحركوا لفرض الامر الواقع في الجبهات المختلفة . . فعلى الجبهة المصرية راحوا يشنون الهجمات الشديدة منذ ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨م من اسدود غربا حتى عراق المنشية والفالوجة وجبال الخليل شرقا ، ومن المجدل شمالا حتى غزة وبئر السبع والعريش جنوبا .

وبذلك سقطت بأيديهم بئر السبع في ٢٢ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٤٨م والمجدل وعسقلان في ٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٤٨م وتم لهم احتلال كامل النقب ، كما تمكنوا من تصفية الجيوب الفلسطينية في الشمال . .

قرار مجلس الأمن ومباحثات رودس

أصدر مجلس الأمن بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨م قرارا يطالب الفريقين

أن يتفاوضا لإقرار الهدنة .

وافق العرب على القرار ، وعقدت مباحثات بين اسرائيل وبين الدول العربية كل على انفراد باشراف الدكتور بنش ممثل الأمم المتحدة وقد حل مكان برناردوت . . كانت محصلتها عقد هدنة سميت (بالهدنة الدائمة) .

* في ١٩٤٩/٢/٢٤م مع مصر وقد جرت المباحثات في رودس [١] .
* في ١٩٤٩/٣/٢٣م مع لبنان وقد جرت في رأس الناقورة الحدودية .
* في ١٩٤٩/٤/٤م مع الأردن وقد جرت في جزيرة رودس .

واثناء المفاوضات قام اليهود باحتلال الشقة الساحلية من النقب على خليج العقبة . وقد أحدثوا هذا الأمر الواقع لتكون حدودهم في اتفاقية الهدنة شاملة جميع النقب بما فيها ميناء أم الرشراش (إيلات) .

* أما سوريا وهي الدولة الوحيدة التي رفضت التوقيع على اتفاقات الهدنة . . فقام فيها انقلاب عسكري بقيادة حسني الزعيم في ١٩٤٩/٤/١م كان من أوائل أعماله التوقيع على اتفاقية رودس والتخلي عن الأرض المنزوعة السلاح في منطقة طبريا .

وبذلك اكتملت حلقات المؤامرة واعترفت معظم الدول باسرائيل وقبلت عضوا في الأمم المتحدة .

الأمم المتحدة في ١٩٤٨/١٢/١١م ، دعت إلى إعادة النازحين الفلسطينيين الراغبين في العودة والتعويض على من لا يرغب منهم بالعودة .

---

(١) وصف شرتوك هذا الاتفاق بانه أكبر حدث تاريخي في مستقبل اسرائيل .

لجنة التوفيق الدولية

قرار التقسيم أو التعويض رقم ١٩٤

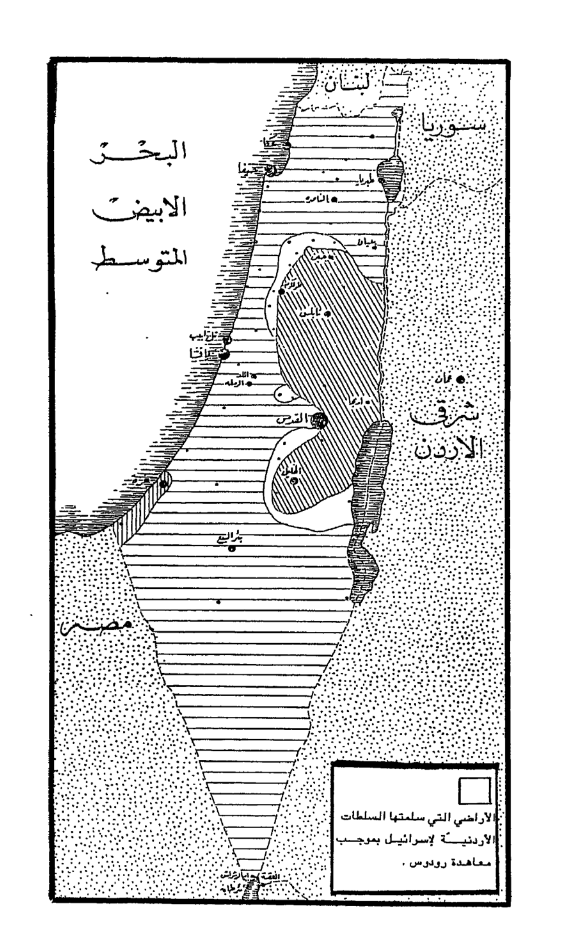
تألفت لجنة التوفيق الدولية استنادا إلى توصية صدرت عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى ١٩٤٨/١٢/١١ دعت إلى إعادة النازحين الفلسطينيين الراغبين فى العودة ، والتعويض على من لايرغب منهم بالعودة.

عقدت اللجنة اجتماعها الأول في جنيف ما بين السابع عشر من يناير وحتى ٢٧ نيسان ١٩٤٩م . واجتماعها الثاني في لوزان واستمر من ابريل (نيسان) وحتى تموز (يوليو) ١٩٤٩م . حضرت هذه الاجتماعات الأطراف العربية (سوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر) وحضرته اسرائيل . . وخلال هذه الشهور الطويلة دارت مناقشات عقيمة .

ومن يطلع على الرسائل (الاثنى عشرة) التي بعث بها (الياهوساسون) رئيس الوفد الاسرائيلي إلى وزير خارجية اسرائيل (موشيه شاريت) .. يصف له فيها صلاته بالوفود العربية ومباحثاته معهم ، وكيف يتحدثون معه بالسر بطرق مغايره لحديثهم بالعلن .. وكيف أن رجالهم الذين يسعون على حماية مصالح الدولة اليهودية منبثون في كل الدول العربية [١] .. ومن يطلع على هذه الرسائل يدرك المستوى المنحدر الذي وصلت إليه القيادات التي كانت تدير القضية الفلسطينيّة وتشرف عليها .

---

(١) نصوص هذه الرسائل في كتاب (من رودس إلى جنيف) عادل مالك ص ٦٣.



لبنان
سوريا
البحر
الابيض
المتوسط
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل ابيب
يافا
اللد
الرملة
اريحا
القدس
الخليل
بئر السبع
عمان
شرق
الاردن
مصر
العقبة
الاراضي التي سلمتها السلطات
الأردنيـّة لإسرائيل بموجـب
معاهدة رودوس .

الفصل السادس والثلاثون

حرب عام ١٩٥٦

بين مصر واسرائيل

خرجت الجيوش العربية الرسمية تجرجر أثواب الخيبة من فلسطين . وبعد أن كانت تعلن أنها ستدمر اليهود وتعيد فلسطين عربية حرة مستقلة إلى شقيقاتها العربيات وإلى شعبها المنكوب . . إذا بها تدرك أنها كانت جزءا من اللعبة السياسية التي خططت لها بريطانيا من خلال بعض حكام المنطقة .

فالجيش العراقي ينسحب من المعركة بدون مقدمات ، والجيش الأردني ينفذ تقسيم البلد باسم تحريرها ، والجيش السوري أو المصري تعبث به قيادته ، الأمر الذي أحدث ردات فعل شعبية عارمة تطالب بتصحيح الأوضاع والقضاء على الاسباب التي أدت إلى ضياع فلسطين .

وردات الفعل . . كما تكون صحيحة أحيانا . . تصاب بالانحراف أحيانا أخرى . وهذا للأسف الشديد ما حدث لكثير من موجات التغيير التي ركبها الفريق نفسه بعد تغيير الاقنعة عن وجهه .

معظم الانقلابات العسكرية التي حدثت في المنطقة كانت تعلن في بيانها الأول ، أنها إنما قامت للثأر ممن خانوا أو فرطوا في قضية فلسطين وما أن يستقر فرسانها في السلطة حتى يكملوا مسيرة أسلافهم سيئي الذكر .

البيان الثلاثي

أما اسرائيل فقد كانت إلى جانب انتشائها بالنصر الذي لم تتوقعه سهلا إلى هذا الحد ، خائفة من البحر الهائج الذي يحيط بها ، والذي ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض

عليها لاسترداد الكرامة والحقوق .

لهذا السبب فقد صدر البيان الثلاثي في ٢٥ مايو (أيار) ١٩٥٠م عن الدول الغربية الكبرى الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا والذي ينص على حماية اسرائيل والمحافظة عليها باعتبارها (أي الدول الغربية) تعمل للمحافظة على الأمن والسلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط . وأعلنت هذه الدول أنها تعارض استخدام القوة أو التهديد من قبل أية دولة في المنطقة ، كما انها ستعمل ما في وسعها لمنع أية دولة من نقض الهدنة أو تعديل خطوطها وكذلك عبرت عن معارضتها لأي سباق للتسلح من الدول العربية أو اسرائيل وأكدت أنه لن يسمح بتصدير أسلحة لهذه الدول الاّ لأغراض الدفاع .[1]

وهكذا ضمنت الدول الكبرى لاسرائيل وجودها . . وأقرت لها بجريمة اغتصابها لأرض غيرها . .

ولننظر إلى أي حد حافظت اسرائيل على الأمن والسلام في المنطقة.

* **قامت بمذبحة بيت جالا في ٦ يناير ١٩٥٢ .**
* **في ديسمبر ١٩٥٢** نسف اليهود قرية (أقرت) القريبة من الحدود اللبنانية . ولم يسمح لسكانها الهائمين على وجوههم باللجوء إلى القرى المجاورة مما اضطرهم للهجرة إلى لبنان .
* **في سبتمبر ١٩٥٣** دمّر اليهود قرية الريحانية وألقوا بأهلها على الحدود السورية .
* **في سبتمبر ١٩٥٣** دمّر اليهود قرية كفر برعم قرب الحدود اللبنانية .
* **مذبحة قبية** في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ ، حيث

---

(١) تاريخ العرب الحديث — د. أحمد عزت عبد الكريم ص ٤٧٥ .

نسفوا المنازل وفتكوا بالسكان .

* **مذبحة نحالين** في مارس ١٩٥٤ .

* في فبراير ١٩٥٥ تسلل الجنود اليهود إلى معسكر اللاجئين في قطاع غزة وسلطوا نيران رشاشاتهم على الآمنين العزل في خيامهم .

* في ١٩٥٦/٤/٥ سلط اليهود مدافعهم الثقيلة وقصفوا مدينة غزة .

* في ١٩٥٦/٩/٢٥ هجم اليهود على قرى حوسان داخل الحدود الأردنية وذبحوا أهلها .

* **مذبحة قلقيلية .**

* **مذبحة كفر قاسم .**

بهذا الاسلوب حافظت دول البيان الثلاثي على أمن المنطقة . والذي يعني بالطبع أمن اسرائيل .

وبهذا الاسلوب كذلك منعت الاسلحة عن الدول العربية بينما راحت تزود اسرائيل بأرقى ما لديها من أسلحة .

في هذه الفترة تبنت اسرائيل نظرية أمنية مفادها أن على اسرائيل أن تقابل الاستفزاز بالضرب . . وأن تكيل الصاع عشرة أمثاله . . فإذا تسلل فلسطيني عبر الحدود لزيارة أهله أو لاسترداد بعض متاع بيته أو حتى لقذف حجر أو رمي قنبلة على العدو الذي اغتصب بلده . . فإن اسرائيل على استعداد لتدمير القرية بكاملها . وبالفعل ففي السنوات الأولى من الخمسينات دمّرت اسرائيل ١٨٧ قرية تدميرا كاملا ، هدمت بيوتها وقتلت من استطاعت من سكانها .

العدوان الثلاثي على مصر

كما تجرب الاسلحة الحديثة في الميدان . . أو الأدوية الجديدة في أجساد العالم الثالث . . كذلك كان الأمريكان الذين تسلموا زعامة العالم الغربي بعد الحرب العالمية

الثانية . . يجربون نظرياتهم السياسية التي تتيح لهم تسلم خيوط السياسة الدولية على حساب فرنسا وانكلترا .

بدأت بالانقلابات العسكرية . . جربتها في سوريا بواسطة حسني الزعيم ثم تتالت الانقلابات في سوريا بمعدل انقلاب كل ستة أشهر . . كانت تفتش عن تجربة ناجحة للتعميم فوجدتها في انقلاب مصر الذي حدث في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (١) . بدأ جمال عبد الناصر يمارس اللعبة ذاتها ولكن باسلوب جديد ، فهو ضد حلف بغداد وضد الاستعمار القديم وأركانه فرنسا وانكلترا . . وكان ذلك للأسف الشديد لحساب الاستعمار الجديد (٢) .

ولم يستسلم الاستعمار القديم أو يرضى بالهزيمة ، فكانت معركة السويس ضد مصر ، هي المعركة التي قلبت صفحة نهائية لتحكم انجلترا وفرنسا بالمنطقة ، والتي بدأ فيها عهد أمركة الولاءات . (٣)

كان الصراع شديدا بين حلف بغداد الذي أبرم في ٤ شباط (فبراير) ١٩٥٥ والذي يضم في عضويته كلا من ايران وتركيا والباكستان وانجلترا ، والحلف الناصري

---

(١) يراجع في ذلك كتاب (لعبة الأمم – مايلز كوبلند) .

(٢) يذكر خالد محي الدين (أحد قادة ثورة يوليو) أنه ثبت أن عبد الناصر قد اتصل بالفعل بالمخابرات المركزية في مارس١٩٥٢ (المؤامرة على الإسلام مستمرة – جابر رزق) ص ١٣٦.

(٣) يراجع في ذلك كتاب لعبة السوفيات بمصر وخروجهم منها لبشير العوف . ينقل الكتاب خطاب جمال عبد الناصر في أعقاب خلافه مع الروس عام ١٩٥٨ ، يقول عبد الناصر : إن الاتحاد السوفياتي لم يؤيدنا الاّ بالبيانات والانذارات الكلامية ، وشكر أيزنهاور الذي فرض على فرنسا وبريطانيا واسرائيل الانسحاب من قناة السويس . كما يراجع كتاب (حرب السويس لهيكل) .

القومي الاشتراكي الذي كان يضم بالاضافة إلى مصر وسوريا بعض الدول الأخرى التي تسير في هذا الخط .

كانت اسرائيل بالطبع المستفيدة الأولى من هذا التصدع والتمزق في العلاقات العربية . . فاغتنمت الفرصة لتضرب ضربتها بالتفاهم مع أركان الاستعمار القديم بريطانيا وفرنسا .

العدوان الثلاثي في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦

* اسرائيل لم تحدد حدودها . .
* وبقيت احلامها التوراتية أهدافا ترنو إليها . .
* عام ١٩٤٧م استصدرت قرارا من الامم المتحدة بتأسيس الدولة اليهودية . . على انقاض فلسطين .
* عام ١٩٤٨ توسعت في أعقاب حربها مع الجيوش العربية وحصلت على أكثر من ضعف الأراضي التي قررها لها قرار الأمم المتحدة .
* في أوائل الخمسينات كانت ما تزال تمد نظرها نحو غزة لاحتواء كامل فلسطين . . " يقول بيغن عام ١٩٥١ لن يكون هناك سلام لا لإسرائيل ولا للعرب حتى في حال توقيع معاهدة ، حتى تتحرر كامل بلادنا (١) . "
* في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ اشتركت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي . .

فما هي الأسباب المباشره لهذه الحرب :

الأسباب غير المباشرة للحرب . . هي نقطة التحول التي حدثت في السياسات العالمية والتي انتقلت فيها زعامة العالم الغربي إلى الولايات المتحدة على حساب فرنسا

---

(١) مصدر الأزمة الخطيرة – ف ب لا ديكين ص ٢٥٤ .

وبريطانيا . . وعدم تسليم هذه الأخيرة بالأمر الواقع جعلها تدافع بقوة عن مكتسباتها السابقة والتي كان من أهمها قناة السويس . فبعد انقلاب عام ١٩٥٢ ومعاداة سياسة جمال عبد الناصر للانكليز وحربه لحلف بغداد وتصميمه على تصفية الاستعمار القديم ابتداء من الجزائر وانتهاء بعدن كل ذلك جعلهم (أي فرنسا وانكلترا) يتفقان على وضع حد لهذا التمرد ! . واتفقوا سرا مع بن غوريون ليبدأ الحرب ضمن سيناريو معد سلفا .

أما الأسباب المباشرة فهي اعلان جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس يوم ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٥٦ . فاغتنمت بريطانيا وفرنسا الفرصة . . واتفقوا مع الاسرائيليين سرا بأن يبدأوا بالهجوم لاحتلال كامل سيناء وقطاع غزة . . يتدخل بعدها الطيران البريطاني والفرنسي لاحتلال القناة والفصل بين المتحاربين . . قامت فرنسا بتزويد اسرائيل بكميات هائلة من السلاح (١٠٠ دبابة و ٣٠٠ عربة مجنزرة و ٥٠ ناقلة دبابات و ٣٠٠ شاحنة و ١٠٠٠ مدفع بازوكا وسرب من طائرات النقل و ٣٦ طائرة مستير) [1] لتنفيذ المؤامرة .

خطة اسرائيل

يقول دايان (وزير الدفاع) واصفا خطته في الحرب :

" إنني أقوم بكل هذه الإجراءات لكي أحقق المفاجأة ، إذ بالحصول عليها سنحقق نصرا عسكريا كبيرا ، إن لم ننجح في مفاجأة المصريين وضرب طائراتهم وهي رابضة على الأرض ستفشل خطتنا . . . إنني أرى أن مفتاح النجاح بعد تحقيق المفاجأة هو

---

(١) اسرائيل خنجر أمريكا – جيب مهتوجي ص ١٧١ .

السرعة . علينا أن ننهي المعركـة في أقصر وقت ممكن حتى نتفادى التعقيـدات السياسية مثل الضغط المنتظر من جـانب الولايات المتحدة الامريكية أو وصول مـتطوعين لمساعدة مصر علاوة على أننا من الناحية الواقعية لا نستطيع أن نواصل الحرب لأكثر من أسبوعين يجب خـلالهمـا أن ننتـهي من احـتلال سـيناء . . . سـوف نندفع في القـتال بصـورة لا تعطيهم فرصة للانتظام لاننا لن نتوقف بعد بدأ القتال الاّ عند أغراضنا النهائية " [1] .

قامت اسرائيل بالهجوم على قطاع غزة وصـفّت حساباتها مع الفدائيين الفلسطينيين الذين كانو يقضّون مضاجعها قتلت من وجدته وقامت بمذبحة جماعية في كفر قاسم ثم تقدمت في سيناء . وخلال الفترة من ١٩٥٦/١٠/٢٩ وحتى ١٩٥٦/١١/٢ استطاعت الإجهاز على كل القوة المصرية الموجودة في سيناء .

وبناء على الخطة المتفق عليهـا سلفا ، فقد وجهت كل من انجلتـرا وفرنسا انذارا إلى الاسرائيليين والمصـريين بوقف القتال وانسحـاب كل طرف مسافة ١٠ كيـلو مترات عن ضفتي القناة . . ولما رفضت مصر الانذار بدأوا بقـصف بور سعيد واحتلالها . . ومن ثم احـتلوا مـنطقـة القناة بكـاملهـا . وهنا تـدخلت أمـريكـا وبمـنتـهـى الجـدية والقـوة طالبـت الـدول المحتلة الثلاث بالانسحاب [2] .

وسجل عبد الناصر نصرا سياسيا .. وصار يحتفل كل عام بعيدالنصر !

وكانت الحقيقة أمـرا آخر . . فقد كان عبد الناصر يعرف ما تعـرفه اسرائيل من أن قواتها دحرت قـوات مصر فـي مدة قصـيرة وأن الطيران المصـري تحطم في المطارات . . وأن اسرائيل التي كانت الدولة المسخ أصبحت قوة حقيقية يخشاها الجميع .

---

(١) كيف يفكر زعماء الصهيونية – أمين هويدي ص ١٩١ .

(٢) يتحدث هيكل عن الموقف الصلب الذي وقفه ايزنهـاور من العدوان الثلاثي والذي حدا بعبد الناصر أن يشكره على موقفه وأن يقول أن تأييد الروس لنا مجرد كلام (في كتابه عن السويس) .

ولكن هل الموضوع النفسي هو كل ما كسبته اسرائيل من الحرب ..؟

" لقد حصلت اسرائيل على قرار من مجلس الأمن يقضي بوضع مراقبين دوليين في شرم الشيخ تأمينا للملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة ، وكذلك على طول خطوط الهدنة داخل الأراضي المصرية [1] . "

وبواسطة هذا القرار الخطير انفتحت البحار لإسرائيل واستطاعت بذلك أن تمتد إلى أفريقيا القارة البكر وإلى أنحاء العالم .

ويوم قرر عبد الناصر استرداد هذا الحق المسلوب عام ١٩٦٧ نشبت بسببه حرب ١٩٦٧.

---

(١) دراسات في تاريخ العرب الحديث – د. أحمد عزت عبد الكريم ص ٤٧٩ .

الفصل السابع والثلاثون

الكيان الفلسطيني ومنظمة التحرير

* في أعقاب إعلان بريطانيا في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م عن انتهاء انتدابها لفلسطين . . طالبت الهيئة العربية العليا بزعامة مفتي فلسطين الجامعة العربيّة باعلان دولة فلسطينيّة عربيّة على الفور ولكنّ الجامعة رفضت هذا الاقتراح .

* وبعد انتهاء الهدنة الأولى في التاسع من تموز (يوليو) ١٩٤٨م قررت الجامعة العربيّة إقامة إدارة فلسطينيّة مؤقّتة في المناطق التي تسيطر عليها الجيوش العربيّة ، وبقي المشروع حبرا على ورق .

* في سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨م قررت الجامعة العربيّة قيام حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي . . ولاقرار هذه الخطوة فقد انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في غزّة ، وقرر : استقلال فلسطين واعتبار القدس عاصمة الدولة . ولقد شارك المفتي الذي كان في مصر في جلسات المجلس رغم الحصار الشديد الذي كان مفروضا على تحركاته .

بقيت حكومة عموم فلسطين حبرا على ورق حتى عام ١٩٦٢م . ونتيجة لحسابات اقليمية وعالمية شكل الفلسطينيون في قطاع غزة اتحادا قوميا في ١٩٦٢/٣/٩ . وأعلن دستور مؤقت للشعب الفلسطيني الموجود في قطاع غزة . اشتمل الدستور على أربعة أبواب أهمها ما جاء في الباب الأول من أن قطاع غزة جزء من فلسطين . وهدف الاتحاد القومي استرجاع الأرض المغتصبة .

في ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٣ أقر مجلس الجامعة العربية هذه الاجراءات على أساس :

١- تقسيم الفلسطينيين أينما كانوا إلى دوائر تنتخب كل منها ممثلا

عنها .

٢- يجتمع الممثلون في مجلس وطني فلسطيني لانتخاب حكومة فلسطين .

٣- تنسق هذه الحكومة مع الحكومات العربية لتحرير فلسطين ، وعودة الفلسطينيين ، وتؤلف جيش التحرير الفلسطيني .

٤- وضع خطة عربية شاملة لاستعادة فلسطين .

هذا وقد عين مجلس الجامعة الاستاذ أحمد الشقيري ممثلا لفلسطين في مجلس الجامعة .

في مؤتمر القمة الأولى الذي عقد في القاهرة في ١٩٦٤/١/١٣ وافق الملوك والرؤساء على مقررات مجلس الجامعة الخاصة بفلسطين .

المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول

في منتصف أيار (مايو) ١٩٦٤ وبعد مرور ستة عشر عاما على احتلال فلسطين ، اجتمع عدد كبير من الفلسطينيين في مدينة القدس وأقرّوا في مؤتمرهم الوطني الأول :

١- الميثاق القومي الفلسطيني .

٢- النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفي ١٩٦٤/٦/٢ توصل المؤتمر إلى القرارات التالية :

١- انتخاب أحمد الشقيري رئيسا للمؤتمر وللمجلس الوطني .

٢- اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

٣- المصادقة على الميثاق القومي والنظام الاساسي .

٤- تدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الفلسطينيين بصورة إلزامية .

٥- تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وأخرى فدائية .

٦- العمل على طرد اسرائيل من المحافل الدولية .

٧- تعيين قيّم دولي على الأملاك والأموال العربية في القسم المحتل من فلسطين . .

ولقد وافق مؤتمر القمة العربي الثاني بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٠م على مقررات المجلس .

حـــركة فتـــــح

(١)

وهي الحركة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس .

ولا بد لمن يتحدث عن فلسطين من أن يفرد لفتح فصلا كبيرا بين أوراق القضية . فهي التي بعثت الفكرة حية بعد سبات طويل ظن معه الكثيرون . . أن قضية فلسطين انما أصبحت تاريخا يصلح لمجرد الذكرى أو الاعتبار .

بدأت الفكرة أوائل الخمسينات في غزة بين شباب الحركة الاسلامية من أمثال " سليم الزعنون وخليل الوزير وصلاح خلف " الذين كانوا يصرون على التحرك الجهادي من أجل تحرير فلسطين . . يقول أحد مسؤولي الحركة الاسلامية في غزة في ذلك الوقت [١] . .

" إن هؤلاء الشبان تقدموا بتقرير يتضمن تصورهم لانشاء حركتهم . . ولكن الاخوان لم يعيروا هذا التقرير أي اهتمام ، بل كان همهم منصبا على مقاومة واحباط هؤلاء الشبان . . وإلزامهم خط الجماعة العام من أن تحرير فلسطين يتم تلقائيا عندما تقوم دولة اسلامية في أي قطر من الأقطار المجاورة لفلسطين .

وأصرّ الشبان ، واستمر الاخوان في عدائهم لهذه البذرة الجهادية في أرض فلسطين . وانتقل بعض هؤلاء إلى مصر . . واستقطبوا مزيدا من العناصر من خلال اتحاد الطلبة الفلسطينيين ولقد استطاع ياسر عرفات طالب كلية الهندسة وصلاح خلف طالب الآداب السيطرة على اتحاد الطلبة في الانتخابات التي جرت عام ١٩٥٢ .

ومن القاهرة وغزة انتقل هؤلاء إلى الخليج إلى قطر والكويت . فقد كان الجو

---

(١) عبد الله أبو عزة في كتابه الإخوان في البلاد العربية .

السياسي في الكويت ملائما أكثر مما هو في مصر أو سوريا [1] . . يقول صلاح خلف : لقد اكتشفنا أنه في ذلك الوقت ، بين ١٩٥٨ و ١٩٦٢ كانت هناك حركة فلسطينية حيثما وجد تجمع فلسطيني ، فكان هاني الحسن على رأس مجموعة في المانيا وحمدان في النمسا وكوكبان في اسبانيا وعبد الفتاح في السعودية وأبو مازن وأبو يوسف في قطر وكنا نحن في الكويت ، وهناك آخرون كانوا يشكلون حركات في العراق وغزة ودمشق .

ولكننا نحن في مجموعة الكويت ، كنا الوحيدين الذين استطعنا أن نصدر مجلة فلسطيننا عام ١٩٥٩ من لبنان ، فعرفنا الناس قبل غيرنا بفضل هذه المجلة . أما الرجل الأول الذي بدأ فتح فهو أبو جهاد (خليل الوزير) . [2]

(٢)

حكومة عموم فلسطين التي أقرتها الجامعة العربية في سبتمبر ١٩٤٨م **برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي** انتهت بقرار كما بدأت . وبقي الأمر كذلك حتى سبتمبر ١٩٦٣م عندما أقرت الجامعة العربية إقامة (**الكيان الفلسطيني**) وهو اصطلاح تبناه العراق منذ عام ١٩٥٩م وقاومه دعاة القومية العربية على اعتبار أنه يرسخ التجزئة في الوطن العربي .

في يناير ١٩٦٤م دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى مؤتمر للقمة عقد في القاهرة وفيه وافق الملوك والرؤساء العرب على اقامة (**الكيان الفلسطيني**) وفي مؤتمر القمة الثاني **الذي عقد في ١٩٦٤/٩/١٠م وافقوا على قيام منظمة**

---

(١) المنظمة تحت الجهر – هيلينا كوبان ص ٥١ .

(٢) (المرجع السابق) ص ٥٣ .

التحرير كممثل للشعب الفلسطيني .

كـان الكيـان مرفوضـا عندمـا تبنـاه عبـد الكريم قاسم . . وأصبح مقبولا عندما تبناه جمال عـبد الناصر . وحتـى التجمعـات الوحدوية التـي كانت تعارض مثـل هذا الاتجاه عادت وأيدته . . ما دامت الشقيقة الكبرى (مصر) تؤيده !

وبينما كان الشقيري منهمكا بالتجوال بين المـهاجر الفلسطينية لحشد الدعم للمؤتمر التأسيسي لمنظمة التحرير المقرر في مـايو ١٩٦٤م ، هبت موجات النقد والتجريح لتلف جهوده . **كان أعلى هذه الأصوات المضادة صوت الهيئة العربية العليا لفلسطين وقائدها الحاج أمين الحسيني** الذي كـان مازال يتـحرك بـاسم فلسطين من منـفاه في لبنان . . فقد أصدرت الهيئة بيـانا بتاريخ ١٠/٦/١٩٦٤م وصفت الأمر بأنه مؤامرة صهيونية استعمارية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية [١] .

أما منظمة فتح الوليدة فقد كانت أكثر الجـميع انتقادا لمولود الجامعة العربية الجديد . ولربما تـصورت أن هذا الوليد جـاء في الوقت المنـاسب ليقطـع عليها الطـريق . . حاول فرسان فـتح أن يتفقوا مـع الشقيري وكانـت فكرتهم تـتلخص بأن تتـولى المنظمة تمـثيل القضية الفلسطينية سياسيا في المحـافل الدولية والعربية . . ويكونوا هم الذراع العسكري الفعّال . . ورغـم مـوافقة الشقيري علـى ذلك . . الاّ أن شدة ارتباطه بالأنظـمة وخاصة المصرية حال دون تحقيق هذا التفاهم .

من أهم انجازات قـيام منظمة الـتحرير . . اقامة جـيش التحرير الـفلسطينـي . . فقد استخدمته فتح عـندما سيطرت على جهاز منظمة التحـرير في تدريب كوادرها واعداد عناصرها الفدائية التى قامت بعملياتها المختلفة ضد العدو الصهيوني .

---

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٤م ص ١٠٢.

(٣)

مع انهماك فتح في البدء في الكفاح المسلح . . حاول (فرسانها) إقامة علاقات مع بعض الانظمة الثورية في المنطقة العربية . زاروا الجزائر بدعوة من رئيسها أحمد بن بللا . . محاولين الحصول على دعم عسكري . . ولكن علاقة بن بللا الحميمة بعبد الناصر حالت دون تحقيق ذلك . النظام الوحيد الذي كان على استعداد للمساعدة هو النظام السوري . . فقد كان المسؤولون السوريون يرون أن هناك مكسبا من تبني فتح كقوة فلسطينية توازن نفوذ منظمة التحرير في الساحة الفلسطينية باعتبار الأخيرة تابعة للنظام المصري .

(٤)

في ١٩٦٤/١٢/٣١م وفي مكان ما في الكويت قررت قيادة فتح البدء بعملياتها العسكرية . . على أن تنسب العمليات في البداية لمنظمة العاصفة (**وهي منظمة وهمية**) .

ذكر البيان رقم (١) الصادر في ١٩٦٥/١/١م ما يلي :

إلى شعبنا العظيم . . إلى أمتنا العربية المناضلة . . إلى الأحرار في كل مكان . وجاء في البيان : من شعبنا الصامد إلى النهاية ، ومن ضمير وطننا الجريح ، انطلقت طلائعنا الثورية المؤمنة بالثورة المسلحة طريقا للعودة والحرية لتؤكد للمستعمرين وزبانيتهم وللصهيونية العالمية ومموليها ، أن الشعب الفلسطيني باق في الميدان وأنه لم يمت ولن يموت [١]

في العملية الثانية التي قامت بها (العاصفة) قتل الفدائي (أحمد موسى) برصاص الجنود الأردنيين وهو عائد إلى الأردن بعد تنفيذ عمليته ، واعتقل الاسرائيليون فدائيا آخر هو (محمود حجازي).

---

(١) الوثائق العربية الفلسطينية ١٩٦٥م ص ٠١ .

هذه البداية المتواضعة . . كانت تمثل فلسفة فتح ، فقد كانت تعتقد :

١- أن الجيوش العربية غير متحدة ، ولا تستطيع مقاتلة اسرائيل .

٢- الضفة الغربية غير مأمونة عسكريا .

٣- الحلّ هو انشاء مجموعات قتالية في كل بلد عربي لمهاجمة اسرائيل .

٤- من خلال الفعل ورد الفعل . فإما أن تؤيدنا الحكومات العربية أوتقاتلنا .

فإذا ما قاتلونا : تؤيدنا الشعوب ، وعندما تؤيدنا الشعوب فالحكومات تكون مضطرة إما إلى تأييدنا أو مواجهتنا بشعوبهم . لقد أردنا أن نخلق مناخا تسود فيه روح النضال بحيث نكّون لديهم ارادة القتال .[1]

وهذا ما حصل بالفعل لمناضلينا حين نفذوا عملياتهم في اسرائيل وقتلتهم الجيوش العربية .

٥- كنا نعتقد أن الاعتماد على التنظيم الذاتي للفلسطينيين هو الوسيلة الممكنة للتحرير .

(٥)

في ١٧حزيران (يونيو) ١٩٦٥م وجّهت فتح مذكرة مفتوحة باسمها إلى يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة تطلب فيه اعتبار السجين محمود حجازي أسير حرب .

وجاء في المذكرة أن منظمة فتح بدأت عملياتها العسكرية داخل فلسطين المحتلة بصفتها القوات المسلحة للشعب الفلسطيني .

---

(١) المنظمة تحت الجهر (المرجع السابق) ص ٦٦ .

وفي سبتمبر ١٩٦٥م أرسلت فتح مذكرة عنيفة إلى مؤتمر القمة العربي الثالث احتجت فيه بشدة على الإجراءات العربية ضد الفدائيين وقالت : ترى الحركة ضرورة التوقف عن ملاحقة حركة التحرير في مختلف المدن العربية واطلاق سراح جميع المعتقلين ، ورفع الحظر الاعلامي المفروض على أخبار حركة التحرير ، وعدم التعرض لرجال الحركة .

(٦)

استمرت فتح في نموها البطيء . . وعملها الدؤوب . .

بينما كانت تتراكم الغيوم السوداء المنذرة بالحرب . . ويزداد التوتر بين اسرائيل والدول العربية طيلة عام ١٩٦٦م والنصف الأول من عام ١٩٦٧م . فهل أدركت اسرائيل مغزى المتغيرات . . وعجلت بالانفجار ؟!

لا نستبعد ذلك . ومع ذلك فقد أتاح الانهيار الذي حدث عام ١٩٦٧م لفتح أن تبرز . . وأن تتسلم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

(٧)

كانت حرب حزيران ١٩٦٧م بمثابة أختبار عملي أثبتت بواسطته فتح مصداقيتها . . فقد تحقق ما كانت تخشاه من نتائج مواجهة الجيوش العربية النظامية لاسرائيل .

لم تضيع فتح الفرصة . . بل تداعت قيادتها إلى اجتماع طارئ في دمشق في ١٩٦٧/٦/١٢م تتدارس إمكانية التحول إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية داخل فلسطين .

في ١٩٦٣/٨/٢٠م اتفقوا على استئناف العمليات الفدائية من داخل الضفة الغربية وقطاع غزة . وتسلل عرفات مع عدد كبير من أنصاره إلى داخل فلسطين واتخذ له مقرا في نابلس . . ثم تحول إلى رام الله . . كانت خطته تتلخص باقامة مراكز قتالية . .

وتدريب المتطوعين . . كان ردّ الفعل الاسرائيلي كالعادة في منتهى العنف . . هدّموا المنازل وفرضوا منع التجول وبدأوا يقبضون على الشبكة تلو الأخرى خاصة وأن النظام الأردني والمصري عندما انسحبوا من الضفة والقطاع تركت مخابراتهم معلومات كافية للعدو الاسرائيلي يهتدي بواسطتها للتعرف على العناصر الفدائية .. وهكذا في بداية ١٩٦٨م اضطر عرفات للتسلل مرة أخرى نحو شرقي الأردن تاركا خلفه ١٠٠٠ معتقل و ٢٠٠ شهيد .

وبالرغم من هذا الفشل الذريع الذي منيت به فتح في مخططاتها . . إلا إنه كان ينظر لها في طول البلاد العربية وعرضها أنها الجبهة الوحيدة التي تتصدى لإسرائيل .

بدأ الزعماء العرب يلملمون جراحاتهم ويتوارون خجلا من الجماهير التي خاب ظنها بهم . . أما قادة فتح فكانوا على عكس ذلك يتيهون على الآخرين فخرا . . فلم يكونوا – على أقل تقدير – مسؤولين عن هذه النكبة .

المنظمات الحزبيّة السياسية العربية والفلسطينية بدأت تحوّل نفسها إلى منظمات فدائية لتنقذ رأسها . . فحزب البعث صارت لديه منظمة الصاعقة . . والقوميون العرب تحولوا إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وهكذا .

(٨)
معركة الكرامة

بعد أن نجحت اسرائيل مع نهاية عام ١٩٦٧م في طرد أو اعتقال معظم خلايا الفدائيين في الأرض المحتلة . . بدأت تشن هجمات خاطفة على تجمعات الفدائيين في الضفة الشرقية للأردن .

في ٢١ آذار (مارس) ١٩٦٨م علمت فتح أن اسرائيل تحضّر لهجوم شامل على قرية الكرامة حيث تتواجد قيادات فتح . . ونصحت المخابرات الأردنية باخلاء المنطقة

ولكن فتح أرادتها رسالة عملية معبّرة لاسرائيل أولا وللأنظمة ثانيا .

وقع الهجوم المنتظر وزحفت أرتال من الدروع الإسرائيلية تدعمها طائرات الهيلوكبتر وقوات المشاة ويقدر عدد الجنود الذين اشتركوا في الحملة بحوالي ١٥ ألفا . مقابل ٣٠٠ مقاتل فدائي يدافعون عن البلدة .

وكانت معركة كرامة بالفعل . . **جرجر فيها العدو قواته بعد أن خسر من ٢٠ إلى ٣٠ قتيلا وأعداداً كبيرة من الجرحى .**

وما أن أذيعت أخبار هذه المعركة حتى تدفق المتطوعون على المنظمات .. وأصبح بالتالى العمل الفدائي عنوان العزة والكرامة ومحط رجاء الأمة ومعقد آمالها . وحتى على صعيد منظمة الشقيري فقد استقال سبعة من لجنتها التنفيذية وأراد الشقيري تسليم المنظمة إلى فتح . . وعندما رفضت فتح ذلك ، تولى يحيى حمودة رئاسة المنظمة بالوكالة . . وفي تموز (يوليو) ١٩٦٨م انعقد المجلس الوطني الفلسطيني الرابع في القاهرة فأقر الجميع مبدأ الصدارة للعمليات الفدائية ضد اسرائيل ، وتم تعديل الميثاق في هذا الإتجاه .

وفي المجلس الوطني الخامس الذي انعقد في القاهرة فرض الفدائيون سيطرتهم واختاروا **ياسر عرفات رئيسا للمنظمة واختير من فتح أيضا خالد الحسن (رئيسا للدائرة السياسية) وفاروق القدومي ومحمد يوسف النجار ليكونوا بين الأعضاء الخمسة عشر في اللجنة التنفيذية .**

وهكذا نحقق لفتح من خلال سيطرتها على منظمة التحرير :

١ - أن تكسب الالتزام العربي الرسمي الذي تتمتع به المنظمة . .

٢- أن تحافظ على فلسفتها وتفسيرها للقضية الفلسطينية واتصالاتها الخاصة بها مع دول عربية وأجنبية .

لم تعد فتح كما كانت سابقا مجموعة من المغامرين المشاغبين . . فقد وضعت يدها على المنظمة فكسبت شرعية رسمية من ناحية . . وصمدت أمام إسرائيل وملأت

الفراغ الذي حدث بسقوط الأنظمة من ناحية ثانية . . ولذلك فلا نستغرب أن يحرص حكام العرب على لقاء ياسر عرفات . . بل وأن تزين المجلات العربية أغلفتها بصور تضمه إلى الرؤساء العرب .

فعبد الناصر الذي كان يتخوف من فرسان فتح بسبب ماضيهم الإخواني . . استطاع أن يتأكد أنهم ابتعدوا عن هذه التهمة (!) فساعدهم ومكنهم من منظمة الشقيري ، وعرّفهم على الاتحاد السوفياتي وهكذا قامت صلات وثيقة بين فتح ومعظم البلدان العربية . . كما استطاعوا اقناع الملك فيصل(رحمه الله) بفرض جباية ضريبة التحرير من الفلسطينيين الذين يعملون في السعودية ، ولقد درت عليهم هذه الضريبة مبالغ في حدود ٥٠ – ٦٠ مليون ريال سنويا .

(٩)
اتفاقية القاهرة

في لبنان أكثر من ٣٠٠ ألف فلسطيني ، وهم تحت الهيمنة الشديدة للمكتب الثاني اللبناني . ومع تزايد التأييد الذي محّضه المسلمون اللبنانيون للفدائيين ، حدثت اصطدامات عنيفة بين الفدائيين والسلطات اللبنانية خلال عامي ١٩٦٨ – ١٩٦٩م . . بعد نسف اسرائيل ثلاث عشرة طائرة عربية في مطار بيروت ردا على اختطاف طائرة اسرائيلية إلى الجزائر . . حدثت أزمة وزارية خطيرة اضطر معها اللبنانيون إلى توقيع ما عرف باتفاق القاهرة بين عرفات وقائد الجيش اللبناني أميل لحود . . أصبح بموجبها الفلسطيني في لبنان يخضع فقط إلى قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني . . وأصبح للفلسطينيين منطقة تسمى (أرض فتح) لا سيطرة لأحد عليها غير المنظمة .

(١٠)
أيلول الأسود

الفصل الأكثر إيلاما الذي تعرض له العمل الفدائي كان في الأردن . في البلد الذي أكثر سكانه من الفلسطينيين . والذي كان يتصوره الجميع الرافد الأساسي للعمل الفدائي الذي يعمل لتحرير فلسطين .

والفصل المأساة الذي اصطدم فيه الجيش الأردني بالعمل الفدائي . . لم يكن الفدائيون وحدهم ولا الأردن وحده المسؤول عنه . . بل كل الدول والقوى الموجودة في المنطقة كانت تعد المسرح لمثل هذا الفصل .

كانت للمنظمات الفلسطينية آراء مختلفة :

* **الجبهة الشعبية وهي** امتداد لحركة القوميين العرب ترى اسقاط حسين فهو رجعي وعميل الامبريالية .
* **والجبهة الشعبية الديمقراطية** ترى اقامة مجالس للعمال والفلاحين على غرار الاتحاد السوفياتي ولا يتم ذلك الاّ بتغير القيادة السياسية في الأردن .
* **والصاعقة** تتبع البعث السوري .
* **وجبهة التحرير العربية** تتبع البعث العراقي .
* وأخيرا فتح ، الوحيدة التي كانت ترى عدم التدخل في شوون الدول الأخرى ، وإن كانت هي ذاتها قد جرفها التيار .

وحانت الساعة . . عندما قامت الجبهة الشعبية بتاريخ ١٩٧٠/٩/٦م باختطاف عدد من الطائرات المدنية إلى الصحراء الأردنية أو مطار الثورة كما أطلقت عليه وأحرقت هذه الطائرات .

وقيل كذلك أن الملك حسين تعرض لمحاولة اغتيال . . والمراقبون يعتقدون أن ذلك كله كان من قبيل اعداد المسرح للصدام .

ولننقل من مذكرات كيسنجر [1] بعض ماجاء فيها حول هذا الموضوع :

إن محاولة اغتيال الملك حسين أتاحت الفرصة (لكيسنجر) لكي يخطط دورا حاسما للولايات المتحدة في التطورات المستقبلية في الأردن . ففي ٩ حزيران ١٩٧٠م دعا مجموعة واشنطن للعمليات الخاصة المناط بها معالجة الأزمات إلى اجتماع ، وكلفت بالعمل خلال الاسبوعين التاليين على إخلاء المدنيين الأمريكيين من الأردن ، وإعادة النظر بالخطط الموضوعية لهذا الأمن ، بالاضافة إلى خطط أخرى غير معلنة للطوارئ .

ويستمر كيسنجر في رواية الأحداث فيقول :

إن مجموعة واشنطن أجازت خطتين متباينتين للطوارئ بهدف التدخل الدولى لفض الأزمة الأردنية :

الخطة الأولى : تقضي بتدخل القوات الأمريكية لضمان سلامة المدنيين الأمريكيين . بينما تتولى اسرائيل ردع أي تحرك سوري أو عراقي لمساعدة الفدائيين .

الخطة الثانية : وتقضي بالتدخل العسكري الأمريكي المباشر لإنقاذ الملك حسين .

وفي نهاية الاسبوع الثاني من أيلول (سبتمبر) سواء بسبب استعداداتنا أو لأنه بلغ نقطة اليأس ، حزم الملك أمره على مواجهة كاملة مع الفدائيين . وقامت قوات البدو الموالية للملك بالهجوم على مواقع الفدائيين وعلى مخيمات اللاجئين في أنحاء العاصمة عمّان .

في ٩ أيلول ١٩٧٠م بعثت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير برقية عاجلة إلى الملوك

---

(١) مذكرات كيسنجر ١٩٧٩م ص ٥٩٦ .

والرؤساءالعرب المجتمعين في القاهرة في مؤتمر طارئ لبحث الأزمة في الأردن جاء فيها :

إن اللجنة المركزية تدعوكم إلى تحمل مسؤولياتكم التاريخية والقومية حتى لا يتحول الأردن إلى أنقاض بفعل هذه المؤآمرة الدنيئة .

وبعثت القمة العربية لجنة مصالحة برئاسة الرئيس جعفر النميري والشيخ سعد العبد الله الصباح ، لكن اتفاقيات وقف اطلاق النار المتعاقبة التي توصلت اليها اللجنة لم تصمد ، ذلك أن تصرفات الملك حسين وكيسنجر والاسرائيليين بالاضافة إلى ممارسات الجبهة الشعبية قد أججّت التوتر إلى درجة لم تترك مجالا للتسوية . ومع ذلك وفقت لجنة المصالحة في اصطحاب ياسر عرفات معها إلى خارج الأردن .

في هذه الاثناء كان للعراق في الأردن قوات قوامها ١٧ ألف جندي ومع ذلك فلم يتدخلوا في الأحداث . يوم ١٨ سبتمبر بدأت القوات السورية تعبر الأردن من الشمال .

يقول كيسنجر : أبلغت رابين المعلومات الواردة من الأردن . وأخبرته بأننا ننظر بعين الرضى إلى أي هجوم جوي اسرائيلي ونحن مستعدون لتعويض أي خسائر .

وفي اليوم التالي ، فيما الجيش الاسرائيلي ووحدات القوة الجوية كانوا يواصلون استعداداتهم للتدخل في الأردن ، دفع الملك حسين بدروعه وقواته الجوية إلى المعركة ضد تجمعات الدبابات السورية قرب إربد ، ولما لم يكن للدبابات السورية غطاء جوى اضطرت في نهاية النهار إلى التقهقر إلى الجانب السوري من الحدود الدولية . أما الفدائيون الذين وجهوا على غير جدوى نداء إلى الوحدات العراقية يوم ١٩٧٠/٩/١٧م لنجدتهم ، فقد تركوا يواجهون مصيرهم لوحدهم . وبعد هزيمتهم في عمان جمعوا قواتهم لعدة أشهر في التلال والغابات في شمال البلاد . ولكن قوات الملك حسين تمكنت في الصيف التالي من القضاء عليهم . كانت محصلة القتلى من الفلسطينيين المدنيين والعسكريين ٣٠٠٠ شخص ، بينما تحوّل عدد من

مخيمات اللاجئين إلى أنقاض .[1]

كانت أمام الفدائيين مجموعة أسئلة

* لماذا امتنعت القوة الجوية السورية من تقديم غطاء جوي للدبابات السورية . . .؟

* ثم لماذا لم تتدخل القوات العراقية في الأردن لصالحهم . .؟

ولو عادت فتح إلى منطلقاتها الاساسية لوجدت الأجوبة :

* **بأن لا يعتمدوا الا على انفسهم ،**

* **وأن لا يتدخلوا في الشؤون الداخلية للبلدان العربية .**

كانت أيلول الأسود . . من افرازات الحرب المدمرة التي قام بها الجيش الأردني ضد الفلسطينيين . تولى مسؤولياتها : صلاح خلف ومحمد داوود عودة وعلي حسن سلامة . . قامت هذه المنظمة بمجموعة من الاغتيالات والأعمال الأرهابية ضد عناصر أردنية واسرائيلية في مختلف البلدان كان من أهمها قتل رئيس وزراء الأردن وصفي التل [2] والفريق الرياضي الاسرائيلي في ميونيخ .

---

(١) مذكرات كيسنجر ١٩٧٩م ص ٥٩٦ .

(٢) المرافعة التي ألقاها أحمد الشقيري يدافع عن الشبان الذين قتلوا وصفي التل رئيس وزراء الأردن في القاهرة نشرت كاملة في كتاب تحت عنوان : إني أتهم .

(١١)

جريمة الفردان

وفي نيسان (ابريل) ١٩٧٣م نجح الاسرائيليون بالرد فقد نزلت قواتهم على شاطئ بيروت وتسللت إلى داخل المدينة لتقتل عددا من قادة فتح : كمال عدوان ومحمد يوسف النجار (وزير خارجية المنظمة) وكمال ناصر (الناطق الرسمي باسم المنظمة) .

(١٢)

السلطة الوطنية فوق الأرض المحررة

إن المرارة التي تجرعتها المنظمات الفدائية في أعقاب احداث الأردن . . جعلتها تتأكد من أن دولة عربية واحدة لا يمكنها الاعتماد عليها . . وأن مجرد وجود الفلسطينيين في أي بلد عربي يحرمهم من ٨٠ إلى ٩٠٪ من حريتهم أو استقلال قرارهم . **من هنا فقد قفزت فكرة السلطة الوطنية وضرورة اقامتها على أية بقعة يمكن تحريرها من فلسطين** . لم يكن سهلا القبول بهذه الفكرة . . ولكن منظمة فتح ألحت في طرحها وأقنعت عددا من المنظمات في تبنيها . . يقول خالد الحسن" إن هذه السلطة الوطنية سوف تتيح لجماهيرنا في سوريا ولبنان أن ترسخ وتنظم وتدعم الكفاح للعودة إلى وطنها وتشن أيضا حرب تحرير وطني طويلة مهما استغرق ذلك من وقت " [(١)] .

ولقد وافق المجلس الوطني الثاني عشر المنعقد في القاهرة في مطلع عام ١٩٧٤م على البرنامج المؤلف من عشر نقاط الذي تقدمت به فتح والديمقراطية الذي تضمّن مثل هذا التغيير الأساسي في

---

(١) الوثائق الدولية ١٩٧٤م ص ٤١١ .

الاستراتيجية الفدائية .

ولم يمر هذا التعديل بسهوله فقد عارضته عدة منظمات على رأسها الجبهة الشعبية وشكل هؤلاء " جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية " أو جبهة الرفض .

هل كان ذلك مقدمة لحضور عرفات مؤتمر القمة المزمع عقده في الرباط في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م التي وصفها السياسيون بأنها " حرب لتحريك الوضع السياسي " . . ؟ لا نستبعد ذلك .

المهم أن عرفات حمل مشروعه معه إلى الرباط . . ورحب به وبتنازلاته الملوك والرؤساء العرب ، وأصدر المؤتمر قرارا ينص على أن المنظمة هي الممثل **الشرعي والوحيد** للشعب الفلسطيني .

وفي الوقت الذي بدأ الملك حسين يندب حظه وينتظر الفرصة المناسبة . . فإن تنازلات عرفات حملته إلى الأمم المتحدة ليخاطب العالم من منبرها . . ولتحصل منظمة التحرير على صفة مراقب لدى الهيئة الدولية .

(١٣)

المنظمة تغوص في الرمال اللبنانية

في أعقاب خروج المنظمة القسري من الأردن ، نقلت نشاطاتها إلى لبنان . ولم تمض سوى فترة بسيطة حتى أصبح جنوب لبنان القاعدة الرئيسة للعمل العسكري الفلسطيني . وقد شكل هذا التواجد حلا للمنظمات الفلسطينية . .

١- فهي تتحرك بسهولة ويسر في أرض أعطتها (اتفاقية القاهرة) حرية الحركة فيها . .

٢- وهي تواجه من موقعها هذا الأرض المحتلة مما يسمح لها بالتحرك ضد العدو ،

٣- وهي في تواجدها وتحركها تتمتع بتأييد المسلمين الذين يشكلون

الاكثرية الساخطة في التركيبة اللبنانية التي يتحكم فيها المسيحيون وخاصة الموارنة (حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان) .

الحرب الأهلية اللبنانية

بدأت الحرب الأهلية اللبنانية في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٥م ، وهو اليوم الذي قيل فيه أن مسلحين مجهولين فتحو النار على الشيخ بيار جميل رئيس حزب الكتائب اللبناني ، فرد المسلحون النصارى بضرب حافلة ملأى بالطلبة الفلسطينيين كانت تمر من حي مسيحي .

ومن هنا بدأت . .

بعد درس الأردن كانت منظمة فتح حريصة كل الحرص على عدم التدخل في شؤون لبنان . . ولكنها وجدت نفسها وجميع الفلسطينيين في أتون المعركة . . هل كان ذلك صدفة . . ؟

١- في الأشهر الأولى كان القتال يدور بين مليشيات الكتائب وقوات جبهة الرفض ومنظمة الصاعقة التي تدعمها سوريا بينما حرصت فتح على الابتعاد . كان الكتائبيون يتذرعون بحجة أن الفلسطينيين أخلّوا بالمعادلة اللبنانية والتوازن السكاني **ولا بد من خروجهم من البلد** .

٢- في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦م اقتحم الكتائبيون مخيما فلسطينيا في ضبيّة إلى الشمال من بيروت ، وبعد خمسة أيام سقطت الكرنتينا (وهي ضاحية فقيرة أكثر سكانها من المسلمين والفلسطينيين حوالي ٣٠ ألف) ، كما احكموا الحصار حول مخيمي جسر الباشا وتل الزعتر .

تسارع الأحداث واتضاح المخطط والعزم على تصفية الفلسطينيين اضطر فتح إلى التحرك ونقل قواتها من الجنوب إلى محيط المخيمات .

هذه الأحداث استدعت ثلاثة أمور أخرى هيأت المناخ للحرب اللبنانية :

أولا : انضمت القوات الفلسطينية إلى القوات الوطنية (بقيادة جنبلاط) فاحتلوا الدامور (مقر شمعون) .

ثانيا : انشقت قوات الجيش اللبناني بقيادة أحمد الخطيب الذي شكل ما يسمّى جيش لبنان العربي .

ثالثا : قدوم بعثة سورية برئاسة عبد الحليم خدّام للتوسط في الصراع اللبناني .

كانت سوريا - لأسباب كثيرة - معنية مباشرة بالأحداث من أجل :

أولا : السيطرة على الورقة اللبنانية بكل أبعادها .

ثانيا : السيطرة على الورقة الفلسطينية من خلال تحكمها بالساحة اللبنانية .

ثالثا : الدخول إلى طاولة مباحثات الشرق الأوسط بأكبر كمية من الأوراق المؤثرة . .

ومن أجل ذلك فقد :

* قطعت سوريا علاقتها مع **حركة جنبلاط** . . بل وقتلته في وقت لاحق (١٦/٣/١٩٧٧م).
* تقربت من **الجانب المسيحي** . . وإذا بها تُستدعى رسميا من قادة الموارنة للتدخل . .
* بدأت تمارس سياسات متباينة لاشعار الآخرين بضرورة وجودها .

(دخلت القوات السورية ، التي ضربت حصارا محكما حول معقلين للفلسطينيين والمعارضة اللبنابية أحدهما يمتد من بيروت جنوبا ، وثانيهما حول طرابلس في الشمال . وفيما عطّل السوريون هذه القوات ، انطلقت الميليشيات المسيحية في بيروت تقتل وتفتك ، واستفادت اسرائيل من الأوضاع فافتتحت في ٢٤/٦/١٩٧٦م أول نقطة

للعبور على الحدود مع اسرائيل وذلك لأول مرة منذ عام ١٩٤٩م .) [١]

بدأت قوات الكتائب بتصفية الجيوب الاسلامية :

١- في النبعة وهي حي شيعي كبير ، سقطت يوم ١٩٧٦/٨/٦م .

٢- جسر الباشا وهو مخيم فلسطيني صغير ، سقط يوم ١٩٧٦/٧/٤م .

٣- تل الزعتر وهو مخيم فلسطيني كبير سقط يوم ١٩٧٦/٧/٤م .

(كان حصار تل الزعتر ثم سقوطه تجربة دائمة الأثر في الحركة الفدائية لأنها جسدت للأجيال الفلسطينية الجديدة ذلك النوع من الرعب الذي خبره اسلافهم على يد جماعات الأرغون التي قادها بيفن في الأربعينات . ولكن القتلة هذه المرة ، كما في الأردن قبل ست سنوات ، كانوا من اخوانهم أبناء جلدتهم) . [٢]

في الوقت نفسه مالت القوات السورية على القوات الفلسطينية والوطنية في جبال المتن الأعلى حيث كانت تهدد القوات الكتائبية . . فاضطرتها للانسحاب .

بعد هذا الانقلاب في ميزان القوى ضد الفلسطينيين والمسلمين في لبنان اجتمعت في الرياض قمة مصغرة بتاريخ ١٩٧٦/١٠/١٦م وضعت الشروط التالية للتسوية في لبنان :

* تتحول القوات السورية إلى قوات ردع تكون بامرة الرئيس اللبناني الياس سركيس .
* احترام القوات الفلسطينية للأوضاع اللبنانية الداخلية ، [٣] واحترام

---

(١) المنظمة تحت المجهر (المرجع السابق) ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤.

(٣) يراجع في ذلك كتاب المخيمات الفلسطينية (معاناة وصمود) - اصدار الرابطة الاسلامية لطلبة فلسطين - جامعة الكويت ١٩٨٥م.

اتفاقية القاهرة بالنسبة للفلسطينيين .

وهكذا دخلت القوات السورية بموافقة قادة الموارنة ، ثم هي اليوم بتكليف من الجامعة العربية !!

(١٤)

الدورة الثالثة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني

بدأت معالم جديدة للقوى المختلفة في لبنان .

فالقوات السورية التي صار اسمها قوات الردع تسيطر تقريبا على جميع انحاء البلاد . باستثناء :

١- الجيب الكتائبي في بيروت الشرقية .

٢- المنطقة جنوب الخط الأحمر الذي حددته اسرائيل واحترمه الجميع في جنوب لبنان .

والقوات الاسرائيلية بدأت تتحرك مع عملائها المحليين لاقامة مراكز قوة جديدة في جنوب لبنان ، ففي شهر اكتوبر ١٩٧٦م تحركت الميليشيات اللبنانية بقيادة الرائد في الجيش اللبناني سعد حداد فاحتلت ثكنة الجيش في مرجعيون . وهي قرية أغلب سكانها من المسيحيين . وسيطرة حداد على المنطقة قطع الطريق بين موانئ الجنوب وبين قواعد الفدائيين في منطقة العرقوب إلى الشرق . معظم سكان الجنوب من المسلمين الشيعة المتحالفين مع الفلسطينيين .

بدأت اسرائيل تتحرك بين السكان ، فتقربت في البداية إلى الموارنة ثم إلى بقية السكان الشيعة . . الأمر الذي أخل بالتأييد شبه الكامل الذي كانت تتمتع به منظمة التحرير . وهكذا استطاعت اسرائيل أن تقيم جيبا مؤيدا لها بزعامة سعد حداد إلى الجنوب من الخط الأحمر المتفاهم عليه .

أما قوات الفدائيين فما زالت قوية تتمتع نسبيا بحرية الحركة في اطار اتفاقية

القاهرة التي أكـدت الالتزام بها كل القـمم العربية التي عـقدت في هذه المدة . في هذه الظروف عقد المجلس الوطني دورته الثالثة عشرة .

وقـد أقـرّ برنامـجا سيـاسيا مـن ١٥ نـقطة : شجبت القـرار ٢٤٢ ، ودعت إلى اقـامـة دولة وطنيـة مـستـقلة على تـراب الوطـن ، ودعت إلى استـمرار سياسة التحرك نحو المفاوضات السلمية ما امكنها ذلك .

(١٥)

مـبادرة السادات

(كان الفلسطينيـون يظنون أن السادات يجـادل الحكومة الامريكيـة نيابة عنهم من أجل دور للمنظمة في جنيف . لكن الواقع أن السادات كان قد استجاب لاقتراح الملك الحسن ملك المغرب ببدء محادثات مباشرة بين مصر واسرائيل في المغرب . . فلما أعلن السادات يوم ١٩٧٧/١١/٩م أنه مستعد للسفر حتى إلى الكنيست الاسرائيلي سعيا إلى السلام مع اسرائيل . . وأخـفق في إقناع شريكه في حرب اكتـوبر الرئيس حافظ الأسد بالانضمام إليه في مبادرته . . مضى في طريقه دون أن يعير أدنى اهتمام لأية معارضة من الفلسطينيين أو من غيرهم وتمت الزيارة يوم ١٩٧٧/١١/١٩م.

في ١٩٧٧/١١/١٢م أصدر ياسر عرفات والأسد بيانا مشتركا شجبا فيه هذه الخيانة بحق الأمة وفي اليوم التالي ردّ السادات باغلاق مكاتب المنظمة وأجهزة البث في إذاعة صوت فلسطين من القاهرة .

في ١٩٧٧/١٢/٢ اجتمـع رؤساء ليـبيا وسـوريا والجـزائر وعدن والـعراق وياسـر عـرفات في طرابـلس وشكلوا جبـهـة مـعارضـة لمصـر سميت " **جبـهـة الصـمـود والتـصدي** " . وبذلك اضطرت المنظمة إلى التحالف مع سوريا . . ولقد أثر ذلك على

مستقبل وجودها في لبنان .

(١٦)

اجتياح جنوب لبنان

في صباح يوم ١١ آذار (مارس) ١٩٧٨ قامت مجموعة من ثمانية فدائيين تابعين لفتح بركوب البحر بقيادة فتاة تدعى دلال المغربي ونزلوا على الساحل الرئيسي في اسرائيل حيث اختطفوا حافلة مليئة بالركاب واقتادوهم إلى تل أبيب ، وبعد مطاردة عنيفة مع قوات الأمن قتل ٣٧ شخصا بينهم ٦ من الفدائيين .

بعد ثلاثة أيام من حادثة دلال المغربي . . اجتاح ٢٥ ألف جندي اسرائيلي جنوب لبنان ، الأمر الذي أسفر عن تدمير عشرات القرى وعن مقتل ٧٠٠ لبناني وفلسطيني .

وأجاب عرفات عن سبب عملية دلال المغربي فقال :

* ماذا فعلنا بعد حرب ١٩٦٧ ؟ اشتبكنا مع العدو عسكريا ونفسيا حتى تم بناء الجيوش العربية . اننا الآن نلعب الدور نفسه . يجب أن نبقي المنطقة ملتهبة) .[١]

القـــــرار ٤٢٥

في ١٩ مارس ١٩٧٨ اتخذ مجلس الأمن القرار ٤٢٥ الذي دعا إلى انسحاب القوات الاسرائيلية فورا ، وتشكيل قوة دولية لارسالها إلى جنوب لبنان . وبالفعل فقد سلّم الاسرائيليون ٤١ موقعا للقوات الدولية وأبقوا شريطا من الأرض بعرض يتراوح بين ٥ و ١٠ كم على طول الحدود الدولية في يد مليشيات سعد حداد .

---

(١) المنظمة تحت الجهر (المرجع السابق) ص ١٥٦ .

(١٧)

معاهدة كامب ديفيد

في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ وقع السادات مع بيغن وكارتر معاهدة كامب دايفيد .

تتألف الاتفاقية من :

* مقدمة عامة تمهيدية .
* ومن إطار مطول لخطة بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة .
* ومن قسم يلزم مصر واسرائيل بالتفاوض لعقد معاهدة سلام خلال ثلاثة اشهر .
* ومن بيان مبادئ يجب أن تحكم العلاقات بين اسرائيل وجيرانها .

وقد دعا الاتفاق حول الضفة وغزة إلى اقامة (سلطة حكم ذاتي) في تلك المناطق الفلسطينية المحتلة تسهر على الشؤون الادارية هناك لمدة انتقالية لا تتعدى ٥ سنوات . وحال اقامة سلطة الحكم الذاتي يتم انسحاب للقوات الاسرائيلية ويعاد نشر القوات المتبقية في مواقع أمنية محددة . . . ثم في مرحلة لا تتعدى ٣ سنوات بعد الفترة الانتقالية تجري مفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة وغزة وعلاقتهما بجيرانهما ولعقد معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن في نهاية الفترة الانتقالية.(١)

وعلى الرغم من قرار القمة العربي التاسع القاضي بطرد مصر من جامعة الدول العربيّة . فقد وقّع الرئيس أنور السادات معاهدة السلام مع اسرائيل بتاريخ ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٩م.

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(١٨)

الثورة الاسلامية في إيران

كانت هناك علاقة حميمة بين رجال الثورة في ايران وبين المنظمات الفدائية ، فقد تلقى الكثيرون منهم تدريبات عسكرية في معسكرات الفلسطينيين . . فعندما نجحت ثورتهم ضد الشاه صديق الغرب واسرائيل شعروا بالغبطة وكتبوا شعارات تقول : اليوم ايران وغدا فلسطين . واستُقبل على أثر ذلك ياسر عرفات في طهران استقبال الفاتحين .

(١٩)

الغزو الاسرائيلي للبنان

تم توقيع اتفاقية كامب دايفيد . . وانسحبت بموجبها مصر من حلقة الصراع العربي الاسرائيلي ، فركزت اسرائيل على الجناح الآخر . . وخاصة قوة الفلسطينيين المتنامية في لبنان ، الأمر الذي جعلهم يشنون غارات متكررة من البر والبحر والجو . . معظم أشهر عام ١٩٨١م .

في نهاية نيسان (ابريل) ١٩٨١م أقدمت سوريا على خطوة اضطرت الحكومة الامريكية إلى التدخل المباشر في الصراع . فقد نقل السوريون بطاريات صواريخ (سام — ٦) إلى وادي البقاع في لبنان بعدما فقدوا أعدادا كبيرة من طائراتهم في المعارك الجوية مع اسرائيل .

أدرك الامريكيون خطورة المجابهه التي ستقع بين السوريين والاسرائيليين فتدخلوا مباشرة وأرسلوا فيليب حبيب مبعوثا خاصا لحل هذا الاشكال .

عملية سلام الجليل

في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م قام الجيش الاسرائيلي باجتياح لبنان . وأطلق على خطته العسكرية (عملية سلام الجليل) .

دفعت اسرائيل في هذا الاجتياح قواتها المتفوقة مستخدمة مئات الألوف من الجنود . . وهاجمت لبنان برا وبحرا وجوا . . زاحفة نحو الشمال عن طريق الساحل وعن طريق جبال الشوف الداخلية .

في ١٤ حزيران (يونيو) تمكنت القوات الاسرائيلية الزاحفة بمحاذاة المنحدرات الغربية لجبال الشوف من التلاقي مع المليشيات الكتائبية ، وحوصر الفلسطينيون وحلفاؤهم داخل فكي كماشة خطيرة بدأت تضغط عليهم من كل الجوانب .

وكانت هناك العديد من اشارات الاستفهام :

* لماذا لم تقاوم القوات اللبنانية حلفاء الفلسطينيين القوات الاسرائيلية الزاحفة ؟
* لماذا انهزم القائد الفلسطيني الحاج اسماعيل قائد منطقة صيدا ، مسببا بانسحابه كارثة تقدم الاسرائيليين دون مقاومة . . ؟

ورغم ذلك فقد دافعت القوى الشعبية ببسالة ضد الزاحفين نحو بيروت .

. مما أقنع القيادة الاسرائيلية أنها لن تستطيع احتلال المدينة دون خسائر باهظة . حاول الفلسطينيون التفاهم مع الرئيس اللبناني سركيــــــس . . ولكنه رفض حتى الجلوس معهم . .

المباحثات السرية

تقول مصادر منظمة التحرير أن التكتيكات التي اتبعها قادة المنظمة طوال ٦٧ يوما من حصار بيروت كانت كما يلي :

(عندما بدأنا نفاوض كان لنا سلم أولوياتنا الخاص . **كان موقفنا الأول** الاعلان

عن انسحاب متوازن لقواتنا والقوات الاسرائيلية . ولكن الاسرائيليين رفضوا ذلك وردّوا بقصف عنيف . **ثم طلبنا** أن يكون انسحابنا إلى منطقة أخرى في لبنان كطرابلس أو البقاع . . ولم ننجح في ذلك أيضا .

ثم كان الموقف الأخير وهو أن يغادر الفلسطينيون لبنان شرط أن تضمن أمريكا سلامة المدنيين الفلسطينيين وعندما قدّم حبيب تعهدا خطيا يضمن أمن المدنيين الفلسطينيين باشراف القوات الدولية . . تم الانسحاب) .

على هذا الأساس أبحرت أول دفعة من مقاتلي منظمة التحرير من بيروت إلى قبرص يوم ١٩٨٢/٨/٢١م وفي ٣٠ آب (أغسطس) ١٩٨٢م نزل ياسر عرفات إلى ميناء بيروت واضعا خاتمة مرحلة طويلة استمرت أحدى عشرة سنة يسميها العاملون في منظمة التحرير أيام بيروت . (١)

بشير الجميل رئيسا للجمهورية

في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٨٢ انتخب مجلس النواب اللبناني بشير الجميل رئيسا للجمهورية ، وكل كفاءته كانت المعركة التي خاضها ضد مخيم تل الزعتر ، وعندما دعا الصحفيين إلى دخول المخيم قال لهم : إننا فخورون بما سوف ترون هناك !! كان قائدا صليبيا متعصبا تفاهم مع القوات الاسرائيلية سابقا ولاحقا فمكنته من الوصول إلى رئاسة الجمهورية .

---

(١) (المرجع السابق) ص ١٩٨ .

(٢٠)

جريمة صبرا وشاتيلا

يوم ١٥/٩/١٩٨٢ طوقت الدبابات الاسرائيلية مخيمي صبرا وشاتيلا . بعد ظهر اليوم نفسه التقى القادة الاسرائيليون مع قادة المليشيات الكتائبية (إلياس حبيقة وفادي افرام) واتفقوا أن يدخلوا المخيمات لتنظيفها من الإرهابيين .

اتصلوا بشارون فردّ عليهم : نوافق على عملية أصدقائنا . وحدثت المجزرة . لنترك وصفها للكاتب الصحفي كابليوك ، يقول : " من البداية كانت المجزرة هائلة . ففي الساعات الأولى من يوم ١٦/٩/١٩٨٢ قتل الكتائبيون مئات الناس . كانوا يطلقون النار على أي شيء يتحرك . قتلوا السكان في أسرتهم . قتلوا الأطفال . لم يكونوا يكتفون بالقتل فقط . في حالات كثيرة كانوا يقطعون الاطراف قبل القتل . كانوا يسحقون رؤوس الولدان والأطفال على الجدران . اغتصبوا النساء وحتى البنات قبل ذبحهن بالفؤوس . . أما الاسرائيليون فقد سدّوا منافذ المخيم حتى لا يهرب أحد .

تدل الارقام أن مجموع من قتل أكثر من ٣٠٠٠ انسان " .

هذه المجزرة الرهيبة هزّت الضمير الإنساني والفلسطيني بخاصة هزّا عنيفا . . وأثبتت بما لا يدع مجالا للتأويل أن كل الضمانات التي تمنحها الدول بما فيها أمريكا . . إنما هي جزء من مؤامرة لاستئصال الشعب الفلسطيني المظلوم . . وأثبتت حقيقة أخرى هامة أن هؤلاء الوحوش من كتائبيين أو يهود لا يرويهم إلاّ الدم المسلم المسفوح . . وأثبتت أمرا آخر هو أن كل ادعاءات هؤلاء بالمدنية أو التحضر إنما هي اكذوبة لتجميل وجه المجرم القبيح .

كان من آثار مجزرة بيروت وخروج المنظمة من لبنان . . انفجار الوضع بين المنظمة والسوريين ، تحدث عن ذلك صلاح خلف في جلسة المجلس الوطني في دورته السادسة عشرة فقال : من قال اننا لا نريد الوحدة أو اللقاء الاستراتيجي مع سوريا ؟

هل تقبلنا سوريا كما نحن ؟

هل تقبلنا سوريا بقرارنا الوطني المستقل . . ؟

في معركة بيروت كان المطلوب من سوريـا أن تفعـل أكثر مما فعلـت . . فلو فتحت سوريا الباب للقتال ، لكان القتال أشد وأعظم . (١)

نتائج عملية سلام الجليل

كان هدف عـملية " سلام الجليل" هو تدمير البنية الأساسية والعسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي اتخذت من بيروت مقرا لها منذ عـام ١٩٧١ . وكان تقديرهم أن إزاحة مقـاتلي منظمة التحرير مـن الطريق ، تسهل عليـهم الاستـفـراد بالفلسطينيين الآخرين من أهالي الضفة الغربية وقطاع غزة . (٢)

ولأسباب تتعلق بسلامة المدنيين ، قررت المنظمة الانسحاب من بيروت ، بعد صمود مشرّف دام أكثر من شهرين أمام أعنف قصف عرفته المنطقة .

بدأ اخلاء القوات تحت اشـراف قوة متعددة الجنسـيات تضم كتيبة أمـريكية . غادر المدينة حـوالى ثمانيـة آلاف مقـاتل فلسطيني . . ليتـوزعوا على عـدد من الدول العربـية البعيدة . ومن النتائج الأخرى :

* أصيب الجهاز العسكري بأضرار بالغة .
* كما أصيبت معظم المكاتب السياسية للمنظمة بنفس الأضرار .
* وتضاعفت هذه الأضرار المادية في أعقاب مجزرة صبرا وشاتيلا . .

---

(١) (المرجع السابق) ص ٢١٠ .

(٢) المنظمة تحت المجهر (المرجع السابق) ص ٢٦ .

التمـــــــرد

ضد منظمة فتح

وكما سجلت معركة بيروت نصرا نسبيا لعرفات ، فإنها أشعرت السوريين بالمهانة . فقد انسحبت قواتهم المتواجدة في المنطـقة . . بينما انضم الجنود المتواجدون في بيروت إلى القوات الفلسطينية . . كانت سوريا تريد الاحتفال بالنصر وتـوقعت انتقال عرفات إلى دمشق ولكنه بدلا من ذلك سافر إلى مصر . . رأس المحور المعادي . .

فردت دمشق على عرفات بأن شجعت التمرد ضده . فاصدر المتمردون من مواقعهم في شرق لبنان الذي يسيطر عليه السوريون ، سلسلة من البيانات التي تهاجم عرفات وتتهمه وتطالب بتنحيته .

لقد أثّر هذا التمرد تأثيرا كبيرا على قيادة عرفات . . فهو لم يتناول منظمة التحرير . بل امتد إلى فتح ذاتها التي يعتبرها عرفات معقله الرئيسي .

وعلى الرغم من أن عرفات استطاع تجاوز هذا الانشقاق الخطير على زعامته بصورة مؤقته . . ولكنه بقي يمثل القوة الكامنة التي يمكنها باستمرار أن تطل برأسها لتتحدى عرفات وخطه . .

(٢١)

فرسان فتح

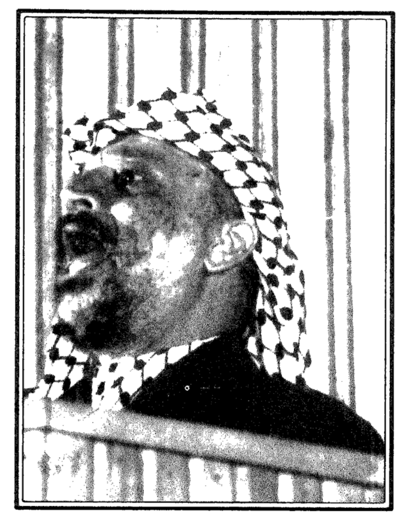
آن الأوان لأن نلقي بعض الضوء على فرسان فتح .

فياسر عرفات هو " عبد الرحمن عبد الرؤوف عرفات القدوي الحسيني " ولد في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٩ . يمت بصلة إلى الأسرة الحسينية . . أهم الأسر المقدسية التي قادت الكفاح الوطني في فلسطين طيلة عهد الانتداب البريطاني . . كان المفتي الحاج أمين الحسيني رمز المقاومة التي لم تنحن أو تضعف . . وكان عبد القادر

الحسيني قائد قوات الجهاد المقدس . . الذي استشهد في معركة القسطل .

أما ياسر فهو اسم مستعار غلب عليه . درس الهندسة في القاهرة . . وكان من أوائل المؤسسين لاتحاد الطلبة الفلسطينيين . . ومن هنا تعرف عام ١٩٥١ على صلاح خلف وهو ابن بقال سابق في يافا .

أما خليل الوزير فأصله من الرملة . . واستقرت اسرته في غزة . . كان وهو طالب في المرحلة الثانوية ينظم بعض العمليات الفدائية ضد اسرائيل عبر سيناء ، وعندما قبضت عليه المخابرات المصرية متلبسا بهذا (الجرم !) طردته من مصر فانتقل إلى السعودية فالكويت وهناك في الكويت التقى الفرسان الثلاثة مع خالد الحسن فشكلوا نواة حركة فتح التي كانت وما زالت من أهم العوامل المؤثرة (سلبا أو ايجابا) في مسيرة القضية الفلسطينية .



ياسر عرفات

الفصل الثامن والثلاثون

حرب يونيو ١٩٦٧

(١)

تسلسل الاحداث

في العاشر من أيار (مايو) ١٩٦٧م هدد الجنرال رابين رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلي ، بأن قواته – إذا استمر نشاط الفدائيين – مستعدة لدخول دمشق ، وهدم النظام القائم فيها [١] . . .

في الرابع عشر من أيار (مايو) قال " ليفي اشكول " رئيس وزراء اسرائيل : إن اسرائيل لن تستطيع أن تتسامح في حوادث التسلل . وإنها تدرس اتخاذ إجراءات رادعة "

في السادس عشر من أيار (مايو) أبرق رئيس الأركان المصري ، إلى قائد القوات الدولية ، يطلب انسحاب تلك القوات من مراكز المراقبة على الحدود .

في اليوم نفسه استدعى يوثانت (الامين العام للمم المتحدة) المندوب المصري الدائم في هيئة الأمم المتحدة ، وأعلمه أن الانسحاب الجزئي للقوات الدولية غير مقبول ، فهي إما أن تنسحب برمتها ومن كافة المواقع أو أن تبقي تلك القوات حيث هي .

في السابع عشر من أيار قامت القوات المصرية باحتلال مواقع القوات اليوغسلافية .

في الثامن عشر من أيار طلبت مصر رسميا من يوثانت ضرورة سحب القوات الدولية من أراضيها ومن قطاع غزة في أسرع وقت ممكن .

في التاسع عشر من أيار اصدر يوثانت أمرا للقوات الدولية بالانسحاب .

في ١٥ أيار (مايو) أعلنت اسرائيل التعبئة الجزئية ، وأعلنت مصر التعبئة العامة .

---

(١) على اعتبار أن معظم هجمات الفدائيين كانت تنطلق من دمشق في ذلك الوقت .

في ٢٢ ايار (مايو) اقفلت مصر مضائق تيران . وأعلن عبد الناصر أنه إذا أرادت اسرائيل الحرب فلتتفضل .

في ٢٣ ايار أعلن أشكول في الكنيست أن منع الملاحة في المضائق يعتبر عملا عسكريا . وفي مساء اليوم نفسه أعلن جونسون الرئيس الأمريكي أن إقفال المضائق يعتبر عملا غير قانوني .

في ٢٤ ايار أعلنت كل من أمريكا وبريطانيا ، ضرورة فتح مضائق العقبة للملاحة الدولية ، ولو أدى ذلك لاستعمال القوة .

وفي ٢٦ ايار اجتمع أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل مع الرئيس الأمريكي وأعلن بعد اللقاء أن انسحاب اسرائيل من شرم الشيخ بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ كان مشروطا بتأمين حرية الملاحة .

وفي ٢٦ أيار أعلن جمال عبد الناصر : إذا قامت اسرائيل بعمل عدواني ضد أية دولة عربية فإن حربنا معها ستكون شاملة هدفها تطهير الوطن المحتل . واتهم الولايات المتحدة بأنها العدو الأكبر وأن بريطانيا تبع ذليل لها .

في هذه الأثناء طالب الرئيس الأمريكي عبد الناصر بضبط النفس وعدم المبادرة بالعدوان . وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي حمل السفير السوفياتي في القاهرة رسالة مماثلة من كوسيفين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي إلى الرئيس المصري .

أما يوثانت الذي زار القاهرة فقد أعلن أن مصر لن تكون البادئة بالعدوان وأنها ترغب في إعادة لجنة الهدنة المشتركة التي كانت قائمة قبل عدوان السويس .

في ٣٠ أيار . . وصل الملك حسين فجأة إلى القاهرة ووقع مع مصر معاهدة دفاع مشترك .

في ١ يونيو (حزيران) أعلنت اسرائيل التعبئة العامة ، وانضم موشي ديان إلى

الوزارة الاسرائيلية كوزير للدفاع .

في ٤ حزيران أكد السفير العراقي للحكومة الأردنية أن معلومات مؤكدة وصلت إلى الاستخبارات العسكرية العراقية تؤكد أن اسرائيل ستشن هجومها يوم ٥ حزيران . ولقد أبلغ الملك حسين ذلك للرئيس عبد الناصر في اليوم نفسه . .[1]

يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م بدأ الهجوم الاسرائيلي على الجبهة المصرية .

(٢)

تفسير الأحداث

حتى نفهم الأحداث التي تسارعت خلال النصف الأول من عام ١٩٦٧ ، وأدت بالتالي إلى حرب مدمرة للجيوش العربية في مصر وسوريا والأردن ، واحتلت اسرائيل بموجبها كامل سيناء والضفة الغربية وغزّة والجولان . . لا بد لنا من العودة قليلا إلى الوراء . .

أولا . . في أعقاب حرب السويس أو العدوان الثلاثي الذي وقع على مصر ، والذي اضطرت فيه اسرائيل – أمام ضغط الانذار الأمريكي – للانسحاب من سيناء التي احتلتها ، فإنها لم تخرج بدون مكاسب . . هذه المكاسب كانت تتجلى في مرابطة قوات دولية على الأرض المصرية وفتح مضائق العقبة للملاحة الاسرائيلية .

لقد كان وجود القوات الدولية على أرض سيناء ، وفتح الممرات المائية أمام اسرائيل [2] ، والضمانات السرّية التي أعطيت للأمريكان بتجميد الصراع مع

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير– سعد جمعة ص ١٦٦ .

(٢) ذكر ذلك مستر جرانت مساعد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ عام ١٩٦٢ .

اسرائيل لمدة عشر سنوات [1] ، والقمح الأمريكي الذي يتدفق على مصر باسم السلام وصداقة الشعوب ، مما يحرج زعامة عبد الناصر قائد الثورة المصرية والجماهير العربية . كان عبد الناصر يتحين الفرصة لإزالة هذا العار الذي لحق به منذ حرب السويس . . خاصة وأنه كان يحتفل سنويا بعيد النصر ، أي انتصاره على قوات اسرائيل وفرنسا وبريطانيا في حرب السويس .

ثانيا . . بعد سقوط الوحدة السورية المصرية شعر عبد الناصر بسقوط زعامته ، ولهذا فقد كان يفتش عن انتصارات أخرى تعوضه عن هذا السقوط ، وجد بعض ضالته في انقلاب اليمن وليبيا ، ولكن نظره لم يتجاوز سوريا وفلسطين . . فقد كانت زعامته مرتبطة بهما .

ثالثا . . وفجأة . . . وجدها عبد الناصر فألقى خطابا حذر فيه الأمة العربية من الكارثة التي تتعرض لها . . فقد انهت اسرائيل أعمالها في تحويل مياه نهر الأردن لإرواء النقب . . وهذا العمل الذي سيمكن اسرائيل من استقدام المزيد من المهاجرين اليهود يعتبر تحديا سافرا لمقررات الجامعة العربية التي تؤكد تصميم العرب على وقف التحويل بالقوة . . ولهذا فإنه يدعو الحكام والملوك والرؤساء العرب للتشاور جميعا حول الموقف الواجب اتخاذه تجاه اسرائيل .

وانعقد مؤتمر القمة الأول في القاهرة عام ١٩٦٣ والثاني في الإسكندرية . . **وهناك اتفقت كلمتهم على مواجهة التحدي الاسرائيلي بالمبادرة فورا بتحويل روافد نهر الأردن . في سوريا ولبنان . . وهو حق من حقوق سيادة الدول في مياهها الأقليمية .**

وأعلنت اسرائيل أن هذا العمل هو عدوان على حقوق اسرائيل في المياه . . وأنه

---

(١) كان هذا الاتفاق يعرف باتفاق جنتلمان .

عمل عدواني . . وبالفعل فقد قامت بضرب الآلات التي تعمل بالمشروع وعطلتها .

فماذا كانت ردة الفعل العربية ؟

كانت عبارة عن الدعوة إلى مؤتمر قمة جديد في الدار البيضاء أهم مقرراته :

١- التضامن العربي ، أي التعايش السلمي بين الأنظمة المختلفة .

٢- قرار سري بتحديد وقت استكمال الخطة العربية العسكرية ، والوصول إلى مركز القوة للردع ، ثم الانتقال إلى مركز التصدي والتعرض . وكانت المدة المقررة لذلك هي ثلاث سنين .

٣- خلال ذلك يتم تحاشي اعطاء المبرر لاسرائيل ، وعليه فقد اتفقوا على ضرورة الحد من أعمال التسلل .

رابعا : من المستجدات على الساحة العربية والتي يمكن اعتبارها سببا رئيسا في حرب ١٩٦٧ كان بروز منظمة العاصفة التابعة لمنظمة فتح الفدائية التي بدأت بشن غاراتها على اسرائيل منذ أوائل عام ١٩٦٤ وهذه العمليات هي التي تسببت في الهجوم الاسرائيلي على قرية السموع في ١٩٦٦/١١/١٣ ومهاجمة سوريا في ١٩٦٧/٤/٧ والتهديد باحتلالها .

ومنظمة فتح لم تكن تثق بحكومات الدول العربية التي كانت بنظرها حكومات متآمرة على القضية الفلسطينية . . كما أن حكام هذه الدول كانوا يحاولون استغلال وتحطيم هذه النبته الجديدة المزعجة .

خامسا : في أواخر سنة ١٩٦٤ بدأت العلاقات المصرية الامريكية بالتدهور وخاصة بعد قيام مصر بغارات على المملكة العربية السعودية بسبب الحرب في اليمن ، واسقاط طائرة امريكية خاصة فوق الأراضي المصرية ، وخطاب عبد الناصر الذي قال فيه للأمريكيين : اشربوا ماء البحر ، ومنها النغمة الجديدة التي بدأت تتصاعد من مؤتمرات

القمة العربيـة . . والعمل على تحويل روافد نهر الأردن وتشكيل القيـادة العربية الموحدة في محاولة للتصدي لاسرائيل .

والخلاصة

إن هذه الأسباب الخمسة :

١- رغبة عبد الناصر لأسباب كثيرة في إغلاق المضائق .

٢- محاولة عبد الناصر التخلص من آثار الانفصال عن سوريا بنصر سياسي جديد .

٣- قرار تحويل روافد نهر الأردن .

٤- قيام منظمة فتح .

٥- تدهور العلاقات المصرية الأمريكية .

هي التي استغلتها اسرائيل ، واعتبرتها فرصة العمر ، وكان نظرها واحلامها تطيف بالقدس والضفة الغربية أو يهودا والسامرة كما كانت تسميهما . . فما أن تهيأت الاسباب حتى كان الهجوم الاسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ ابتداء من الجبهة المصرية فالأردنية فالسورية والتي انتجت ما تعارف عليه المحللون فيما بعد بحرب الأيام الستة أو النكسة .

(٣)

الحرب على الجبهة المصرية

مع تصاعد حدة الاحداث السياسية ومحاولة أمريكا وانكلترا الحصول على تواقيع الدول البحرية للقيام بعمل موحد من شأنه إعادة فتح المضائق حتى ولو دعت الحاجة إلى استخدام القوة .

والتعبئة العامة التي دعت لها كل من مصر واسرائيل . وسحب قوات الطوارئ

الدولية ، والخبر الروسي المختلق الذي بعثت به الحكومة السوفياتية إلى القاهرة الذي يقول إن هناك حشودا إسرائيلية تتألف من أحد عشر لواء تقف على الحدود مع سوريا التي ترتبط منذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦ بمعاهدة دفاع مشترك مع مصر .

وأعمال التسلل التي تقوم بها منظمة فتح ضد اسرائيل انطلاقا من الأردن وسوريا .

وبعد خطاب عبد الناصر في عيد العمال بتاريخ ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٦م حيث قال : إذا وقعت الحرب فستكون شاملة وسيكون هدفنا تدمير اسرائيل .

وبعد طلب جونسون من عبد الناصر أن لا يبدأ بالعدوان .

وبعد الزيارة المفاجئة للملك حسين للقاهرة وتوقيع اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والأردن في ٣٠ مايو ١٩٦٧م يتولى بموجبه قائد القوات المصرية قيادة كل من قوات مصر والأردن في حالة نشوب الحرب .

وبعد المعلومات المؤكدة التي وصلت جميع القادة العرب من أن الحرب ستنشب بالتحديد يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م .

بعد كل هذه المعطيات فقد بدأت اسرائيل الحرب . . وأخذت المصريين على حين غرة .

الطيران يُدمر على الأرض

كانت مصر تملك ٤٥٠ طائرة و ١٢٠٠ دبابة و ٢٦٤ ألف جندي ، مقابل اسرائيل التي تملك ٣٠٠ طائرة و ٨٠٠ دبابة و ٢٨٤ ألف جندي . .(١)

ومع ذلك فقد دمّرت اسرائيل في الساعات الأولى من صباح الاثنين يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ما مجموعه ٤١٦ طائرة من بينها ٣٩٣ كانت على الأرض منها ٣٠٩

---

(١) حرب الأيام الستة – ونستون تشرشل – ص ٢٩ .

طائرة لمصر و ٦٠ طائرة أردنية و ١٧ عراقية وطائرة لبنانية . كتب المعلقون السياسيون كثيرا عن هذه الضربة . . فقد كانت سؤالا حائرا .

فالأمور تتطور كل ساعة والقوات تستنفر ، والتعبئة العامة تجري ، والقوات المصرية تأخذ مكانها في رمال سيناء ، وعبد الناصر يهدد ، ومع ذلك فكل الطائرات جاثمة على الأرض . . وكأنها تنتظر الضربة . . .

تحدثت الكتب السياسية عن خيانات . . وقدم قادة سلاح الطيران للمحاكمات وتحدثوا عن ليلة حزيران الحمراء التي سهر فيها الطيّارون إلى الصباح بين النساء الساقطات وكؤوس الخمر التي تلعب بالجميع .. **المشكلة تكمن في طبيعة النظام . . فهو نظام غوغائي يعتمد على المباحث والمظاهر ، أحمد سعيد وبرامج صوت العرب أهم عنده من الجيش ، الولاء عنده قبل الكفاءة . . القيادة السياسية تصدر التصريحات العنترية ، تهدد وتتوعد دون اتخاذ أي إجراء حقيقي للحرب . .**

يقول قائد سلاح الطيران اليهودي الجنرال (مردخاي هود) :

" لقد قضينا ست عشرة سنة نستعد ونخطط لهذه الجولة وحققنا ثمرة جهدنا في ثمانين دقيقة ! لقد عشنا خطتنا ، نمنا معها أفقنا عليها ، تمثلناها ، هضمناها ، وبالتدريج أدخلنا عليها الإصلاحات المتتالية حتى قاربت الكمال " .

أما الطيران الاسرائيلي فقد مضت طائراته على ارتفاع منخفض فوق البحر في موجات متلاحقة تقصف المطارات والمقاتلات الجاثمة بدقة واحكام .

وبعد نحو ثلاث ساعات من الغارة الأولى ، تم تدمير المطارات المصرية وتحطيم معظم الطائرات المقاتلة على الأرض ، فاتجه الهجوم الاسرائيلي نحو سوريا والأردن ، بكل قوته وثقله ، فدمر مطارات البلدين وحطم معظم طائراتهما .

ولقد حاول الفريق عبد المنعم رياض قائد القوات المشتركة الأردنية المصرية . منذ الصباح الباكر وسلاح الجو الاسرائيلي برمته متجه نحو الأراضي المصرية ، حاول اغتنام

الفرصة لتقوم سوريا والأردن والعراق مجتمعة بضرب مطارات العدو قبل عودة طائراته لمنعها من الهبوط . . ولكن قيادات هذه البلدان رفضت فلم تكن طائراتها جاهزة ! (١)

ولكن كيف يمكن اقناع الامة العربية (من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر) أن قائدها المظفر عبد الناصر يمكن أن تنتهي قواته بهذه السرعة . . ؟ فما كان منه إلا أن اتفق مع الملك حسين في المكالمة الهاتفية الشهيرة يوم ٨ حزيران والتي التقطتها الأجهزة الاسرائيلية والتي اتفقا فيها أن يذيعا بيانا إلى الأمة بأن القوات الامريكية والبريطانية اشتركت بالعدوان . . وهكذا كان .

القوات البحرية المصرية

كانت مصر تملك سلاحا بحريا قويا ومتطورا بالنسبة لاسرائيل وكان بامكان مصر أن تستخدم هذا السلاح بفعالية شديدة ، ولكن للأسباب التي ذكرناها . . لم تستطع تسجيل أية اصابات هامة ضد قوات أو منشآت العدو .

حرب المدرعات في سيناء

وسيناء أرض واسعة تفصل أفريقيا عن آسيا . . وهي أرض مهملة لا يكاد المصري يتذكرها إلاّ في أيام الحروب ، تذكرها عام ١٩٥٦ عندما احتلتها اسرائيل ، وتذكرها عبد الناصر عام ١٩٦٧ في مناورته السياسية المعروفة . وسيناء وإن كانت شبه صحراء . . . إلاّ أنها منطقة غنية بالمعادن والمياه الجوفية ، يمكن أن تحول إلى أرض ممرعة تقوم في أرجائها مدن ومنتجعات سياحية تدر الخير على مصر . . ويلجأ إلى مدنها المصريون الذين ضاق بهم شريط النيل الضيق ، وبالتالي تستطيع الدفاع عن نفسها بسهولة أمام

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير (المرجع السابق) ص ١٩٢ .

العدو الذي اجتاحها في كل مرة حارب فيها[1] .

ونظرة بسيطة إلى سيناء عندما احتلتها اسرائيل تؤكد لنا ما تفعله الحكومات الجادة بهذه المنطقة .

في أيام الانتداب البريطاني كان محرما على المصريين السفر إلى سيناء إلاّ بمعاملة خاصة والحصول على إذن خاص . . وهكذا بقيت معزولة ... لا يذكرونها إلا في الحروب .

قبل ١٥ مايو (أيار) ١٩٦٧ كانت فرقتان مصريتان ترابطان في سيناء ، الفرقة العشرون من جبهة تحرير فلسطين والفرقة الثانية التي امتدت على طول الحدود المصرية الاسرائيلية ، وبين ١٥ مايو وآخره عزّزت هاتين الفرقتين بخمس فرق أخرى .

كان مجموع الحشود ١٠٠ ألف رجل وحوالي ألف دبابة . والخطة التي وضعها الجنرال رابين القائد العام للقوات الاسرائلية كانت ذات ثلاث جوانب :

أولا : اختراق خطوط الدفاع المصرية واثنين من مراكزهم القوية .

ثانيا : تقوم فرقة للمدرعات بالزحف إلى الأمام نحو سلسلة الجبال شرق السويس بالضبط وتسد بذلك الطرق التي تنسحب منها القوات المصرية .

ثالثا : التدمير النهائي للجيش المصري .[2]

وتم للاسرائيليين للأسف الشديد تنفيذ أهدافهم . . فلقد لعب سلاح الجو الاسرائيلي دورا رئيسا في تدمير القوات المصرية التي لم يكن لها أي غطاء جوّي

---

(١) في عام ١٩٤٨ كتب الإمام حسن البنا مقالا حول سيناء شرح فيه أهميتها ، وتكلم عن معادنها ومياهها وطالب الحكومة المصرية بالاهتمام بها .

(٢) حرب الأيام الستة (تشرشل) ص ٥٩ .

بعد تدمير الطائرات في المطارات .

ليس صحيحا أن المصريين أطلقوا سيقانهم للريح بمجرد أن رأوا طلائع الهجوم البري الاسرائيلي ، فلقد قاتلوا وحمّلوا اليهود خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات . . ولكن الطيران الاسرائيلي الذي كان ينقض على المدرعات المصرية المكشوفة هو الذي حسم المعركة لصالح اليهود .

واستطاعت ألوية المدرعات الثلاث التي اخترقت سيناء أن تطوق وتدمر الجيش المصري في سيناء .

(٤)

الجبهة الأردنية

والقوات الاسرائيلية وإن توجهت في اليوم الأول لحسم معركتها على الجبة المصرية . . إلاّ أن أنظارها كانت ترنو إلى أرض المقدسات (القدس) وجميع أجزاء الضفة الغربية .

(كانت القوات الاردنية تتألف من لواء المشاة السابع والعشرين وكتيبة من لواء المصفحات الستين الذي يتألف من ٨٠ دبابة من طراز (باتون) . كانت هذه القوات تشكل خطرا على جبل المكبر وبيت الحكومة الاسرائيلية .

في ٢٤ مايو وصلت إلى الأردن فرقة مشاة عراقية بكاملها معززة بـ (١٥٠) دبابة . علم أيضا أن كتيبة من الكوماندوس وصلت إلى عمان يوم ٣ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

بعد أن قامت اسرائيل بعدوانها على مصر ، ابتدأ الأردن يقصف القدس الجديدة التي تحتلها اسرائيل . كانت القذائف تطلق من جميع الحدود الاردنية ، وتساقطت قذائف المدفعية الأخرى في أقصى الشمال

تقصف قاعدة الطيران الرئيسة رامات داود .) [1]

معركة القدس

والقدس المدينة المقدسة لدى المسلمين . . والتي حموها بصدورهم في كل عهود تاريخهم ، ويوم احتلها الصليبيون ، لم يستطيعوا دخولها إلاّ عندما بلغت دماء المسلمين إلى ركب خيولهم ، سقط حول أسوارها ٧٠ ألف شهيد . أما اليوم فقد سقطت القدس بعد مقاومة بسيطة . . استمرت بضع ساعات فقط . ولم تسقط القدس وحدها بل سقطت جميع الضفة الغربية ومدنها الغالية .

احتلوا جميع أجزاء الضفة الغربية بعد يوم أو يومين من القتال .

صحيح أن سلاح الجو الاسرائيلي لعب دورا حاسما في المعارك . لكن الصحيح أيضا أن ابن الضفة الغربية كان أعزلا مجردا من السلاح الذي يدافع فيه عن أرضه وعرضه .

دخل ديان القدس في صحبة رابين ونار كيس وتوجهوا نحو حائط المبكى . . ولأنه فاتهم أن يستولوا على القدس عام ١٩٤٨م . . فقد سيطروا عليها اليوم . تحققت أحلام اليهود . . وارتفعت أعلامهم تدنس الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها ، بينما الزعامات المحيطة بفلسطين تشعر بالغبطة الشديدة . . فهم وإن خسروا الأرض والمقدسات إلاّ أن الأنظمة والرؤساء ما زالوا قائمين . . !

---

(١) حرب الأيام الستة (المصدر السابق) ص ٨١ .

(٥)
سقـــوط الجولان

كثر الحديث عن الجبهة السورية فى الحرب، فهى لم تشترك إلا فى اليوم التالى .. بالرغم من أن القيادة السوريّة كانت أكثر المتحمسين لهذه الحرب .. بل إن عبد الناصر فعل ما فعل تحت تأثير الدعاية السورية التى تقول إن القوات الإسرائيلية محتشدة على الحدود مع سوريا.

«سقوط الجولان» ، «ومن ملفات الجولان».

وكتب كثيرة أخرى كتبها محللون سياسيون وعسكريون.. تحدثت عن (خط ماجينو السورى) الذى لايمكن احتلاله إلا بصعوبات بالغة وامكانات هائلة .. تساءلوا : كيف سقط بهذه السهولة؟

يوم هروب قيادات الجيش من الجولان نحو دمشق حاملين معهم بعض المتاع .. سرت فى أوساط الناس نكتة تقول : «ولماذا يحملون هذا المتاع فقد باعوها مفروشة!» هكذا عبر الناس عن حزنهم بالضحك .. وشر البلية ما يضحك!

اجتمع مجلس الأمن للمطالبة بوقف اطلاق النار ... وذكر المندوب السورى أن اسرائيل احتلت الجولان ومدينة القنيطرة .. ونفى المندوب الاسرائيلى ذلك [١] .. فهم لم يحتلوها بعد .. وأنى للسوريين أن يعرفوا وهم منسحبون انسحابا كيفيا قبل ذلك..؟!

وهكذا ضاعت الجولان الحصينة والقنيطرة .. وقال بن غوريون..

---

(١) (المصدر السابق ص ١٠٦ ، تحدث عن البلاغ السورى رقم ٦٦ الذى أعلن سقوط القنيطرة قبل احتلالها.

أن اسرائيل لا تستطيع أن تتخلى عن الجولان والقدس . . القدس لأنها عاصمة اسرائيل والجولان [1] . . لأنها أخطر جبهة كانت تخيف اسرائيل . . . !

ولم يعتبر النظام خسارة الجولان كارثة كبرى ، فقد صرح وزير خارجية النظام السوري يومذاك " ابراهيم ماخوس " [2] : لا تنسوا أن الهدف الأول من الهجوم الاسرائيلي هو اسقاط النظام التقدمي في سورية ، وإذا كان النظام باقيا فإن اسرائيل لم تحقق ما كانت تريد !!

---

(١) يراجع في ذلك كتاب سقوط الجولان – خليل مصطفى (ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

نتائج نكسة حزيران ١٩٦٧م

دامت الحرب مدة ستة أيام . . بين اسرائيل والعرب . احتلت اسرائيل خلالها كامل سيناء وقطاع غزة ووقفت بقواتها المسلحة على ضفاف قناة السويس ، كما احتلت كامل الضفة الغربية بما فيها القدس ووقفت بقواتها أمام نهر الاردن الذي اعتبرته ولو إلى حين حدودا معقولة ، كما احتلت القنيطرة والمرتفعات السورية التي كانت تهيمن على اسرائيل فاصبحت بيد العدو يهدد من على قممها دمشق .

وبذلك اصبحت اسرائيل ولأول مرة في تاريخها دولة عظمى في الشرق الأوسط . . تملك أعظم قدرات عسكرية في المنطقة . . وأصبحت بالتالي الدول الأخرى مثل مصر وسوريا والأردن . . دولا محتلة مقهورة . . وستبقى هذه المعادلة تتحكم زمنا طويلا في مجريات الأمور في المنطقة . . لخصها وزير خارجية اسرائيل أبا ايبان حين مرّ بلندن في طريقه إلى تل أبيب في ٧ يوليو ١٩٦٧م . . قال :

" غدا يطلب المنتصرون السلام ، بينما يطالب المهزومون بالاستسلام بلا قيد أو شرط !! " . بدأت القصة بعنتريات حكام العرب للحيلولة دون تحويل مجرى نهر الأردن . . وانتهت بأن اصبحت المنطقة بكاملها بما فيها المجري الحزين لنهر الأردن من مستعمرات اسرائيل .

يوم ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م أصدرت اسرائيل قانونا يضم القدس القديمة ويوحدها مع القدس الجديدة ويجعلها العاصمة الأبدية لاسرائيل . . واعلنت اسرائيل كذلك إذا كانت بقية المناطق المحتلة قابلة للتفاوض مع الدول العربية . . فإن القدس والجولان ليستا قابلتين للتفاوض على الاطلاق .

ولقد أعلن بن غوريون ، وهو من أهم الشخصيات الاسرائيلية إنه ليس مضائق تيران فقط يجب أن تمر بها الملاحة الاسرائيلية بحرية فحسب ، بل أيضا قناة السويس حسب

القانون الدولي ، ويجب أن تبقى القدس مدينة يهودية موحدة . وأن الخليل يجب أن تضم لاسرائيل لانها أكثر يهودية من القدس نفسها . وأصرّ بن غوريون على تحقيق شرطين مسبقين لتخلي اسرائيل عن أي من الأراضي التي استولت عليها وهي :

١- أن يعترف العرب بدولة اسرائيل ،

٢- وأن يوقعوا معاهدة صلح معها .

ومازالت اسرائيل تنتظر حكام العرب ، أن يقدموا إليها فرادى أو مجتمعين للاعتراف بالدولة اليهودية وآن يوقعوا معاهدات صلح معها .

قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢

بعد أشهر من الإخذ والعطاء والتعنت والشروط التعسفية من قبل اسرائيل ، توصل مجلس الأمن في الثاني والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ إلى القرار رقم ٢٤٢ الذي هو مجموعة من العموميات اختلفوا سلفا في تفسيرها قبل أن يختلفوا حول طريقة تنفيذها . واضع القرار هو اللورد كارادون مندوب بريطانيا في المنظمة الدولية .

أما نص القرار فهو :

إن مجلس الأمن :

أ- يعبّر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الأوسط .

ب- ويؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب . والحاجة إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دول المنطقة .

ج - ويؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق :

أولا - يعلن أن تطبيق الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، وهذا يقتضي تطبيق المبدأين التاليين :

أ – انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير .

ب – أن تنهي كل دولة حالة الحرب ، وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الأقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، وحقها أن تعيش في سلام في نطاق (حدود آمنة) ومعترف بها ، متحررة من أعمال القوة والتهديد بها .

ثانيا – يؤكد المجلس الحاجة إلى :

أ – ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة .

ب – تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج – ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق إجراءات دولية ، ومن بينها انشاء منطقة منزوعة السلاح .

ثالثا – يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية ، بهدف المساعدة في الجهود ، للوصول إلى تسوية سلمية ومقبولة في هذا القرار .

رابعا – يطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن .

الفصل التاسع والثلاثون

حرب عام ١٩٧٣م

" الجبهة المصرية "

يقول الفريق " سعد الدين الشاذلي " رئيس أركان حرب القوات المصرية في كتابه القيم (حرب أكتوبر) :

" لم نكف عن التفكير في الهجوم على العدو الذي يحتل أراضينا حتى في أحلك ساعات الهزيمة في يونيو ١٩٦٧م . لقد كان الموضوع ينحصر فقط في متى يتم الهجوم ، وربط هذا التوقيت بإمكانات القوات المسلحة لتنفيذه . " (١)

كانت أمام القيادة المصرية خطتان :

الخطة الأولى : تقوم على أساس تدمير جمع قوات العدو في سيناء . والتقدم السريع لتحريرها ، هي وقطاع غزة في عملية واحدة ومستمرة .

الخطة لثانية : وكان يتبناها رئيس أركان الجيش الشاذلي هدفها هو عبور قناة السويس ، وتدمير خط بارليف واحتلاله ، ثم اتخاذ أوضاع دفاعية على مسافة تتراوح بين (١٠ – ١٢ كم) شرق القناة ، على أن تبقى القوات في هذه الأوضاع الجديدة إلى أن يتم تجهيزها وتدريبها للقيام بالمرحلة التالية من تحرير الأرض .(٢)

اعتمدت القيادة المصرية الخطة الثانية التي أطلقوا عليها اسم (بدر–١) . وهي بالطبع خطة متواضعة إذا ما قيست بالأولى . . ولكنها الممكنة . فقد كانت القوات المصرية ضعيفة إذا ما قيست بقوة اسرائيل . لقد تحطمت الطائرات المصرية على الأرض

---

(١) حرب أكتوبر – سعد الدين الشاذلي – ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

مرتين الأولى عام ١٩٥٦م والثانية عام ١٩٦٧م فلا يريدون لها أن تتحطم مرة أخرى أما الدفاعات الجوية والتي كانت تعتمد أساسا على صواريخ سام الثابتة فهي دفاعية ، تستطيع التصدي للطائرات المهاجمة على مسافة (١٠ - ١٢) كم شرق القناة ، ولكنها لا تستطيع التصدي للطائرات في مدى أبعد . " وكذلك كنّا نرغب في أن نحارب اسرائيل في ظروف ليست مواتية لها وأن نطيل أمد الحرب قدر الامكان " .

تتلخص خطة بدر بأن تقوم خمس فرق مشاة مجهزة باقتحام قناة السويس من خمس نقاط وتقوم هذه الفرق بتدمير خط بارليف . . ثم تتقدم القوات المصرية إلى مسافة تتراوح بين (١٠ - ١٥) كم شرق القناة .

في يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣م نفذت الخطة كما خطط لها العسكريون بمنتهى الدقة ، واستطاع الجندي المصري الذي تعرض للذل والمهانة في حروب ١٩٤٨م و ١٩٥٦م و١٩٦٧م ، أن يسجل صفحات خالدة في البطولة والشجاعة ، وأن يسجل نصرا مؤزرا كان له الفضل في تحطيم اسطورة الجيش الذي لا يقهر . استطاع الجيش المصري وهو يردد هتاف المجد (الله أكبر) أن يجتاز قناة السويس ، وهي مانع مائي صناعي عرضه ما بين ١٨٠ - ٢٠٠ م ، أنشأ اليهود على ضفته الشرقية سدا ترابيا بارتفاع يصل إلى ٢٠ مترا ، مما يجعل من المستحيل عبور أية مركبة برمائية إلى الشاطئ الآخر إلاّ بعد إزالة هذا السد . وعلى طول السد الترابي بنى الاسرائيليون خطا دفاعيا قويا أطلقوا عليه **خط بارليف** ، وكان يتكون من ٣٥ حصنا . كانت هذه الحصون مدفونة في الأرض وذات أسقف قوية تجعلها قادرة على أن تتحمل قصف المدفعية الثقيلة دون أن تتأثر بذلك . وكان يحيط بها حقول ألغام وأسلاك كثيفة . وما بين هذه الحصون كان هناك مرابض نيران للدبابات بمعدل مربض كل ١٠٠ متر .

وزيادة على كل هذه الموانع ، أدخل الاسرائيليون سلاحا جديدا رهيبا هو النيران

المشتعلة فوق الماء لكي تحرق كل من يحاول عبور القناة . (١)

هذا هو خط بارليف الذي كانت تفاخر اسرائيل بقوته . . وتتحدى به القوات المصرية وتعلن أن اختراقه يحتاج إلى تعاون سلاح المهندسين الروسي والأمريكي إلى جانب سلاح الهندسة المصري !

ومع ذلك فقد حطمه الجندي المصري الشجاع ، فبحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٨ اكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المصرية قد حققت نجاحا حاسما في معركة القنال . عبرت فيه أصعب مانع مائي في العالم وحطمت خط بارليف في ١٨ ساعة . وهو رقم قياسي لم تحققه أية عملية عبور في تاريخ البشرية . وقد تم ذلك بأقل خسائر ممكنة . فقد بلغت الخسائر : ٥ طائرات و ٢٠ دبابة و ٨٠ شهيدا ، مقابل ٣٠ طائرة و ٣٠٠ دبابة وعدة آلاف من القتلى للعدو الذي خسر كذلك خط بارليف بكامله . وأصبحت اسطورة خط بارليف الذي كان يتغنى به الاسرائيليون في خبر كان . (٢)

ثغرة الدفرسوار

بعد أن حطمت القوات المصرية الهجمات المضادة للعدو . . أصرّت القيادة السياسية المصرية على تقدّم الجيش نحو المضائق . وعلى الرغم من اعتراض رئيس أركان الجيش (الفريق الشاذلي) الذي قاد المعركة منذ بدايتها . . إلاّ أن الأمر نفذ وكانت نكسة خطيرة لعب فيها الطيران المعادى دورا خطيرا حطّم في ساعات أكثر من ٢٥٠ دبابة . . . فقد خلا له الجو . . وبدأ يدمّر مدرعات لا يحميها شيء .

---

(١) المصدر السابق (ص ٤١)

(٢) المصدر السابق (ص ٢٣٥) .

هذا الخطأ أدى إلى خطأ آخر . . وهو الاضطرار إلى دفع قوة الاحتياطي الاستراتيجي إلى شرق القناة لتعويض الخسائر . . فأدى ذلك إلى خلخلة القوة وأصبح الموقف مثاليا لكي يقوم العدو بمحاولة لاختراق مواقعنا .

وبالفعل فقد تسللت قوات العدو إلى غرب القناة من منطقة (الدفرسوار) واستطاعت أن تقصف الصواريخ المضادة في غرب القناة مما جعل الطيران المعادي حرّاً في اختراق أجوائنا ، وأن تطوق الجيش الثالث مما جعله أسيرا في يد العدو . . يفرض العدو علينا أقسى الشروط مقابل تموينه ، لم يكن أقلها إلغاء الحظر البترولي الذي فرضته الدول البترولية على أمريكا وحلفائها .

وتقدمت قوات العدو في الاتجاهين نحو السويس فحاصرتها وميناء الادبية فحطمتها ونحو الاسماعيلية . وهكذا تضيع الانتصارات العظيمة أمام رغبة القيادات الغبية التي تطلب الشهرة أكثر مما تطلب النصر .

اتفاقية فض الاشتباك

في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤م تمّ التوقيع على الاتفاقية الأولى لفض الاشتباك بين مصر واسرائيل وكانت بنودها كما يلي :

١– تقوم اسرائيل بسحب قواتها إلى مسافة ٣٠ كم شرق القناة .

٢– تسحب مصر قواتها شرق القناة باستثناء قوة رمزية (٧٠٠٠ جندي) .

٣– تفصل قوات الامم المتحدة بين الفريقين .

وهذه النهاية نستطيع أن نصفها بحرب مشرفة تنتهي بمأساة . .

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٣٥) .

الجبهة السورية

أما على الجبهة السورية . . فقد حققت القوات السورية نصرا مؤزرا في الأيام الأولى للحرب استطاعت فيها السيطرة على كامل منطقة الجولان وجبل الشيخ التي كانت اسرائيل احتلتها عام ١٩٦٧م . . وصلت هذه القوات إلى بحيرة طبريا . شعرت اسرائيل بالخطر يقترب منها مع تحطم كل دبابة تزج بها في المعركة . . ولهذا قرّرت القيادة الاسرائيلية تركيز الحرب على الجبهة السورية . . وركز الطيران وأفضل قوات الاحتياط في هذه الجبهة واستطاعت من خلال بعض القيادات السورية المتهاونة التي قدمت فيما بعد للمحاكمة وتم إعدامها . . أن تستعيد المواقع التي خسرتها . . وأن تتقدم ليصبح الطريق إلى دمشق سالكا أمامها . .

حرب أكتوبر ١٩٧٣م في الميزان

ركز الكتّاب الاسرائيليون كثيرا على هذه الحرب . . واعتبروها من أخطر الحروب التي خاضتها اسرائيل . . وبالرغم من أن النتائج النهائية للحرب كانت متواضعة . . أو بعبارة أخرى أن العرب لم يحققوا فيها النصر المطلوب . . إلاّ أن الصحيح أن اسرائيل لم تنتصر أيضا بل كانت أقرب إلى الهزيمة . . وبالطبع فهناك فرق كبير بين هزيمة العرب وبين هزيمة اسرائيل في نهاية المطاف .

أهم الأمور التي مكنت العرب من تسجيل النصر النسبي على اسرائيل . . هي :

١- انتشت اسرائيل بنصرها عام ١٩٦٧م . . إلى درجة انها لم تعد تصدق أن العرب بامكانهم محاربتها . . فلمّا وصلت استخباراتهم العسكرية بعض المعلومات عن الاستعدادات المصرية أو السورية استبعدوها ولسان حالهم يقول هل يجرأ العرب على فعلها ؟

٢- هذه الحرب هي الوحيدة التي اعترفت اسرائيل بأن العرب خططوا لها وأنهم لم يتركوا أمرا للصدفة . . وأن الدهاء العربي تغلب على الذكاء اليهودي [1] . وأنهم كسروا في هذه الحرب حاجز الخوف الذي كان يتنامى في النفس العربية منذ حروبهم الفاشلة في ١٩٤٨م و١٩٥٦م ١٩٦٧م.

٣- في هذه الحرب عبر المصريون وحطّموا خط بارليف وهم يهتفون الله أكبر وفي جيب كل واحد منهم كراس عقيدتنا الدينية طريقنا للنصر من تأليف رئيس الأركان سعد الدين الشاذلي . عبروا القناة وهي أصعب مانع مائي في العالم وحطّموا خط بارليف في ١٨ ساعة . .

٤- وفي هذه الحرب انهارت القيادات الاسرائيلية العسكرية منها والسياسية . . ومع انهيارهم أدركوا أن مؤسسة جيشهم التي ظنوا أنها لا تقهر . . قد تعرضت للفساد والانهيار الخلقي الذي أصاب مجمل الشعب اليهودي .

٥- وفي هذه الحرب ثبت لاسرائيل . . وكذلك أدرك الجندي المصري والسوري مدى صلابته وقدرته وتفوقه في القتال على عدوه . . وأن تساوي الظروف والتسليح يجعله الأعلى .

٦- في هذه الحرب . . ظهر معدن المقاتل المصري من أبناء الشعب . . فحين حاول الاسرائيليون احتلال مدينة السويس دفعوا ثمنا باهظا لهذه المحاولة وانسحبوا بعد ذلك مذمومين مدحورين .

٧- وأخيرا فإن هذه الحرب التي بدأت بداية مشرفة وانتهت بكثير من

---

(١) زلزال في اكتوبر - زئيف شيف .

الأخطاء . . كان يمكن أن تشكل علامة فارقة تضع حدا لعهدين . . عهد وجود اسرائيل وعهد غيابها .

قرار مجلس الامن الدولي رقم ٣٣٨

بعد التفاهم الامريكي السوفياتي ، دعي مجلس الأمن الدولي للاجتماع في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣م وبعد مداولات اتخذ قراره رقم ٣٣٨ التالي نصه :

أولا : يدعو جميع الأطراف إلى وقف اطلاق النار وأي نشاط عسكري فورا ، على أن يتم هذا القرار في المواقع التي تحتلها هذه الأطراف الآن .

ثانياً : يدعو الأطراف المعنية إلى البدء مباشرة ، بعد وقف اطلاق النار ، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع فقراته .

ثالثا : يقرر وجوب بدء مفاوضات فورية . في الوقت ذاته يتم فيه وقف اطلاق النار وتحت رعاية مناسبة ، بغية تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط .

مؤتمر جينيف

٢١/١٢/١٩٧٣م

في ٢١/١٢/١٩٧٣م في قصر الأمم بجنيف ، المقر الأوروبي للأمم المتحدة ، تم افتتاح المؤتمر الذي ضم وفود : الأمم المتحدة وأمريكا وروسيا واسرائيل ومصر والأردن . . بينما امتنعت سوريا عن الحضور .

لعب كيسنجر وزير خارجية أمريكا اليهودي المتعصب دورا رئيسا في هذا المؤتمر . . من أهم نتائج مؤتمر جينيف كان : **اتفاق فصل القوات بين مصر واسرائيل** على أن تنسحب القوات الاسرائلية (٣٠ كم) إلى داخل سيناء وأن يبقى المصريون على الضفة الشرقية للقناة على مسافة (٨ – ٩ كم) وأن تفصل قوات الامم المتحدة بين الفريقين .

الفصل الأربعون

دور الحركة الإسلامية في فلسطين

الحديث عن فلسطين يقتضي بالضرورة الحديث عن دور حركة الإخوان المسلمين .. فحركة الإخوان المسلمين هي بالأساس حركة إسلامية عالمية تهتم بقضايا المسلمين في جميع انحاء العالم ، على قاعدة " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " .

بدأت هذه الحركة في مصر عام ١٩٢٨م على يد الإمام حسن البنا رحمه الله .. وكان قائد الدعوة يرى بحسه المرهف أن فلسطين البلد المجاور والقدس المبارك تتعرض لمؤامرة لئيمة تحيك خيوطها بريطانية لتهويد فلسطين وإقامة دولة يهودية على أنقاض شعبها .

ومن هنا فقد اعتبر الإخوان المسلمون القضية الفلسطينية هي قضيتهم الأولى ولقد شهد المركز العام في القاهرة الامام البنا وفضيلة المفتي أمين الحسيني يشرحان لشباب الإخوان أهمية قضية فلسطين وضرورة العمل على إنقاذها .

وفي الوقت الذي كان يجهل فيه عموم الشعب المصري موقع فلسطين .. وكان يتقبل كلمة النقراشي باشا بأنه رئيس وزراء مصر وليس رئيس وزراء فلسطين .. في هذا الوقت كان الامام حسن البنا يعدّ الشباب نفسيا وايمانيا وجسميا ليأخذوا دورهم في عملية تحرير فلسطين من الانكليز واليهود على السواء . (١)

كان شباب الإخوان يتوزعون كل أسبوع على مساجد القاهرة .. يخطب أحدهم ويشرح للناس ما يتعرض له إخوانهم المسلمون في فلسطين من مظالم على يد الانكليز واليهود .. بينما يقوم الثاني .. بجمع التبرعات من أجل فلسطين .

---

(١) يراجع كتاب " النار والدمار في فلسطين "

ولقد أثرت هذه الطريقة بنشر الوعي في صفوف الشعب . . وبدأ يدرك أن مقدسات المسلمين وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في خطر شديد .

ولقد حاول الإخوان ايجاد نواة للدعوة في فلسطين . . وشارك شبابهم في حركة عز الدين القسام عام ١٩٣٥م ، وفي ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م .

(وبعد الحرب العالمية الثانية أخذ الإخوان يعملون في القضية عملا ايجابيا ، فأرسلوا وفودا من دعاتهم وشبابهم إلى فلسطين يؤلبون العرب ويستحثونهم للكفاح ، ويتولى نفر منهم تدريب الشباب الفلسطيني ، ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد ، حتى أصبحت شعبهم ودورهم مراكز القيادة وساحات التدريب ، ولا يزال أهل فلسطين يذكرون بالفخار مواقف دعاة الإخوان كسعيد رمضان وعبد الرحمن الساعاتي وعبد المعز عبد الستار وعبد العزيز أحمد وغيرهم . .) [١]

كان الإخوان يخوضون صراعا على عدة جبهات :

على جبهة الحكومة المصرية التي كانت تشكك في نوايا الإخوان وتعطي لعملية التدريب التي يقوم بها أفرادهم أبعادا أخرى . .

وعلى جبهة اليهود الذين كانوا يثمّنون أهمية اشتراك الإخوان في الكفاح المسلح في فلسطين الأمر الذي جعلهم يشنون حملة دعائية هائلة ضد الإخوان المسلمين في كل مكان . . كتبت صحيفة الصنداي ميرور البريطانية في مطلع عام ١٩٤٨م مقالا بقلم الكاتبة الصهيونية (روث كاريف) قالت : (الآن وقد أصبح الإخوان المسلمون ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد تدخل الولايات المتحدة في شؤون الشرق الاوسط وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ألاّ يتعاون مع هيئة الامم المتحدة ، فقد حان للشعب الأمريكي أن يعرف أي حركة هذه . إن اليهود هم أعنف خصوم

---

(١) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين – الاستاذ كامل الشريف ص ٤٦ .

الإخوان المسلمين ، ولقد قام اتباعهم بهدم أملاك اليهود ونهب أموالهم في كثير من مدن الشرق الأوسط وهم يعدّون العدة للاعتداء الدموي على اليهود . . وإذا لم تدرك أوروبا حقيقة هذه المعركة ، فستشهد ما شهدته في العقد الماضي ، إذ واجهتها حركة فاشية نازية ، فقد تواجهها في العقد الحالي امبراطورية إسلامية فاشية . . .) [1]

هذا المقال مجرد نموذج للتحريض الذي بدأ اليهود يشنونه ضد الإخوان لتأليب القوى المحلية والعالمية لضربهم ، باعتبارهم خطرا يواجه الغرب وحماة مصالحهم .

وعلى جبهة الانكليز . . الذين كانوا يتحكمون بالأوضاع في مصر وفلسطين على السواء . فأما في مصر فقد بدأوا يحبكون الخطط للتخلص من الجماعة . . وأما في فلسطين فقد شردوا الإخوان وطاردوا شبانهم وأنذروا الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية الذي حضر خصيصا من مصر لإنهاء الخلافات التي نشبت بين منظمة النجادة والفتوة الفلسطينيتين . . فاضطروه لمغادرة البلاد .

انتهاء الانتداب البريطاني [2]

مع انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨م ، ظن الإخوان أن عهد التضييق والارهاب قد انتهى . . وأنهم يستطيعون الآن ادخال قواتهم إلى فلسطين دون خوف أو وجل .

وأن الوقت قد حان ليفي مرشدهم بوعده الذي قطعه لزعماء الدول العربية في اجتماعهم في (عالية) بأن يرسل عشرة آلاف مجاهد إلى فلسطين كدفعة أولى . . ظن

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٢) من كتاب الاستاذ كامل الشريف السابق ص ٦٠ – ٨٦ .

الإخوان ذلك ولكن الحوادث جاءت لتخلف ظنهم ، فسياسة الانكليز مازالت قائمة وهم لا يزالون يحكمون ويحركون السياسة من وراء ستار .

طلب الإخوان من حكومة النقراشي السماح لهم بادخال فوج من مجاهديهم ليرابط في الجزء الشمالي من النقب ، فرفضت الحكومة . . مما اضطر بعض الإخوان إلى طلب السماح لهم بالقيام في رحلة علمية إلى سيناء ومن ثم تسللوا سرا إلى فلسطين ، ولحقت بهم دفعات أخرى تسللت بطرق مختلفة . وبدخول هذا الفوج في فبراير ١٩٤٨م بدأ القتال الفعلي في صحراء النقب . وأخذ هذا الفوج يهاجم المستعمرات بعناد وصلابة رغم قلة عدده وعدته . وتجمع حول المجاهدين . . إخوانهم من عرب فلسطين . . وبالرغم من إغلاق الحكومة المصرية الحدود لتحول دون وصول أية امدادات للمجاهدين . . إلاّ أنهم استمروا في جهادهم الرائع حتى دخل الجيش المصري وأخذ يهاجم المستعمرات اليهودية في النقب ، واشترك الإخوان في معظم العمليات الحربية التي قام بها . ونجح الإخوان في تحقيق أهدافهم بالرغم من كل الخطط التي فرضها الاستعمار وأذنابه لمنع التسلل عبر الحدود ، ولم تمض إلاّ أسابيع قليلة على بداية الصدام حتى حمل الإخوان لواء الجهاد الشعبي ونجحوا في ادخال عدد كبير من خيرة شبابهم من مصر وسوريا وشرق الاردن .

قوات الإخوان المسلمين

* **كانت القوة الأولى** للإخوان المسلمين ترابط في النقب وتفتتح أولى معارك الجنوب في كفار ديروم في ١٤ أبريل ١٩٤٨م .

* **وكانت القوة الثانية** بقيادة اليوزباشي محمود عبده ، التي استكملت تدريباتها في قطنا في سوريا ، وكان من نصيبها أن توكل لها مهمة الدفاع عن مرتفعات صور باهر الحصينة بجوار القدس . وهناك لحقت بها قوة كبيرة من الإخوان المسلمين في الأردن بقيادة المجاهد عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام للاخوان المسلمين وشكلوا معا قوة مشتركة .

* **وفرقة ثالثة** جاءت من إخوان سوريا يقودهم المجاهد مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين ، عملت بهمة ونشاط في مناطق المثلث والقدس ، وساهمت مساهمة فعّالة في الدفاع عن هذه المناطق الحيوية .

* وكانت هناك مجموعات أخرى شكلتها شعب الإخوان في فلسطين تعمل في المناطق الشمالية والوسطى تحت القيادات العربية المحلية .

وهكذا أصبح الإخوان المسلمين هم الجبهة الجادة شبه الوحيدة التي تعمل بكل قدراتها للدفاع عن فلسطين . . بينما كانت الدول العربية وما تملكه من جيوش وامكانات تنفذ الخطة المتفق عليها في تقسيم البلاد . . وإقامة دولة اسرائيل .

أول عمل قامت به الجيوش العربية عندما دخلت إلى فلسطين هو حلّ المنظمات الشعبية الجهادية واتهام الفلسطينيين بالتعاون مع السلطات الاسرائيلية . . أما الإخوان فقد حملوا لواء التعاون مع الشعب الفلسطيني المجاهد ومع منظماته الشعبية الصادقة . . كما وأثبتوا أن تعاون الفلسطينيين مع اليهود إنما هو فرية من صنع اليهود حبكتها دوائرهم ونفذها يهود الدول العربية الذين انضموا لاسرائيل .

كانت الجيوش العربية مختلفة حول من يتولى قيادتها . . وحدود صلاحية كل جيش من جيوشها . . خاصة ومصالحهم ورؤاهم كانت مختلفة . . بينما كانت قوات الإخوان المسلمين القادمة من مصر وسوريا وشرق الاردن وفلسطين تتسابق للتضحية ونكران الذات والعمل الدائب لرفع راية الجهاد في سبيل الله لإنقاذ ما يمكن انقاذه في هذا البلد المقدس .

الإخوان في النقب

كان لليهود جيش مدرب منظم ، وقوة ضاربة موزعة على أنحاء فلسطين . . وكانت جيوش الدول العربية تجهل كل شيء تقريبا عن قوة اليهود . . ولقد عوضوا جهلهم بالتصريحات العنترية التي كانوا يطلقونها من أن جيوشهم إنما تقوم بنزهة إلى فلسطين للقضاء على اليهود . . أولى المعارك التي خاضها الإخوان المسلمون في النقب كانت معركة كفار ديروم الأولى . .

وكفار ديروم هي مستعمرة يهودية تقع على طريق المواصلات الرئيس الذي يربط فلسطين بمصر . ومن هنا فقد اهتمت القيادة اليهودية بها ، وبالغت في تحصينها ، واحاطتها بحقول الألغام والأسلاك الشائكة . . وزودتها بنخبة من جنودها المدربين . . وباعتبارها خطرا على المجاهدين فقد قرّروا مهاجمتها وتدميرها . .

فماذا حدث ؟

هاجم الإخوان المستعمرة في وقت مبكر من صباح ١٤أبريل ١٩٤٨م . وأظهروا من ضروب البطولة والتضحية ما لا يمكن حصره وتصوره . . ومع ذلك فقد اضطروا للانسحاب يحملون شهداءهم وجرحاهم الذين يربو عددهم على العشرين [١] .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠ .

واستوعب الإخوان الدرس . . إن المستعمرات اليهودية ليست مكانا للنزهة . .
وإن امكانات الإخوان لا تساعدهم على مهاجمتها . . فبدلوا خططهم وقرروا أن
ينازلوا اليهود في أرض مكشوفة .

وهكذا نظم الإخوان أنفسهم ضمن مجموعات تشن حرب عصابات تشمل
صحراء النقب بأكملها . ولقد باشروا بتنفيذ هذه الخطة ومضوا يخرجون في عصابات
قوية تدمر شبكات المياه وتنصب الكمائن على طرق المواصلات ، واستطاعوا بذلك
تدمير عدد كبير من قوات العدو وآلياته . واضطروا العدو بالتالي إلى تعيين دوريات
ميكانيكية وقوات كبيرة من المشاة لحماية منشآتهم . . وكانت بالطبع فرصة الإخوان
التي ينتظرونها . .

" القائد أحمد عبد العزيز "

لم تسمح الحكومة المصرية لمزيد من كتائب الإخوان بالانتقال إلى فلسطين ، ولكن
الضغط الشعبي الذي أحدثه الإخوان اضطر الحكومة للموافقة على تشكيل فرق من
المتطوعين يقودها ضباط من الجيش ، تتولى الجامعة العربية تدريبها والانفاق عليها . .
ورحب الإخوان بالفكرة وتدفق متطوعوهم . . وامتلأت بهم ساحات المركز العام
وكان يشرف على تنظيم هؤلاء المجاهد الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين
وقائد وحداتهم العسكرية .

وفي ٢٥ أبريل ١٩٤٨م تحركت أول كتيبة إلى الميدان بقيادة البكباشي أحمد عبد
العزيز . أصبحت هذه الكتيبة من أنشط الكتائب في مواجهة العدو . . ويعود الفضل
في ذلك إلى طبيعة المتطوعين وشوقهم للجهاد والاستشهاد . . وطبيعة قائد الكتيبة
أحمد عبد العزيز الذي كان على درجة عالية من الشجاعة التي تصل إلى حد المغامرة
والتهور .

بدأ أحمد عبد العزيز البداية الخاطئة نفسها التي بدأتها كتيبة الإخوان الأولى من قبل فهاجم كفار ديروم المستعمرة اليهودية الهامة واضطر أن يدفع ثمنا باهظا تمثل في أكثر من سبعين شهيدا من خيرة شباب الإخوان وحوالي خمسين جريحا كان من بينهم البطل معروف الحضري .

بعد هذه المعركة عاد أحمد عبد العزيز إلى حرب العصابات . . يضرب العدو في ساحات مكشوفة . ولقد أزعج اليهود إزعاجا شديدا وحرم عليهم التجول في صحراء النقب .

كان مقدرا لهذه القوات أن تقوم بدور أكثر فعالية . . لولا أنها التحقت بقوات الجيش المصري الذي دخل فلسطين . . وولاه قائد الجيش (أحمد محمد علي المواوي) قيادة منطقة بئر السبع بشرط أن لا يتجاوزها إلى الشمال . ومع ذلك فعندما استنجد به أهل الخليل أرسل قواته إلى هناك . مما فاقم الخلاف بينه وبين الجيش وقائده المواوي لأن هذه المنطقة كانت من المناطق التي يشرف عليها الجيش الأردني .

أحمد عبدالعزيز في الخليل وبيت لحم

اتخذ أحمد عبد العزيز من مدينة بيت لحم مركزا له ، بينما كانت القوات الأردنية تتخذ من دير (مار الياس) الواقع شمالي المدينة مقرا لقيادتها ، وكان الجيش الأردني مشتبكا مع مستعمرة (رامات راحيل) على طريق بيت لحم – القدس غير إنه فشل في اقتحامها . . فقرر أحمد عبد العزيز القيام بهذا الأمر . بدأ الهجوم يوم ٢٤ مايو وانتهى يوم ٢٦ مايو ١٩٤٨م دمرت فيه المستعمرة ومني العدو بخسائر هائلة فقد زاد عدد قتلاه عن مائتي قتيل مقابل تسع شهداء من الإخوان . . وعندما هاجم اليهود مقر القيادة الأردنية في مار الياس واحتلوها . . لم يجد الإخوان بدا من معاودة احتلالها . . كما هدموا أبراج تل بيوت القريبة . وبينما كان المجاهدون يعدّون أنفسهم للوثوب إلى

القدس الجديدة إذ بالدول العربية تقبل الهدنة الأولى لمدة أربعة أسابيع اعتبارا من ١١ يونيو١٩٤٨م.

في الهدنة الأولى التي فرضها مجلس الأمن وقبلتها الحكومات العربية . . لم يتزود اليهود بما يحتاجونه من الاسلحة والعتاد واستقدام المقاتلين والضباط من الخارج فقط . . بل واغتنموا فرصة وقف اطلاق النار ليحتلوا كثيرا من المواقع الهامة الاستراتيجية بحجة أن الذين يقومون بذلك عصابات غير نظامية . . وبهذا الاسلوب احتلوا العسلوج وهي بلدة هامة جدا بالنسبة لمواصلات الجيش المصري . . ولقد حاول الجيش اعادة احتلالها فأخفق . . ومع ذلك تمكنت قوة الاخوان بقيادة الضابط الملازم يحيى عبد الحليم من تحريرها وتكبيد العدو خسائر فادحة .

حاول اليهود يوم ١٨ أغسطس ١٩٤٨م احتلال جبل المكبر في القدس والهجوم على مرتفعات صور باهر حيث ترابط قوات الاخوان لأخذهم على حين غرة . واستطاع الإخوان بقيادة محمود عبده أن يكبدوا اليهود خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات . . حاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم مضاد ولكن قوات الإخوان حطمته وفرضت الأمر الواقع .

وفي قمة المجد وفي ذروة الانتصارات التي حققها الاخوان بقيادة أحمد عبد العزيز . تصيب رصاصة تنطلق بطريق الخطأ القائد . . فيستشهد من فوره . .

لم يكد الخبر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجميع ، وبكاه كل فرد في الجيش . . وكان الإخوان أكثر حزنا عليه وألما لفراقه . وبموته طويت صفحة من أمجد صفحاتنا العسكرية ودفن في غزة حيث احتل جميع قلوب الاخوان وأهل فلسطين معهم . . رحمه الله رحمة واسعة .[1]

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٥ .

كتيبة المتطوعين الثانية

تم تدريب هذه الكتيبة التي كان على رأسها الأخ صلاح البنا ، وكان مقررا لها أن تستقر في مدينة بئر السبع . . وعندما استشهد أحمد عبد العزيز تقرر دمجها مع كتيبته وضم المتطوعين الآخرين من السودانيين والليبيين إليها وتمركزت في مدينة الخليل وقد اطلق عليها "القوة الخفية" . وقد حافظت هذه القوة على منطقة الخليل وبيت لحم وقامت بتسليمها لقوات شرق الأردن بعد إعلان الهدنة .

الهجوم على صور باهر مركز قيادة الإخوان

في منتصف أكتوبر كانت الجبهة الجنوبية مسرحا لعمليات واسعة النطاق ، هوجمت فيه الفالوجة بعنف شديد وتعرضت المجدل لقصف جوّي مركز ، وحاول اليهود السيطرة على صور باهر مركز قيادة الإخوان . .

ولكن الإخوان نجحوا في صد هجمات العدو وألحقوا بهم خسائر كبيرة . وقد أمرت قيادة الجيش المصري باطلاق اسم (تبة الإخوان المسلمين) على مرتفع مشرف كان يطلق عليه اسم (تبة اليمن) يشرف على كامل المنطقة ، حاول العدو احتلالها وتمكن الإخوان من استخلاصها .

يئس العدو من اقتحام الخليل وبيت لحم لوجود الإخوان فيها . . ولكنه نجح في هجومه على مناطق أسدود والمجدل التي يتواجد فيها الجيش المصري . . كما تمكن من الايقاع بقوة كبيرة حاصرها في الفالوجة وظل يحاصرها حتى نهاية الحرب . (١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٣ .

قرار حلّ الإخوان المسلمين

ومكافأة للإخوان على هذه التضحيات العظية التي بذلوها في ميدان الجهاد في فلسطين . . فقد قامت حكومة النقراشي بحلّ جماعة الإخوان المسلمين في مصر . . وجاء للإخوان أمر من فضيلة المرشد أن يتركوا مصر لمن فيها وأن ينصرفوا لجهادهم وأن لا يتأثروا بالأحداث فالجهاد أولى . . .

هل يستطيع الانسان أن يقارن بين هذه النوعية السامقة من الرجال . . وبين هؤلاء العملاء الذين كانوا يخدمون أسيادهم مقابل مكاسب تافهة من جاه أو مال !!

أقرت الهدنة . . وعادت قوات الإخوان . . ولكن ليس إلى مصر لتستقبلهم وتضمهم إلى صدرها بما قدّموا من تضحيات . . ولكن إلى معسكرات الاعتقال في رفح والعريش !

انسحاب الجيش المصري

بعد أن تجمعت قوّات المتطوعين في بيت لحم والخليل ، لم يبق مع القوات الرئيسة المصرية سوى قوات الإخوان التي كان يقودها الأستاذ كامل الشريف . كانت مهمة الإخوان تتلخص في إرباك مستعمرات النقب واشغالها في الدفاع عن نفسها ، حتى لا تفكر في الانقضاض على مؤخرة الجيش وهو مشغول بمعاركه الأمامية في مناطق أسدود والمجدل والفالوجة ، كانت المعارك بين الإخوان واليهود في تلك الفترة في عنفوان شدتها خاصة والإخوان لم يكونوا مقيدين بقرارات هيئة الأمم والهدنة الظالمة المفروضة . كما اشترك الإخوان مع الجيش المصري في عدد من معاركه الهجومية . . في أعقاب الهدنة الأولى والثانية استقدم اليهود أنواعا متطورة من الأسلحة قلبت ميزان القوة . . الأمر الذي دفع الجيش المصري إلى التخلي عن مناطق المجدل واسدود وتجميع قواته في منطقة (رفح – غزة) تاركا وراءه خمسة آلاف جندي محاصرين في منطقة الفالوجة .

وإلى جانب اعتبار هذا الانسحاب فشلا ذريعا للجيش المصري . . إلاّ إنه يشكل أيضا إشارة استفهام ضخمة خاصة وقد ترتب عليها ضياع مدينة بئر السبع ، وإعطاء اليهود فرصة التجمع في مستعمرات النقب ، وما أعقب ذلك من انهيار القطاع الجنوبي (عسلوج – العوجا) ثم اقتحام اليهود لحدود مصر الشرقية والزحف حتى مشارف العريش [(١)] .

لم يبق في الميدان غير قوات الإخوان . . التي اتفقت عبر قائدها الاستاذ كامل الشريف مع المواوي قائد الجيش بأن يكتب الأخير إلى الأمانة العامة للجامعة العربية لاستقدام كتيبة أخرى من قوات الإخوان . . لإحداث التوازن المطلوب مع قوة اليهود . . وكتب المواوي . . وحمل الخطة الشيخ محمد فرغلي رئيس الإخوان في فلسطين إلى مصر ليعمل على تجهيز هذا العدد الكبير من شباب الإخوان للاحتفاظ بالمنطقة الباقية من فلسطين .

وبينما كان الجيش المصري في فلسطين ينتظر قدوم الإخوان لانقاذه . . صدر الأمر من القاهرة بسحب الإخوان من كافة مواقعهم وإرجاعهم إلى المعسكرات . . لم يجد قادة الإخوان . . ولا قائد الجيش الجديد في فلسطين اللواء فؤاد صادق . . تفسيرا لما يحدث . . إنها الخيانة . . التي نرى اليوم مجرد فصل من فصولها . . وستتبعها فصول أخرى .

واحتل اليهود جميع المواقع الهامة والاستراتيجية التي كان يحتلها الإخوان . . وأصبح الجيش المصري تحت رحمة نيرانهم ، أما لماذا فعل النقراشي ذلك فلأنه وضع خطة لإبادة الإخوان المسلمين .

كان المرشدالعام يعدّ العدة لدخول فلسطين بجيش إسلامي كبير ولكنهم عاجلوه . . وكانوا أسبق منه للأسف الشديد .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩١ .

كانت خطة القيادة السياسية في القاهرة بأن يجرد الجيش الإخوان من أسلحتهم . . ولكن قيادة الجيش . . لم تر ذلك وكيف يفعلون وهم رفاق دربهم في الجهاد والمجموعة التي كانت تحمي ظهورهم في أوقات الخطر .

استمر الإخوان في فلسطين يمارسون دورهم الجهادي المطلوب . . بالرغم من عمق المأساة وغور الجراح . وانتهت معركة الحق والباطل بأن قتلوا الإمام الشهيد وحوّلوا أبطال الإخوان المجاهدين إلى معسكرات الاعتقال . . ليكونوا عبرة لمن يعتبر ولكل من تسول له نفسه بأن يرتكب جريمة الجهاد في ظل الطغاة .



الإمـام حســن البنا

الحركـــة الإسلاميـــة
في الضفة الغربية وقطاع غزة

كتب الكثيرون حول المحن المتلاحقة التي حلّت بالإخوان المسلمين منذ أربعينات هذا القرن وحتى اليوم . . وأرجعوها في معظم أسبابها إلى موقف الإخوان من حرب فلسطين ، فقد كشفوا قوتهم للأعداء . . ودخلوا حربا معروفة النتائج على حدّ ادعائهم.

وهذا المنطق صحيح ولا شك من وجهة نظر الانتهازيين . . ولكنه منطق مرفوض من حركة الإخوان التي جعلت الجهاد في سبيل الله لتحرير الأوطان من أولى واجباتها المقدسة .

بعد احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م أصبح إخوان الضفة الغربية جزءا من تنظيم الإخوان في الأردن . . وأصبح إخوان غزة على ارتباط مع الإخوان في مصر .

* الطلاب الفلسطينيون (ومعظمهم من قطاع غزة) الذين تلقوا دراستهم في الجامعات المصرية ، شكلوا رابطة الطلبة الفلسطينيين بالقاهرة والتي سيطر على مجلس إدارتها الإخوان أو أصدقاؤهم وكان من أبرز هؤلاء ياسر عرفات وسليم الزعنون وصلاح خلف وعبد الفتاح الحمود . . وقد أصبح هؤلاء المؤسسين لحركة فتح فيما بعد .

* في السنوات اللاحقة ، ورغم ظروف العمل السري ، شارك الإخوان في قطاع غزة بفعالية في إفشال مشروع سيناء للتوطين لعام ١٩٥٥م (وهو مشروع اتفقت عليه الحكومة المصرية ووكالة الغوث في يونيو ١٩٥٣ يرمي إلى توطين اللاجئين من سكان غزة في سيناء) . كما شارك الإخوان في إفشال مشروع التدويل لعام ١٩٥٧ (وهو مشروع ليستر بيرسون وزير

خارجية كندا تقدم به للأمم المتحدة عام ١٩٥٦ يطالب بتدويل القطاع)[1]

معسكرات الشيوخ في الأردن

كانت فلسفة التحرير عند الإخوان في فلسطين تقوم على نظرية قيام دولة إسلامية تتولى تحرير فلسطين . ومن هذا المنطلق وقف الإخوان في غزة موقف الخصم لحركة فتح . . على الرغم من أن هذه الأخيرة رفعت شعارات الجهاد والتحرير وهي بالأساس شعارات الإخوان المسلمين .

بعد حرب عام ١٩٦٧م . . وتصاعد العمل الفدائي في الأردن . . اتخذ المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين قرارا بإحداث معسكر تحت مظلة فتح يقوم الإخوان فيه بتدريب عناصرهم والمشاركة في الجهاد على أرض فلسطين .

ولقد انضمت عناصر قليلة نسبيا للمعسكر كان أكثرهم من إخوان سوريا وقليل منهم من إخوان الأردن والسودان واليمن والكويت . . بينما لم يشارك تنظيم الإخوان الفلسطينيين في هذا الجهاد . . لأنه من وجهة نظرهم مخالف لفلسفتهم في تحرير فلسطين .

كان قائد المعسكر الشهيد صلاح حسن . . وهو من خيرة الشباب المصري المجاهد . ولقد استطاع بنشاطه وحيويته وروحانيته ، أن يحرك الخمول الذي ران على قلوب الإخوان خلال سنين المحن والانغلاق ، وإذا بمعسكرات الشيوخ (كما كانوا يسمونها) تعيد الحيوية لشباب الإخوان . . وإذا بهؤلاء الشباب يسجلون من جديد علامات فارقة في عمليات مميزة أحسّ العدو لسعها وعمق تأثيرها . . وذكرته بعمليات إخوانهم من قبل في النقب والخليل وصور باهر عام ١٩٤٨م .

---

(١) الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة – د. زياد أبو عمرو ص ٢٦ .

إن هذا الإقبال المحدود من بعض أفراد الإخوان المسلمين على العمل العسكري الجهادي في فلسطين أحدث آثارا عميقة الغور في تشكيلات الإخوان في مختلف البلدان فيما بعد . فتشكيلات الطليعة المقاتلة في سوريا . . وعمليات أسرة الجهاد في فلسطين . . وحوادث جزيرة أبا في السودان وغيرها . . لم تكن سوى إفرازات لهذه المشاركة الإخوانية في العمل الفدائي الجهادي خلال الفترة ١٩٦٩م — ١٩٧٠م. (١)

يروي الأخ الشهيد عبد الله عزام في كتابه حماس (الجذور التاريخية والميثاق) بعض خواطره عن هذه الفترة فيقول :

" عندما حدث الاصطدام بين الجيش الأردني والفدائيين ، ودخل الجيش لضرب قواعدنا . . جاء الأهالي في المناطق التي كانت قواعدنا في أكنافهم وقالوا : نحورنا دون المسّ بهم وصدورنا دون إيذائهم ، لقد عرفناهم معلمين لابنائنا ، وأئمة وخطباء لمساجدنا ، وحرّاسا أوفياء لقرانا ومزارعنا " . (٢)

كان دايان وزير الدفاع اليهودي أرسل بعض المراسلين الأجانب في جولة على الحدود مع الأردن ليثبت لهم كيف قضوا على العمل الفدائي . . وإذا بالشيوخ يخرجون من باطن الأرض ليثبتوا لديان كذب ادعائه وليوقعوا بالعدو خسائر كبيرة . .

كان القائد أبو عمرو (صلاح حسن) يعد لعملية سيّد قطب . . ورتب الخطة وأشرف بنفسه على التجهيزات وزرع الصواريخ ، ولكن قدر الله عاجله فسقط شهيدا . . دون أن يحقق أمنيته في تنفيذ عملية سيد قطب .. وشيعت جنازة الشهيد بوداع مهيب في مطار عمان . . وفي مطار الكويت . . حيث دفن هناك .

---

(١) يراجع في ذلك كتاب الحركة الإسلامية في البلاد العربية — عبد الله أبو عزة .

(٢) حماس — الجذور التاريخية والميثاق — د. عبد الله عزام ص ٨٦ .

وقبل أن نغادر كتاب شهيدنا عبد الله عزام أحد العناصر المسؤولة الفاعلة في هذا العمل . . نحب أن نسجل رأيه في جهاد الحركة الإسلامية عام ١٩٦٩م فيقول : والحق أن الدعوة قصّرت من ناحيتين :

الأولى : أنها تأخرت في التحرك للجهاد ، وسبقتها المنظمات العلمانية والقومية والشيوعية التي يجمعها جميعا العداء للإسلام ومحاربة الخط الإسلامي . .

الثانية : أن عدد المسلمين كان قليلا في منظمة فتح . . كانت المنظمات اليسارية تتحدانا وتؤذينا والحق أنه لولا الله ثم يافطة فتح لمزقونا إربا إربا أو لمنعونا من الجهاد . . وكان الأولى بأبناء الحركة الإسلامية أن يستفيدوا من هذه الواجهة التي كانت إسلامية المنطلق . . .

وانتهت الحركة الجهادية عام ١٩٧٠م . . فقد صفّى الجيش الأردني قواعد الفدائيين . . . وتعقبهم إلى جرش في أخر حصونهم . . بينما انسحب الإخوان ولم يروا مقاتلة الجيش الأردني . . وكانت حلقة رائعة وصلت جهاد الماضي بالمستقبل . . حتى لا يبقى في سلسلة الشهادة أي انقطاع .

الصحوة الإسلامية في فلسطين

إن حرب عام ١٩٦٧م واحتلال كامل فلسطين ومعها القدس الشريف ، ومحاولة تهويدها وإحراق مسجدها الأقصى ، وحرب عام ١٩٧٣م ، وانكشاف أمر حكام العرب الذين أمضوا أكثر من عشرين سنة يتاجرون بفلسطين وبتحريرها ، وسقوط الأحزاب العلمانية والقومية الاشتراكية والليبيرالية التي ملأت الساحة ضجيجا فارغا ، كل هذه الأسباب . . وغيرها ، كانت من العوامل التي أيقظت الشعور الديني وأشعلت الصحوة الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية وفلسطين بصورة خاصة .

ولا بأس أن نتناول مراحل هذه الصحوة ، فالتاريخ قد يلقي ضوءا على الأحداث ويفسّر الأمور بطريقة أقرب إلى الصواب . .

أولا : في مرحلة ما بعد عبد الناصر اضطر السادات ، من أجل تحجيم القوى اليسارية والناصرية ، إلى إطلاق حرية العمل الطلابي الإسلامي ، فهو يعلم من خبرته التاريخية أن القوى الإسلامية وحدها هي التي تستطيع أن تقضي على زيف الشعارات والمتاجرين بها . وبدأت التيارات الإسلامية المختلفة : الإخوان المسلمون ، السلفيون ، وفكر التكفير الذي انتجته السجون ، ومجموعات الجهاد التي ترى القتال اليوم وغدا وفي كل الظروف . . بدأت هذه التيارات بالظهور .

كان الإخوان المسلمون ، وهي القوة الرئيسية في مصر وخارجها التي قادت العمل الإسلامي منذ ثلاثينات هذا القرن ، مثخنة بالجراح . . فقد تعرضت إبان الحكم الناصري إلى أقسى وأظلم حملة إبادة يمكن لحاكم أن يقوم بها . . قتلوا قياداتهم . . وزجوا بالآلاف منهم في السجون والمعتقلات . . تعرض أفرادهم للإرهاب المادي والمعنوي والفكري . .

عندما انتهت مرحلة عبد الناصر بدأ السادات يخرج المعتقلين تباعا في محاولة لطي صفحة لم يكن مسؤولا عنها بل ولربما فكّر في استثمارها .

أمام هذا الواقع الجديد . . كان الإخوان يحتاجون إلى التقاط أنفاسهم لبناء مخططاتهم الجديدة على ضوء تجاربهم المريرة . . وفي الوقت نفسه كان عليهم اغتنام كل دقيقة من أوقاتهم حتى لا تنفلت هذه الفرصة من بين أيديهم . . في هذه الأثناء نمت حركات وأفكار إسلامية أخرى مثل :

١ - **الحركة السلفية** .

٢ - **حركة التكفير** التي بدأت في السجون وكفّرت الحكام وفاصلت الإخوان ، وكان يرأس هذه الحركة شكري مصطفى وهي التي قامت في تموز (يوليو) عام

١٩٧٧م بخطف وقتل وزير الأوقاف المصري الأسبق الشيخ محمد الذهبي ، وقد حاولت هذه الحركة الالتفاف حول أفكار سيد قطب وتحميلها أكثر مما تحتمل .

٣- كما وجدت مجموعة صالح سرية وهو فلسطيني من سكان العراق انتقل إلى مصر وقام عام ١٩٧٤م على رأس مجموعة من رفاقه بالاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية في محاولة انقلاب على السلطة في مصر ، ولكن هذه المحاولة التي ذهب ضحيتها ١١ قتيلا و ٢٧ جريحا باءت بالإخفاق .

٤- تنظيم الجهاد

أما تنظيم الجهاد . . فقد قام على أساس أن تنظيم الإخوان المسلمين الذي انطلق مع الإمام البنا عام ١٩٢٨م . . قد دخل في طور التراجع عن مبادئه اعتبارا من عام ١٩٤٩م . . لهذا فقد اعتبرت جماعة الجهاد نفسها الوريث الشرعي لفكر البنا وحركته . أما سيد قطب فيحتل مكانة خاصة لديهم بسبب قدراته الفكرية والعقائدية وقدرته على بلورة جوانب التحدي الذي يواجه المسلمين وكيفية مواجهته (حسب رأيهم) .

ولقد انعكست هذه الأوضاع التي انطلقت من مصر لتأخذ لها صورا موازية في معظم الدول العربية . . وخاصة فلسطين .

وإذا كان للعوامل الخارجية والإقليمية وانتشار الصحوة الإسلامية في معظم الأقطار الإسلامية دور بارز في تنمية الوعي الإسلامي في فلسطين .. إلاّ أن هناك مجموعة من العوامل الداخلية التي أحدثت آثارا لا تقل أهمية عن العوامل الخارجية :

* فبروز التيارات الصهيونية المتعصبة في فلسطين المحتلة ، وسياسات القمع والملاحقة والاعتقال الإداري ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات ،
* ومحاولة تهويد البلد وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وتحدي المسلمين في مشاعرهم ومقدساتهم ومصالحهم ،

* وفشل حركة المقاومة الفلسطينية ، واعتمادها الحلول السلمية على حساب سياسة الكفاح المسلح ،

كل ذلك ساهم في زيادة الوعي الإسلامي . . ولجوء الفلسطينيين إلى الإسلام كملاذ للخلاص . ولقد قامت خلال هذه الفترة عدة مؤسسات إسلامية مثل :

* **الجمعيات الخيرية** التي تشرف على المدارس الدينية ورياض الأطفال والمكتبات والنوادي الرياضية مثل : الجمعيات الإسلامية الشرعية في الخليل ، وجمعية التضامن الخيرية الإسلامية في نابلس وجمعية المسنين في جنين وجمعية الشبان المسلمين في القدس والمجمع الاسلامي في قطاع غزة .

* **لجان الزكاة** التي بدأت تنتشر في أرجاء فلسطين يموّلها أغنياء الفلسطينيين في الخارج والجمعيات الإسلامية في الكويت خاصة وبقية مناطق الخليج الأخرى .

* **الجامعات** في الخليل ونابلس وبير زيت والجامعة الإسلامية في غزة كانت من المنابر الهامة في إبراز رسالة الطالب المسلم الفلسطيني .

* زيادة عدد **المساجد** وتحويلها إلى قاعات للتربية والتعليم .

بروز الحركات الجهادية في فلسطين

أولا - حركة الجهاد الإسلامي

تأثرت حركـة الجهاد الإسلامي في فلسطين بـنظيرتها في مصـر دون أن تكون تابعة لها تنظيميا[(١)] . من أوائل الذين تحدثوا عن ضرورة مواجهة الاحتلال في الأرض المحتلة ودعوا إلى الجهاد ضده كان الشيخ يعقوب قرشي الذي كان على علاقة ما بحركة فتح . بدأ الشيخ قرشي نشاطه عام ١٩٧٧م وجرى اعتقاله وطرده إلى الأردن عام ١٩٧٩م .

وكان هناك الشيخ محمد أبو طير من القـدس الذي كان على علاقة ما بحركة فتح أيضـا ، والشيخ أسعد بيوض التميـمي إمام المسـجد الأقـصى الذي جرى ترحـيله إلى الأردن عام ١٩٧٠م والذي كان مصدر إلهام لكل من آمن بفكرة الجهاد ضد اسرائيل .

عام ١٩٧٩م برز تيـار جديد داخل الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨م ، يقـوده الشيخ عبـد الله نمر درويش باسم (أسـرة الجهـاد) . . هذا التيـار الجهـادي سرعـان ما انتـشر فكانت حـركـة الجهـاد الإسـلامي في غـزة من أصـدائه وآثاره دون أن تكون هناك أي علاقة تنظيمية بين الفريقين . [(٢)]

يعتـبر عام ١٩٨٠م التـاريخ الرسمي لتـأسيس حركـة الجهاد الإسـلامي في فلسطين ويعتبر فـتحي الشقاقي وعبـد العزيز عودة المؤسسون الحقـيقيون لهذه الحركـة أما فتحي الشـقاقي وهو من غـزة ، تخرج من كليـة الرياضـيات من جـامعـة بير زيت وعـمل في التدريس ثم التحق بكليـة الطب في جامعة الزقاقيق وعمل فـيما بعد طبيبا في مـستشفى

---

(١) حسب أقوالهم .

(٢) الحركة الاسـلاميـة فـي الضفــة الغربيـة وقطـاع غـزة – د. زياد أبو عمرو ص ١١١.

المطلع بالقدس ثم في غزة . سجن الشقاقي وأبعد عن بلده في ١ أغسطس (آب) ١٩٨٨م . يقول الشقاقي عن نفسه أنه كان ناصريا ثم أصبح في الإخوان المسلمين ثم اختلف معهم عام ١٩٧٥م وفي عام ١٩٧٩م أصدر الشقاقي وهو (بالمناسبة يعتبر منظر الحركة) ، كتابا بعنوان الخميني : الحل الإسلامي والبديل .

أما عبد العزيز عودة فدراسته شرعية ، عمل محاضرا في الجامعة الإسلامية في غزة اعتبارا من عام ١٩٨١م . كان على صلة بالإخوان ثم تركهم . سجن في اسرائيل عام ١٩٨٤م .

وإذا كان الشقافي هو المسؤول الفكرى والعسكري للحركة فإن عودة هو الزعيم الروحي ويتمتع بشخصية جذابة ولديه قدرة فائقة على الخطابة .

أفكار حركة الجهاد الإسلامي

باعتبار الحركة فرع من شجرة الإخوان المسلمين . . فإن فكر الحركة مستمد من الأصول الإسلامية وفق الفهم الذي أصّله الإخوان المسلمون . ومع ذلك فإن ثلاثة شخصيات إسلامية تحظى باهتمام خاص لدى قادة الحركة وأتباعها . . وهم حسن البنا كزعيم إسلامي مؤسس للاتجاه الإسلامي الحديث وسيد قطب الذي تشكل كتاباته دليلا لأفكار حركة الجهاد وممارساتها ويتضمن كتابه – معالم في الطريق – تحليلا ثوريا يدعو صراحة إلى السير على طريق جديد يختلف عن الطريق الذي خطته جماعة الإخوان المسلمين (حسب رأيهم) . والشيخ عز الدين القسام الذي هرب من سوريا بعد مقارعته الاستعمار الفرنسي واستقر في حيفا حيث عمل واعظا في جامع الاستقلال . . وشكل عصبة الجهادية . . ونادى منذ البداية بالتصدي للاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني في فلسطين .

ويعتقد أبناء حركة الجهاد أن هناك تشابها كبيرا بين حركة القسام وحركتهم .

ويعتقدون أن عصبة الجهادية أحرجت الزعامات التقليدية في فلسطين في عصرها بممارسة الجهاد . . كذلك فإن حركة الجهاد الإسلامي فعلت الشيء ذاته بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

وكما كانت ثورة القسام في جبال يعبد واستشهاده عام ١٩٣٥م حافزا للثورة الفلسطينية التي تفجّرت عام ١٩٣٦م واستمرت حتى عام ١٩٣٩م ، فإن العمليات الجريئة التي قامت بها حركة الجهاد الإسلامي هي التي حفّزت قيام الانتفاضة في ديسمبر ١٩٨٧م . وهي التي دفعت الإخوان المسلمين لسلوك الطريق ذاته حتى لايخسروا شبابهم .(١)

ومن ناحية ثانية فقد تأثر فكر حركة الجهاد بالثورة الإسلامية في إيران ، فقد كانت الثورة مصدر إلهام لهم على صعيد الفكر والممارسة . فقد سعى مؤسسو حركة الجهاد منذ البداية إلى استيعاب واستلهام تعاليم الإمام الخميني ، الذي رأوا فيه رمزا وملهما وقائدا للثورة الإسلامية ، ليس في إيران فحسب بل في كل مكان .

وأخيرا فإن فكر الحركة تأثر بكتاب (الفريضة الغائبة) لمؤلفه محمد عبد السلام فرج أحد مؤسسي حركة الجهاد في مصر والمسؤول عن إصدار أمر اغتيال السادات . ولقد كان لهذا الكتاب أثر هام في نفوس الشباب لأنه يعزز الثقة بالنفس في مواجهة الضياع والعزة في مواجهة الذل ، والكرامة في مقابل المهانة والقوة في مواجهة العجز (٢) .

ومن وجهة نظر أتباع الجهاد الإسلامي فإن الذين أخرجوا اسرائيل من جنوب لبنان هم المسلمون ، وأن مواجهة الكيان الصهيوني التوراتي حتى النخاع لا يمكن أن يتم إلاّ

---

(١) زياد أبو عمرو (المرجع السابق) ص ١٢٢ .

(٢) الاتجاهات الدينية ودورها في العمل الوطني - سلامة أمين العدد ١٩٩ ص ٢٧.

من خلال العقيدة الإسلامية وحرب التحرير الشعبية . وفي كتاب " الخميني : الحل الإسلامي والبديل" يورد الشقاقي فتوى أصدرها الخميني تتحدث عن الواجب الديني في السعي لإزالة الكيان الصهيوني . وطبقا للزعيم الروحي للجهاد (عبد العزيز عودة) تتمثل مشكلة المسلمين اليوم في التحدي الغربي الحديث ، وأن أمام المسلمين اليوم غايات وأهداف . والغايات هي غايات قصوى تتمثل في إرضاء الله وغايات دنيا تتمثل في إحداث بعث إسلامي في العالم . أما الأهداف فتتكون من هدف بعيد يرمي إلى تجاوز أزمة التحدي الغربي الحديث وهدف يرمي إلى إقامة الدولة الإسلامية وإقامة السلطان السياسي الإسلامي . وأن الإسلام هو الحل الحتمي والوحيد(١) .

لقد اختار الإخوان المسلمون طريق الهدى (الايمان والعقيدة) ولم يختاروا طريق الجهاد ، بينما اختار الاتجاه الوطني طريق الجهاد وابتعد عن طريق الهدى ، وتكمن خصوصية الجهاد الإسلامي في التركيز على العلاقة الجدلية وطريق الهدى(٢) .

أما بالنسبة لفلسطين ، فتمزج " اديولوجية " الجهاد بين الدين والوطنية وتتطلع إلى إقامة دولة إسلامية في فلسطين وإبادة ومحاربة الصهيونية باعتبار ذلك جزءا من الجهاد .

استراتيجية الجهاد في فلسطين

تعتبر حركة الجهاد الإسلامي فلسطين قضيتها المركزية . يقول الشيخ عودة : " أنا مسلم فلسطيني ، وأعتبر فلسطين أهم وطن في العالم الإسلامي ، وآمل أن تقوم فيها دولةإسلامية " . وهي تنظر للقضية الفلسطينية باعتبارها قضية إسلامية عامة ، وليست

---

(١) الخميني : الحل الإسلامي والبديل – فتحي الشقاقي .

(٢و٣) د. زياد أبو عمرو (المرجع السابق) ص ١٢٥ .

قضية وطنية أو قومية . . وحل هذه القضية يكون من خلال حرب تحرير شعبية إسلامية تؤدي إلى تدمير اسرائيل وإنشاء دولة إسلامية في فلسطين .[1]

وترى الحركة أن الإنسان اليهودي الذي جاء إلى فلسطين لإقامة اسرائيل على أنقاض شعبها . . إنما هو إنسان عقائدي تحركه عقيدته لاستعادة وطنه (حسب زعمه) الذي حدده له إله إسرائيل منذ عهد قديم . . ويقف بالمقابل الانسان العربي في فلسطين الذي جردته انظمته من انتمائه العقائدي والتاريخي الحقيقي ، جردته من ثلاثة عشر قرنا من التاريخ والحضارة وأعطته خمسين عاما من التشويه والقلق الفكري والانتماءات التغريبية المتناقضة[2] .

وتؤمن حركة الجهاد الإسلامي بالكفاح المسلح كاستراتيجية للعمل السياسي . ولا تتمسك بمبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية قبل قيام الدولة الإسلامية في فلسطين . . ففلسطين المحررة عندها قبل فلسطين المسلمة .

ولقد قامت الحركة بعمليات عسكرية جريئة في إطار هذه الاستراتيجية مثل عملية باب المغاربة بتاريخ ١٥ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦م[3] .

أما علاقة الحركة بمنظمة التحرير فتتسم بشكل عام بنوع من الغموض والازدواجية . . وربما عكس ذلك إلى حد كبير موقف الثورة الإيرانية من المنظمة الذي كان موقفا وثيقا في البداية ثم مالبث أن اعتراه نوع من الجفاء .

ويعتقد كثيرون أن علاقات وطيدة تربط الحركة بمنظمة فتح وربما برئيس المنظمة . . وأن

---

(١) د. زياد أبو عمر (المرجع السابق) ص ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٣) وإن كانت هذه العملية الضخمة التي جرح فيها حوالي سبعين من الجندين الاسرائيليين تدّعي منظمة سرايا الجهاد أنها من عملياتها .

المنظمة تعتمد عليهم وتثق بهم أكثر بكثير مما تعتمد أوتثق بمنظمة حماس . بل ولقد صرّح ياسر عرفات أكثر من مرة بأن منظمة الجهاد الإسلامي ليست أكثر من تنظيم ديني تابع لحركة فتح .

الانتفاضة في ديسمبر
(كانون الأول) ١٩٨٧م

والانتفاضة هي تحرك جماهيري فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، شارك فيه العجوز الشيخ والطفل الصغير ، والمرأة العجوز إلى جانب الفتاة الشابة ، وباختصار شارك فيه الشعب الفلسطيني بأكمله ، سلاحه الحجر يرمي به العدو الاسرائيلي المدجج بكل أنواع الأسلحة .

ولقد ادعت كل الفئات العاملة على الساحة الفلسطينية أنها صاحبة الانتفاضة ، المنظمات المختلفة ، ومنظمة التحرير ، ومنظمة الجهاد الإسلامي ومنظمة حماس الإسلامية .

والانتفاضة هي أهم تحرك فلسطيني معاد لاسرائيل بعد عام ١٩٤٨م ولهذا فهي تستحق مزيدا من الدرس والتحليل .

" منظمة حماس "

ولدت منظمة حماس . . مع مولد الانتفاضة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧م تقريبا . ولقد ذكر ميثاق حماس بأنها الجناح العسكري للإخوان المسلمين . ولا بأس أن نستعرض أهم النقاط في هذا الميثاق .

" مقتطفات من ميثاق حماس "

المادة الثانية : حركة المقاومة الإسلامية (حماس) جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي ، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث .

المادة الثالثة : تتكون البنية الأساسية لحماس من مسلمين أعطوا ولاءهم لله .

المادة الرابعة : ترحب حماس بكل مسلم رغب أن ينخرط في صفوفها لأداء الواجب وأجره على الله .

المادة السادسة : حركة حماس حركة فلسطينية متميزة تعطي ولاءها لله ، وتتخذ من الإسلام منهج حياة .

المادة السابعة : وحركة المقاومة حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام ، وترتبط بجهاد الفلسطينيين وجهاد الإخوان المسلمين عام ١٩٤٨م ، والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين عام ١٩٦٨م .

المادة الثامنة : شعار الحركة : الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا .

المادة التاسعة : أما الأهداف : فهي منازلة الباطل وقهره ودحره ، ليسود الحق . . وتقوم دولة الإسلام .

المادة الحادية عشرة : تعتقد حماس أن الوطنية جزء من العقيدة الدينية . وإذا كانت الوطنيات المختلفة ترتبط بأسباب مادية وبشرية وإقليمية ، فوطنية حماس لها كل ذلك ولها فوق ذلك أسباب ربانية تعطيها روحا وحياة .

المادة الثالثة عشرة : تتعارض المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤثرات الدولية لحلّ القضية الفلسطينية مع عقيدة حماس . لا حل لقضية فلسطين إلاّ بالجهاد .

المادة الثالثة والعشرون : تنظر حركة حماس إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير ، فهي إن اختلفت معها في جانب ، اتفقت معها في جوانب .

المادة الرابعة والعشرون : لا تجيز حركة حماس الطعن أو التشهير بالأفراد

أو الجماعات .

المادة الخامسة والعشرون : تبادل حماس الحركات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية الاحترام وتقدر ظروفها والعوامل المحيطة بها وتشد على يدها مادامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو للغرب الصليبي .

وتطمئن حماس كل الاتجاهات الوطنية بأنها لها سند وعون ولن تكون إلاّ كذلك قولا وعملا ، حاضرا ومستقبلا ، تجمع ولا تفرق ، تصون ولا تبدد ، توحد ولا تجزئ .

المادة السابعة والعشرون : منظمة التحرير من أقرب المقربين إلى حركة حماس . فوطننا واحد ومصابنا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك . وتأثرا بالظروف فقد تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية وهي مناقضة للفكرة الدينية وعلى الأفكار تبنى المواقف . ومن هنا ومع تقديرنا لمنظمة التحرير وعدم التقليل من دورها ، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية .

ويوم تتبنى منظمة التحرير الإسلام كمنهج حياة فنحن جنودها ، وإلى أن يتم ذلك ، فموقف حماس من منظمة التحرير هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه .

المادة الثامنة والعشرون : تطالب حماس الدول العربية المحيطة باسرائيل بأن تفتح حدودها أمام المجاهدين . أما الدول العربية والإسلامية فمطالبة بتسهيل حركات المجاهدين .

موقف الإخوان الفلسطينيين

ومما لا شك فيه أن قيام حركة حماس كجناح عسكري للإخوان المسلمين في فلسطين وتصديه لقوات الاحتلال الاسرائيلية ، هو موقف جديد يختلف كليا عن موقف الحركة السابق . .

* فيوم قامت عناصر من الإخوان المسلمين في غـزة يرفعون راية الجهاد لتحرير البلد ، وقدّموا في ذلك مـذكرة لقيادة الحركـة في غزة ، رفض هؤلاء المذكرة واتخذوا مـوقفا عدائيا من حركة فتح . . كان له أسوأ الآثار على مستقبل العمل الجهادي وعلى مستقبل فتح ذاتها .

* ويوم تجـمعت العنـاصر الإسـلاميـة من مـختلف المناطـق الإسلاميـة عـام ١٩٦٨م ، وأقـامت مـعـسكرات الشـيـوخ فـي الأردن تحت يافطة فـتح ، وكـان بـامكان هذه المعسكرات أن تستقطب خيـرة الشبـاب المسلم من أنحـاء العـالم .. ومع ذلك وقف الإخوان المسلمون الفلسطينيون ضد هذا الاتجاه وحاولوا إجهاضه . [1]

* وكـانت نظرة الإخـوان الفلسطينـيين تتلخص في أن عـمليـة التـحـرير ليـست من اختصاصهم وحدهم . .إنما هي مهمة دولة إسلامية تقوم في المستقبل فتحرر فلسطين .

* ومن نافلة القـول أن هذا الموقف الإخواني الفلسطيني يخـالف سلوكيـات وأدبيات حركة الإخوان المسلمين في أنحاء العالم . .

* فالإخوان يعـتبرون فلسطين بلدا إسلاميا لا يجوز التفـريط فيه ، ولقد اشـتركوا في الجهـاد لتحـرير فلسطين كلمـا تمكنوا من أداء هذا الواجب المقدس . وتعـاونوا من أجل هذا الهدف مع كل القـوى العربية والإسلاميـة والفلسطينية والوطنية ، ففي مـعركة أداء الواجب لا ينظر المسلم إلى المعايير الضيـقة والعنعنات الفارغة . وبالرغم من أن الإخوان المسلمين (وخاصـة في مصر) دفـعوا ثمنا غاليـا لجهادهم في فلسـطين . . إلاّ أنهم تقبلوا ذلك بمنتهى الرضا ولسان حالهم يقول : عجلت إليك ربي لترضى .

أسباب الموقف الجديد

من أهم أسباب الموقف الجديد للإخوان المسلمين الفلسطينيين تجاه القضية

---

(١) الثورة الفلسطينية – جلال كشك ص ٢٩٨ .

الفلسطينية وانشاء منظمة حماس . .

١- تصاعد الوعي الإسلامي في فلسطين كجزء من الصحوة الإسلامية في أنحاء العالم .

٢- الإرهاب الصهيوني وتحكم الأصولية اليهودية بالموقف الاسرائيلي والاسراع في تهويد كامل فلسطين .

٣- قيام منظمات جهادية إسلامية مثل سرايا الجهاد ، ومنظمة الجهاد الإسلامي وغيرها . . مما ترك الإخوان أمام موقفين لا ثالث لهما : إما أن يستمروا في أفكارهم ويخسروا بالتالى شبابهم . . وإما أن يقوموا هم أنفسهم بالعمل الجهادي . . وهكذا كان . . وكذلك قامت حماس .

حماس النبتة المباركة

إن نشوء حماس ، وقيامها بدور أساس في توجيه الانتفاضة في فلسطين منذ ديسمبر ١٩٨٧م ، يعتبر عملا مباركا يستحق كل التقدير والعرفان . . ومما لا شك فيه أن قيادة حماس المتمثلة في الشيخ المجاهد أحمد ياسين والشيخ الجليل محمد صيام رئيس الجامعة الإسلامية في غزة وغيرهم من الجنود والقادة المجهولين هي التي تستحق وسام الاستحقاق الإسلامي . . فقد أقاموا هذه المنظمة رغم قسوة الظروف وشراسة العدو وتهديد الصديق !

ولنقرأ معا هذه المقابلة مع الشيخ أحمد ياسين لنتعرف عن قرب على أفكار حماس [1] .

---

(١) النهار الفلسطينية ١٩٨٩/٤/٣٠م .

سـؤال : ألا تريد دولة فلسطينية من النهر إلى البحر ؟

الشيخ : أنا أريد دولة فلسطينية .

سـؤال : ماهي حدودها ؟

الشيخ : فلسطين لها حدود معروفة ، هذه هي حدود الدولة الفلسطينية .

سـؤال : أين اسرائيل إذن ؟

الشيخ : اسرائيل في فلسطين .

سـؤال : هل لك أن توضح مفهوم الدولة الفلسطينية في نظرك ؟

الشيخ : الدولة الفلسطينية يجب أن تقوم على كل شبر من فلسطين نحرره ولكن دون أن نتنازل عن باقي حقوقنا .

سـؤال : هل تعترف باسرائيل ؟

الشيخ : لو اعترفت باسرائيل لانتهت المشكلة ، ولن يبقى لي حق في فلسطين .

سـؤال : ولكن إذا انسحبت اسرائيل من الضفة والقطاع ، هل ستعترف بها ؟

الشيخ : لكل حادث حديث .

سـؤال : ولكن عندئذ هل يجب الاعتراف بها ؟

الشيخ : أترك هذا للشعب الفلسطيني .

سـؤال : من هم ؟

الشيخ : الذين سينتخبهم الشعب الفلسطيني .

عقبات في الطريق

وككل أمل عزيز وككل نبته مباركة ، تحتاج (حماس) حتى تتحول إلى حركة

تحريرية جهادية تعيد فلسطين مرة أخرى من فم التنين . . إلى الانتباه إلى بعض الأمور :

١- إن قضية فلسطين هي أخطر قضية في العالم ، وأن القوى التي تقف وراء اليهود لابقاء اسرائيل قوة عظمى في المنطقة هي جميع القوى الصليبية المتحكمة بميزان القوة العالمي . . أمام ذلك لا بد من تقييم القضية الفلسطينية في هذا الإطار وضمن هذه الإمكانات .

٢- جميع الحكومات العربية المحيطة باسرائيل أو التي خلفها ، اعتبارا من عام ١٩٤٨م وحتى الآن . . إنما تروّض شعوبها للاعتراف باسرائيل وإنهاء القضية الفلسطينيّة ، ولعلّ نظرة على مجازر الفلسطينيين في الأردن ولبنان والعراق وسوريا . . وهي أكبر بما لا يقاس بالمجازر التي حدثت لهذا الشعب في بلاده . . هي علامات بارزة لهذه الخطة .

٣- لا يصح أن ينظر إلى فتح أو منظمة التحرير على أنها مجموعة انشقت عن الإخوان ، فتستحق منا كل العداء . . ولاننظر إليها كعدو نسوّي بينها وبين الأعداء . . كل ذلك تطرف ، قد يقول به بعض الشباب الذين لم يدركوا الأبعاد السياسية في القضية الفلسطينية ، ولكنه بكل تأكيد قول لا تتبناه حركة جهادية تحب أن تساهم في تحرير فلسطين .

٤- إن لمنظمة حماس دورا مختلفا عن دور منظمة التحرير . .

فللمنظمة دور سياسي بنته على مدى ثلاثين سنة . . وهي اليوم في نظر الكثيرين داخل فلسطين وخارجها تمثل الشعب الفلسطيني . . وتحاول المنظمة بكل قدراتها الاستفادة من هذا الدور .

ولحماس أيضا دور آخر . . دور المجاهد الذي يريد أن يركز راية كفاحه على أرض الرباط . . فتستمر شعلة الجهاد عالية لا تنحني . **وهما دوران متوازيان وليسا متقاطعين ، يكمل أحدهما الآخر والتفاهم على هذا الأساس ضرورة مصلحية وسياسة شرعية .**

٥- إن هناك منظمات إسلامية ذات منطلقات مغايرة قليلا لمنظمات حماس مثل سرايا الجهاد ومنظمة الجهاد الإسلامي وغيرها . . فلا يصح أن نقف منها ذات الموقف الحزبي الذي لا يحب لغيره أن يعمل في ساحته . .

٦- قضية الجهاد الحقيقي غير شعارات الجهاد ، وعليه ينبغي على حركة المقاومة الفلسطينية أن تنادي بشعارات فلسطين المحررة قبل فلسطين الإسلامية . فالإسلام لا يطبق في واقع الحياة بمجرد رفعه كشعار . . ولكنها تستطيع أن تجمع كل الناس حول شعار التحرير . .

٧- ليس صحيحا أن فلسطين وقف إسلامي . . وأنه خالص للمسلمين . فالعهد العمري أعطى للنصارى ما كان لهم قبل الفتح . . فالنصارى شركاء معنا في البلد . . وبامكانهم أن يقاتلوا دفاعا عن بلدهم يدنا في أيديهم . . وبذلك ننهي الذريعة التي يخوض فيها الكثيرون ويتهمون المسلمين بالتعصب والطائفية .

٨- في عمليات الجهاد المقدس . . لا تخلط الوسائل بالأهداف . . فتحرير فلسطين هو هدف ، وجميع الحركات الإسلامية وسائل للتحرير والتمكين للإسلام . . فلا تُخلط في عمليات الجهاد المقدس الوسائل بالأهداف . . وإلا لتقوقعنا في حصن غير حصين وفي ركن تتناوله السهام من كل جانب .

٩- هناك فرق كبير بين الإرهاب أو التصدي للحكومات بغية اسقاط الأنظمة ، وبين جهاد شعب مسلم لتحرير وطنه أو أوطان المسلمين مثل تحرير فلسطين أو تحرير أفغانستان . . وكل مزج لمثل هذين النوعين من التحرك . . هو عبارة عن تضييع لعمل شرعي معترف به ، في إطار شرعية مختلف عليها .

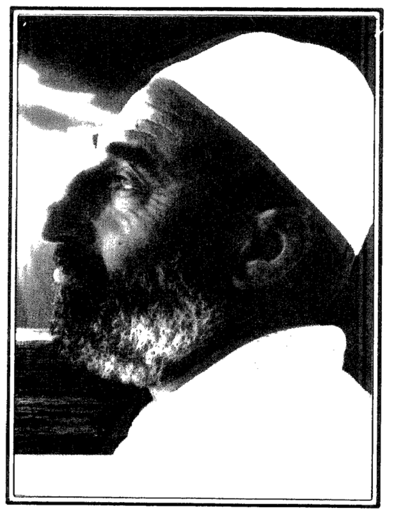
١٠- على (حماس) أن تدرس أسباب نجاح الحركات الجهادية وسقوطها في فلسطين وغيرها . . لتستفيد من عبرها في مسيرتها . وعليها أن تبعد الانتهازيين من صفوفها الذين لا يؤمنون بالجهاد أساسا . . ولا يسيرون مع حماس إلاّ لتزعمها .

١١- ستلقى (حماس) في مسيرتها ما لقيته كل حركة حرة شريفة من معوقات كالسجن والاعتقال والطرد والقتل والجوع وستلقى حقد العدو وشماتة القريب . . كل هذا ينبغي أن لا يثنيها عن دربها لأداء رسالتها . فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم .

١٢- وعلى (حماس) أن تتذكر (عند النظر في المثبطات) ، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، ولعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس " [(١)] . والحديث الآخر الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، حتى يختبئ اليهودي وراء الشجر والحجر ، فيقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" [(١)] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي أمامة .



الشيخ أحمد ياسين

الفصل الحادي والأربعون

قضية فلسطين . .

والسلام في الشرق الاوسط

مقدمة :

بالرغم من أن المنطقة بكاملها مشغولة بالقضية الفلسطينية . . وبالعدوان الإسرائيلي المستمر ، الذي لم يعد مقتصراً على أجزاء من فلسطين حددتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ لتقيم عليها إسرائيل دولتها . . بل امتد ليشمل كامل فلسطين وجزءا من الاردن واجزاء من لبنان وسوريا . . وبالرغم من الحروب اليومية التي تشنها إسرائيل على هذا الجانب أو ذاك . . والقتل وسفك الدماء والدمار الذي تخلفه في أوساط الشعب الفلسطيني واللبناني . . ومع ذلك ونتيجة للسياسات الارتجالية التي يمارسها العالم العربي منذ حوالي نصف قرن من الزمان . . فان فكرة الصراع اليهودي – الاسلامي تمرّ كل يوم بمنعطف أخطر من سابقه .

فبعد احتلال الكويت من قبل العراق في أغسطس ١٩٩٠م ، والمعركة الكبيرة التي قادها التحالف الدولي لإخراج العراق في فبراير ١٩٩١م ، أعلن الرئيس الأمريكي بوش في مارس ١٩٩١م أن الوقت قد حان لحلّ النزاع العربي – الإسرائيلي .

مؤتمر مدريد للسلام

بعد ثماني جولات مكوكية قام بها وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر تم الاتفاق على عقد مؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩١م . واكدت الاوساط الامريكية أن هدف المؤتمر سيكون سلامًا حقيقيًا ومصالحة بين

إسرائيل من جهة والدول العربية والفلسطينيين من جهة أخرى .

وقال ان المفاوضات على ترتيبات الحكم الذاتي المؤقته ستجري بهدف انجازها خلال عام واحد ، وإن مرحلة الحكم الذاتي الانتقالية ستستغرق خمس سنوات وستبدأ في مطلع السنة الثالثة المفاوضات على الوضع النهائي للأراضي المحتلة.

افتتح المؤتمر الرئيسان الأمريكي بوش والسوفياتي غورباتشوف وحضرته تسعة أطراف هي أمريكا والاتحاد السوفياتي وإسرائيل ومصر والوفد الأردني – الفلسطيني وسورية ولبنان والمجموعة الاوربية ومجلس التعاون الخليجي وتمثلت الأمم المتحدة بمراقب صامت . وقبل المضي مع مؤتمر مدريد والجولات التالية التي أجريت في واشنطن والمؤتمر الأقليمي الذي عقد في موسكو ، قبل المضي في هذا الاتجاه ، يستحسن بنا أن نحدد بعض المفاهيم والمواقف لكل طرف من الاطراف حتى نكون على بينة من أمرنا . .

مفهوم الليكود للسلام

لخص اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل وزعيم حركة الليكود مفهومه للسلام فقال : " إن إسرائيل الكبرى من البحر إلى النهر، هي عقيدتي وحلمي شخصياً . وإنه بدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة ولا الصعود إلى أرض الميعاد ولا أمن الإسرائيليين وسلامتهم . ." هذا باختصار مفهوم الليكود للسلام وكل ماعدا ذلك فتمييع للمواقف وكسب للوقت وتعطيل لكل سلام من اي نوع كان .

ويحاول الليكود أن يصبغ هذا النوع من السلام الإسرائيلي بصيغة توراتية فهذه هي أرض الميعاد التي وعد بها الرب نسل ابراهيم ابناء اسحق ، وهو يناشد في ندائه هذا بطريقةمباشرة البروتستانتيه خصوصاً في الولايات المتحدة ليقول : إن إسرائيل التوراتيه المسالمة تتعرض لاجبارها على التعرض لمذبحة أخرى إذا ماتنازلت عن الأرض .

مفهوم حزب العمل للسلام

لخص بيريز زعيم حزب العمل مفهوم حزبه للسلام بمقالة نشرتها له الجيروزاليم بوست (بتاريخ ١٩٩١/٤/١٤) . فقضية أمن إسرائيل تشغل بال بيريز ضد الاخطار والتهديدات الكثيرة هذه الأيام فالقوة العسكرية العربية ستفوق في زمن قريب قوات حلف الأطلسي مجتمعة . ومن أجل ذلك فان إسرائيل تحتاج إلى اسلحة جديدة ومتطورة ، وعلى إسرائيل أن تجدد سلاحها مرة كل سبع سنوات . وهذا يحتاج إلى المال .

يقول بيريز : إن الاقتصاد الإسرائيلي في انحدار ، ولن يستطيع الإسرائيليون تعزيز طاقاتهم الاقتصادية إلا باجتذاب رؤوس الاموال وتوظيفها في مشاريع جديدة ومفيدة . . غير أن رأس المال يحتاج إلى أرض وظرف مناسبين : استقرار سياسي ، أمان اقتصادي ، وتسهيلات صناعية . فهل تتوفر هذه الظروف في إسرائيل . . ؟

يعتقد بيريز أن هذه الظروف غير متوفرة حاليًا لإسرائيل . . ولن تتوفر إلا باقامة سوق شرق أوسطية تلعب فيها إسرائيل دوراً رئيسا . . هذه السوق تقوم على تكامل الطاقات : النفط الخليجي ، المياه التركية ، السوق المصرية والخبرة والمهارة الإسرائيلية . ويخلص بيريز إلى القول بأن الشرط الرئيسي لقيام السوق هو ايجاد حل للقضية الفلسطينية . فعلى إسرائيل أن تقبل بالتنازل عن غزه وعن بعض أراضي الضفة الغربية المكتظة بالسكان لكي تدمج في اتحاد فيديرالي اردني – فلسطيني . وعندما تقدم إسرائيل هذه التنازلات ، تكون قد تخلت عن حق تاريخي لها لكنها في الوقت نفسه تكون قد أدت واجبا تاريخيا تجاه نفسها . إن امام إسرائيل خياران أما أن تكون إسرائيل الكبرى التي تضم اعداداً كبيرة من الفلسطينيين أو تكون إسرائيل الكبرى اعتماداً على حجم واتساع السوق الواقعة تحت تصرفها . . وحزب العمل اختار بالطبع الرأي الثاني . . .

المراقب الصامت للأمم المتحدة :

ولكن لماذا تعارض اسرائيل أي دور للأمم المتحدة في عملية السلام العتيدة . . خاصة ووجودها ذاته كان نتيجة لأحدى قرارات المنظمة الدولية . . ؟

تصر إسرائيل على أن قيامها ليس وليد قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ، بل إنها تتفادي مجرد الاشارة إلى قرار الجمعية العامة الصادرعام ١٩٤٩ بقبول عضويتها في الأمم المتحدة ، لأن هذا القرار ربط عضويتها بقبولها القرارين الآخرين :

١- قرار التقسيم الذي يقضي بقيام دولة فلسطينية إلى جوار الدولة اليهودية .

٢- القرار المتعلق بحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم وأراضيهم أو تعويض من يرفض العودة منهم .

لهذه الأسباب فقد رفضت إسرائيل باستمرار قرارات الأمم المتحدة . . بل إن اسحق شامير وصف المؤتمر الدولي الذي بدأ بمدريد بأنه مجرد وسيلة ضغط لفرض حلول يمكن أن تهدد أمن الدوله العبرية ، وما مؤتمر مدريد في رأيه اكثر من محكمة دولية تمثل فيها إسرائيل دور المتهم المدان . وإذا كانت الولايات المتحدة وهي تبشر بالنظام العالمي الجديد تجعل الأمم المتحدة (ولو من الناحية الشكلية) هي صاحبة اليد الطولى في هذا النظام . . ولكن الأمر عندما يصل إلى إسرائيل فلابد من شرط الصمت إذا أراد مندوب الامم المتحدة الحضور ! .

الحدود الآمنة :

وهي فكرة ماكرة روجت لها إسرائيل فترة طويلة . . حتى صار الاعلام العالمي يرددها كالببغاء . فالقانون الدولي لايعترف إلا بالحدود الدولية . . ومنذ عدوان عام ١٩٦٧ خرجت إسرائيل على العالم بفكرة الحدود الآمنة التي يمكن الدفاع عنها . .

وعندما تطالبها بخريطة توضح هذه الحدود الآمنة . . ترفض اعطاءها بالطبع . . فخرائطها مرتبطة بمدى توسعها . . والأمر في سعة على مايبدو . .

وتتساءل إسرائيل وانصارها فتقول : على كل جانب من جوانب الصراع العربي – الإسرائيلي هناك جيوش جرارة : مدرعات وطائرات حديثة واسلحة مرعبة ، وصواريخ . فإذا عادت إسرائيل إلى حدود ماقبل عام ١٩٦٧ وهو مايريده العرب ، فإن تلك الحدود سوف تمر من قلب القدس وتنحرف إلى مسافة تسعة أميال فقط من تل أبيب ، ولاتوجد اي دولة في العالم ، دع جانباً دولة لها ذكريات كذكريات إسرائيل ، تحس بالهدوء والراحة في حالة كهذه .(١)

وجواب إسرائيل بالطبع ، أنها إذا كانت لاتحسّ بالراحة في حدودها السابقة . . فلأن هذه الحدود لم تكن حدوداً آمنة !

المستوطنات

يصرح حزب الليكود على لسان رئيسه باستمرار أنه لاتوجد أرض محتلة، ويستغرب منطق العرب أو من يفكر بطريقتهم ، فالعرب يملكون ١٤ مليون كيلو متر مربع من الأراضي . . . بينما لاتملك إسرائيل غير ٢٨ الف كيلو متر مربع فقط . . ! واذا كان العرب يتحدثون عن الشرعية ، فاليهود هنا منذ آلاف السنين !.

ورقم الـ ٢٨ ألف كيلومتر مربع الذي يذكره شامير هو مساحة كل فلسطين التي قضمتها إسرائيل قطعة اثر قطعة ولم يتبق منها اليوم للمفاوضات وللمؤتمرات السلام غير ٢٢٧٠ ميلاً مربعاً هي مساحة الضفة الغربية و ١٣٥ ميلاً مربعاً هي مساحة غزة . وحتى هذه المساحة الصغيرة والتي تمثل ٢٣ ٪ من مساحة فلسطين، يجري الاستيلاء

---

(١) الايكونومست البريطانيّة ١٩٩١/١١/٤م .

عليها شبراً بعد شبر . بنت إسرائيل ١٣٠ مستوطنة في الضفة الغربية منذ عام ١٩٦٧ وأصبحت تسيطر على ٦٠ ٪ من أراضي الضفة ومياهها . . ونسبة تقترب من ذلك في غزة . ووفقًا للاحصاءات السكانية فقد غرست إسرائيل ١٠٠ الف مستوطن في الصفة الغربية وحوالي ١٤٠ الفًا في القدس . . وهذه الارقام هي التي تفزع العرب وتدفعهم لحضور مؤتمرات السلام لعلهم ينقذون بعض الأرض من التهويد . . وهي نفس الحجة التي تدفع إسرائيل إلى التريث وعرقلة كل مباحثات السلام بانتظار استكمال تهويد كامل أرض الميعاد ! .

موقف منظمة التحرير من مؤتمر مدريد للسلام

أصبحت مصر أول دولة عربية مجاورة لإسرائيل تعترف رسميا بالكيان اليهودي على أرض فلسطين ، وكان ذلك من خلال معاهدة كامب ديفد التي وقعها الرئيس السادات عام ١٩٧٩م .

وقد بدأ جيران إسرائيل واحدا بعد الآخر السير على درب السادات . ففي مؤتمر القمة العربي الذي عقد عام ١٩٨٢ في المغرب أُعلن عن استعداد الدول العربية لمناقشة خيار السلام مع كل دول المنطقة ، والقرار وإن لم يذكر إسرائيل بالاسم . . إلا إنه كان يعنيها .

وعلى الطريق نفسه سارت منظمة التحرير التي قامت اساسًا لتحرير فلسطين واعادة الفلسطينيين إلى ديارهم . . ولكن المنظمة التي منيت بنكسات سياسية وعسكرية وفكرية كثيرة اتخذت قرارها في المجلس الوطني الذي عقد عام ١٩٨٨م بالاعتراف ببقاء إسرائيل وفقاً لقرارات الأمم المتحدة وخاصة قرار التقسيم الذي انشئت على اساسة دولة الكيان اليهودي .

فلما نشبت حرب الخليج واحتلت العراق الكويت . . وتدخلت القوى الكبرى

لتحرير الكويت . . وطرحت الولايات المتحدة فكرة إمكانية عقد مؤتمر للسلام بين اسرائيل وجيرانها . . عندها عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته العشرين في ٢٣ - ١٩٩١/١/٢٨م واتخذ قراره بالانضمام إلى المبادرة الامريكية - السوفياتيه المشتركة التي دعت إلى مؤتمر السلام . .

ولم تكن جميع الفصائل الأخرى العاملة على الساحة الفلسطينية موافقة على قرار منظمة التحرير ، فقد أعلنت منظمة حماس الاسلامية . . وهى اكبر القوى الفاعلة في داخل فلسطين المحتلة . . أعلنت رفضها لقرار منظمة التحرير وعللت رفضها بالنقاط التالية :

١- ترفض حماس المشاركة الفلسطينية في مؤتمر بيع فلسطين لأن هذا المؤتمر يهدف إلى مصادرة حق شعبنا البطل فى تحرير كامل ارضه .

٢- تؤكد حماس أن المجلس الوطني الفلسطيني بتشكيلته الحاليه لايمثل القوى الفلسطينية الفاعلة في مواجهة العدو ، وهو بالتالي غير مخول لاتخاذ قرار مصيري وتاريخي يعبر عن شعبنا المجاهد .

٣- تؤكد حماس أن اي وفد يتم تشكيله لحضور مؤتمر السلام هو وفد غير شرعي ولايمثل شعبنا الفلسطيني .

٤- ترى حماس أن موافقه المنظمة على حضور مؤتمر التصفية إنما هي استجابة واضحة للضغوط الامريكية الصهيونية .

٥- تدعو حماس إلى بناء وترسيخ الوحدة الوطنية الحقيقية ، وتدعو إلى مواصلة الجهاد وإلى تصعيد الانتفاضة المباركة وعدم التنازل عن اي شبر من أرضنا المباركة وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني مهما كانت الظروف .

٦- تدعو حماس كافة الفصائل الفلسطينية إلى التحرك لتصحيح النهج الخاطئ الذي اتخذه المجلس الوطني الفلسطيني .

بيان مشترك لقوى الرفض

كما أصدرت حركة حماس بالتفاهم مع حركة الجهاد الاسلامي ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة ، وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح – المجلس الثوري) ، وحركة التحرير الوطني (فتح – الانتفاضة) ، والاتجاه الاسلامي المجاهد ، بيانًا بتاريخ ١٩٩١/١٠/٩ استنكروا فيه موقف منظمة التحرير واعلنوا تمسكهم بالوحدة الوطنية التي تقوم على الاسس التالية :

١– وحدة التراب الفلسطيني واعتبار فلسطين من البحر إلى النهر وحدة كاملة لاتتجزأ .

٢– عدم الاعتراف باي حق للكيان الصهيوني .

٣– تطوير الانتفاضة .

٤ – السبيل الوحيد للتحرير هو الجهاد .

كما أصدرت حركة الأخوان المسلمين العالمية بيانا باسم المرشد العام بتاريخ ٩١/١٠/١٧ جاء فيه :

إن هذا المؤتمر يهدف إلى الاجهاز على القضية الفلسطينية وتذويبها ، والوصول باخواننا الفلسطينيين إلى حكم ذاتي هزيل تحت الهيمنة الصهيونية . . وتوجه البيان بالنداء إلى المجاهدين من ابناء فلسطين الذين يخوضون حربًا ضروسًا في انتفاضتهم المباركة بأن يثبتوا والأمة المسلمة من ورائهم . . فطريقهم هو الطريق الصحيح الذي لاتفريط فيه .

أما منظمة التحرير وبقية الانظمة العربية فقد هاجمت هذه التحركات الاصولية واعتبرتها تحركات غير مسؤولة . . واعلنت عن تصميمها على حضور جلسات المؤتمر . . وحتى تلك الدول التي كانت على رأس دول الصمود والتصدي . . كانت أسرع

من غيرها في التجاوب مع جولات بيكر . .

القضايا الرئيسة التي يطرحها مؤتمر السلام

ضمن هذه المعادلات والمواقف المبدأية انعقد مؤتمر مدريد للسلام في ٣٠/١٠/١٩٩١م ، ثم تحولت اللقاءات إلى واشنطن . . وفي واشنطن أصبحت اللقاءات ثنائية . .

وشغلت إسرائيل العالم بقضايا اجرائية . . فهي تريد اساساً نسف المؤتمر ، أما الوفود العربية فمتهالكة للأسف الشديد على التنازلات وعلى السلام الامريكي المنتظر .

وأهم القضايا المطروحة على بساط البحث هى :

(أ) القرار ٢٤٢

مؤتمر السلام يقوم اساساً على تنفيذ بنود القرار ٢٤٢ الذي أقرته الأمم المتحدة في اعقاب حرب عام ١٩٦٧ . العرب يتمسكون ببنود القرار التي تنص على عدم جواز الاستيلاء على الارض بالقوة ويطالبون بالتالي إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة ومن الجولان ومن جنوب لبنان . أما إسرائيل فترفض الانسحاب من الارض . . بل وتزعم أن القرار ٢٤٢ يضم بنوداً لاوجود لها اصلاً . . وان الضفة الغربية وغزة هى يهودا والسامرة وهي جزء من أرض إسرائيل وكذلك الجولان والقدس . . ليس ذلك فقط . . بل ويتهم شامير العرب بانهم ضد عملية السلام لأنهم يطالبون بالارض . . فالأصل عنده السلام من اجل السلام وليس السلام من اجل الارض . وكان كيسنجر هو أول من شكك بالقرار ٢٤٢ عندما وصفه بالقرار الغامض لأنه لايحدد بدقة الأراضي التي يتعين على إسرائيل الانسحاب منها ، كما انه من غير

الممكن أو المرغوب فيه إجبارها على الانسحاب .

(٢) الحكم الذاتي

اتفاقات كامب ديفيد التي وقعتها مصر مع الكيان اليهودي بمشاركة الولايات المتحدة نصت على اعطاء الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا . . وكانت هذه النقطة بالذات هي المنطلق في حل القضية الفلسطينية من وجهة النظر الامريكية . . والتي كانت تطمح منظمة التحرير إلى تطوير الحكم الذاتي خلال خمس سنوات إلى قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ترتبط مع الأردن برباط كونفدرالي .

ولقد أعلن شامير مؤخراً أنه غير ملزم بتطبيق بنود الحكم الذاتي التي وردت في اتفاقات كامب ديفيد . .

أما المشروع الذي طرحه المفاوض الإسرائيلي على الوفد الفلسطيني في مفاوضات واشنطن فهو الدعوة إلى ممارسة الحكم الذاتي ضمن مايسمى كوندومينيوم إسرائيلي – اردني متصل ومشترك فوق أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة . فبدلاً من صيغة الاتحاد الاردني – الفلسطيني ، حرصت الصيغة الجديدة على ايجاد اتصال بين الاردن وإسرائيل .

أما الفلسطينيون فيُعطَون حكماً ذاتياً ضمن قوانين وحماية إسرائيلية . . أما المستوطنات فلن تتوقف والمستوطنون سيخضعون للقانون الإسرائيلي . . بينما سيطبق قانون آخر عسكري على الفلسطينيين . . وباختصار فالحكم الذاتي من وجهة نظر إسرائيل لايعني شيئا ذا بال . . اكثر من ضبط التحركات والانتفاضات الفلسطينية بيد الفلسطينيين أنفسهم .

(٣) أخيراً

فان إسرائيل (وخاصّة الليكود) لايقيم كبير وزن لمؤتمرات السلام بل ويعمل على عرقلتها لانها تعمل ضد منطقه وضد الفلسفة التوراتية التي يؤمن بها . . ولقد تأكد لليهود كما يقول فلاديمير جابوتنسكي ان العرب لن يقبلوا بوجود إسرائيل ، وان الصهيونية لايمكنها أن تزدهر إلا خلف الستار الحديدي للقوة المسلحة ، وانه في يوم بعيد في المستقبل سوف يقبل العرب حقيقة عجزهم من اختراق هذا الستار ، وعندها سوف يتعلمون كيف يتعايشون مع الدولة اليهودية .

إن منطق القوة وحده هو الذي أفهم المصريين ، ومن بعدهم الفلسطينيين والعرب اجمعين كيف يكون التعايش مع إسرائيل . . وهاهم اليوم يركضون للاعتراف ولمؤتمرات السلام . .

فهل من الحكمة أن تمضي إسرائيل إلى المؤتمر المؤامرة التي تستهدف تمزيق ستارها الحديدي مقابل سلام من ورق . . ؟ !

وكذلك يمكننا أن نقول هل من الحكمة أن نندفع بمثل هذه القوة إلى مؤتمرات السلام مراهنين على اية تسوية من اي نوع كان . . حتى ولو كنّا في مثل هذا الزمن الرديء ؟! .

سؤال مطروح . . . ولانعرف هل سيتمكن جيلنا من تقديم الاجابة . . أم أن الأمر متروك للأجيال القادمة .

الفصل الثاني والأربعون

حزب العمل يتابع المفاوضـــات

وصل حزب الليكود إلى طريق مسدود ، وأظهر قدراً كبيراً من الإفلاس السياسي والاجتماعي . . وظهر واضحاً أنه لن يكون قادراً على تخليص إسرائيل من أزمتها الإقتصادية الخانقة . . وأنه غير قادر حتى على استيعاب المهاجرين . . الذين كانوا حلمه الوردي في تحقيق إسرائيل التوراتية الكبرى . وإن السلام مع العرب الذي اضطر مرغماً إلى الانضمام إلى قافلته في مدريد . . كان دوره فيه ينحصر في تمييعه وتجميده . . أما الضربة القاضية التي قصمت ظهر شامير وحزبه فكانت إنفجار أزمة ديفيد ليفي وزير الخاجية وخروج اليهود الشرقيين عن تحفظهم وإستنكارهم لسياسة التمييز الطائفي التي يمارسها الحزب بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين . هذا على **الصعيد الداخلي** . . **أما خارجياً** . . فقد خسر شامير تعاطف الولايات المتحدة وأوربا والعالم . . بما في ذلك اليهود الأمريكيين . . . وذلك نتيجة صلفه وغروره وأصوليته الجامـــدة التي لم تمكنه من أن يبصر شيئـــاً ذا بال غير إسرائيل التوراتية ، وأرض الميعاد وشعبها المختار الذي ينبغي أن يسيطر على المنطقة بأكملها . . أما الفلسطينيون . . فرأي شامير فيهم مثل رأي غولـــدا مئير من قبل ويتلخص بأنه ليس هناك فلسطينيون .

رابين ومشروع إسرائيل الكبرى

فمن هو رابين زعيم حزب العمل الذي التقط الراية بعد سقوط شامير . .؟ وكيف ينظر إلى مجمل القضايا المطروحة على بساط البحث في مؤتمرات واشنطن للسلام المزعوم . .؟

نستطيع إجمال ذلك في **النقاط التالية :**

(١) يرى حزب العمل أن على إسرائيل أن تتنازل عن حقها التاريخي في بعض الأراضي التي تحتلها . . وذلك من أجل أن تتوصل مع العرب إلى نوع من الكونفدرالية تمكنها من التمدد اقتصادياً في كامل المنطقة . وبذلك تتخلى عن حقها في إقامة إسرائيل الكبرى على الأرض ، بإقامتها إسرائيل الكبرى من حيث التواجد السياسي والاقتصادي . . وهو المخرج الوحيد -في رأي حزب العمل - لتخليص إسرائيل من أزمتها الاقتصادية التي تعتبر الأسوأ منذ عام ١٩٤٨م .

(٢) يرى حزب العمل أن إسرائيل لاتستطيع أن تحارب العرب إلى الأبد ، وأن تطور الجيوش العربية يقتضي من إسرائيل استخدام أسلحة نوعية متطورة مما يعرض المنطقة بكاملها والأمن العالمي والمصالح الغربية إلى مزيد من المخاطر ، الأمر الذي بات الغرب يرفضه في هذه المرحلة .

(٣) أحسن حزب العمل وعلى رأسه رابين قراءة الأحداث العالمية والتبدلات الإقليمية التي طرأت على موازين القوى في أعقاب انهيار الإتحاد السوفياتي وإعلان الولايات المتحدة فوزها في الحرب الباردة وإقامتها النظام العالمي الجديد الذي يصب في مجمله ضمن مصالحها . . ولاتشكل فيه إسرائيل - كما كانت من قبل - إحدى الزوايا الهامة . . وهذه القراءة هي التي جعلت رابين يتميز عن شامير بأنه ليس جامداً متحجراً في مواقف عقائدية محددة يتمسك بها ولو كان العالم كله ضده .. بل براغمتياً يحسن قراءة المواقف ويستجيب بسرعة للمستجدات .

(٤) يدرك رابين خلافاً لشامير الأهمية الكبرى للعلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة ، وضرورة أن تبقى علاقة شراكة حقيقية . . وأن بلاده لايمكنها الاستغناء عن الولايات المتحدة في كافة الظروف والأحوال .

الخطوط العريضة لمشروع رابين للحكم الذاتي

فإذا كانت هذه هي الخطوط العريضة لمفاهيم رابين الحالية . . فما هي الخطوط العريضة لمشروعه السلمي الذي يبشر به . .؟

يقع المشروع في عدة مراحل :

أولاً - المرحلة الأولى :

وتمتد خمس سنوات . وخلال هذه الفترة المحددة ، تتم **الخطوات التالية :**

أ- يقيم الفلسطينيون " إدارة محلية" مع مكاتب حكومية تتناول الشؤون الداخلية ، والإسكان والزراعة والبريد والمالية والصحة ، والسلطات المحلية وغيرها ، من الشئون الداخلية .

ب- خلال الفترة الانتقالية تبقى شؤون " الخارجية " والأمن و " شؤون المستوطنات" في يد إسرائيل .

ج- اقامة تعاون اقتصادي بين " الكيان الفلسطيني" وإسرائيل والأردن في مجالات عديدة مثل الكهرباء والمياه والنقود والعمال .

د- اتخاذ ترتيبات اقتصادية تضمن مصلحة الطرفين الفسطيني والإسرائيلي .

ثانياً - مرحلة الحل "الدائم" :

* بعد مرور ثلاث سنوات من المرحلة الانتقالية تبدأ المفاوضات للوصول إلى الحل الدائم .
* خلال السنوات الثلاث الأولى يكون هناك تفاهم وثقة بين الطرفين وتخف حدة التوتر في المنطقة .

* التفاوض يستند إلى أساسين هما :

١- قرارات الأمم المتحدة (٢٤٢ ، ٣٣٨) ، ومبدأ الأرض مقابل السلام .

٢- التمثيل الفلسطيني في المفاوضات هم من سكان المناطق ومن فلسطينيين في الخارج يتفق بشأنهم .

وتنص خطة رابين على أن الخطوات المطلوب اتخاذها لكسر الجمود هي :

* في حالة حصول تفاهم بين الجانبين حول هذه الخطة المتكاملة يحدث هدوء تلقائي يمكّن من إجراء انتخابات في الضفة والقطاع خلال ستة أشهر .
* الانتخابات هي لاختيار ممثلين سياسيين وليست للسلطات المحلية فقط .
* نتائج الانتخابات تقرر وتفرز القيادة المحلية للفترة الانتقالية .
* يحق لسكان القدس الشرقية الترشيح والانتخاب ، ولكن التصويت يتم في " رام الله" أو " بيت لحم" .
* عند الحل الدائم يمنح سكان القدس الشرقية الحق في اختيار المواطنة الفلسطينية أو الإسرائيلية .
* في مرحلة الإعداد للانتخابات يكون هناك استعداد لسحب القوات الإسرائيلية من التجمعات السكنية .

وإذا أردنا توضيح الأمر في كلمات أقل . . لقلنا :

إن أهم النقاط التي تميز طروحات رابين هي :

* الموافقة على حكم ذاتي للفلسطينيين (للسكان وليس للأرض) .
* تجميد الاستيطان السياسي واستمرار الاستيطان الأمني (٥١٪ من مساحة الضفة الغربية) .

* القدس عاصمة موحدة لإسرائيل .
* العودة إلى مشروع بيغال ألون الذي ينص على إبقاء يهودا (منطقة القدس وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا ورام الله) جزءاً من إسرائيل مع الاحتفاظ بالسامرة (نابلس وجنين وطولكرم) منطقة منزوعة السلاح .

المشروع الفلسطيني للحكم الذاتي

تتضمن المقترحات التي قدمها الوفد الفلسطيني تحت عنوان " إطار اتفاق على الحكم الذاتي الفلسطيني خلال المرحلة الانتقالية " في الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة النقاط الآتية :

* تشكل المرحلة الانتقالية خطوة أولية لتطبيق القرار الدولي رقم ٢٤٢ في انتظار المفاوضات التي ستتيح للشعب الفلسطيني ممارسة حقه في تقرير المصير .
* الانتخابات : تنبثق الحكومة الذاتية الفلسطينية من انتخابات ديموقراطية حرة ومباشرة وبإشراف دولي وبمشاركة السكان (العرب) في الأراضي المحتلة بما في ذلك النازحون والمبعدون الذين يجب إعادتهم إلى وطنهم والمعتقلون الذين يجب الإفراج عنهم .
* يجب أن تشمل صلاحيات الحكومة الذاتية كل الأراضي التي احتلت في العام ١٩٦٧م وتشمل أيضاً السيطرة المطلقة على الأرض والمياه والثروات الطبيعية والإقتصاد ونقاط العبور إلى الأراضي المحتلة .
* يجب حلّ الإدارة العسكرية الإسرائيلية وإعادة انتشار الجيش الإسرائيلي في مناطق يتم الإتفاق عليها .

* **القدس** : يجب أن تطبق اجراءات المرحلة الانتقالية على المدينة المقدسة التي تشكل جزءاً لايتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة طبقاً للقرار ٢٤٢ .
* ضرورة الوقف الفوري والشامل لكل النشاطات الاستيطانية وخضوع المستوطنين خلال الفترة الانتقالية للقوانين والأنظمة الفلسطينية .
* يجب مراعاة المصالح الأمنية للطرفين الفلسطيني والإسرائيلي على أن تقع مسؤولية الأمن الداخلي ضمن اختصاص السلطات الفلسطينية وحدها من دون أي تدخل من الجانب الإسرائيلي .
* ضرورة عودة الفلسطينيين النازحين والمبعدين وأبنائهم إلى الأراضي كي يمارسوا حقهم في الترشيح والانتخاب .
* الإشراف الدولي : ضرورة تشكيل لجنة دولية مؤلفة من ممثلين عن الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن ، وعن الأمين العام للأمم المتحدة ، وعن الحكم الذاتي الفلسطيني والأردن وسورية ومصر وإسرائيل للإشراف على المرحلة الإنتقالية للحكم الذاتي وضمان تنفيذه .
* الجدول الزمني للتطبيق : يتعهد الطرفان بالتوصل إلى اتفاق على المرحلة الانتقالية في فترة لاتزيد عن ثلاثة أشهر وأن تبدأ مفاوضات الوضع النهائي في موعد لايتجاوز ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤م وذلك لضمان التقيد بالإطار الزمني الذي حددته رسائل الدعوة إلى مؤتمر مدريد .

الحكم الذاتي بين التصور الصهيوني والفلسطيني

فالحكم الذاتي في التصور الإسرائيلي هو انتخاب مجلس إداري . . يشرف على القضايا المحلية ولا علاقة له بالقضايا الخارجية أو الأمن أو المستوطنات . أما الاقتراح الفلسطيني فيطالب بانتخاب هيئة تشريعية مكونة من ١٨٠ شخصاً يتم انتخابهم بشكل حر من الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع ، والواضح من اسم " هيئة تشريعية " أن مرجعية القوانين والتشريعات ستكون من أحقية الهيئة المنتخبة على عكس التصور الصهيوني الذي يدعو أن تكون مرجعية الهيئة المنتخبة هي سلطات الاحتلال نفسها والقوانين القائمة حالياً دون تغيير . . ولهذا فإن الاقتراح الفلسطيني يدعو إلى انتخاب هيئة إدارية لإدارة شؤون الحكم الذاتي بعد انتخاب الهيئة التشريعية التي ستكون بمثابة مجلس وطني فلسطيني للضفة والقطاع وستتسلم هذه الهيئة حسب التصور الفلسطيني جميع صلاحيات السلطة العسكرية الصهيونية بما فيها التشريعات ورسم السياسات وترتكز معارضة الكيان الصهيوني للاقتراع الفلسطيني على أساس أن هذا الاقتراع يشكل مقدمة لإقامة دولة فلسطينية بعد انتهاء فترة الحكم الذاتي الإنتقالية والتي ستستمر لمدة خمس سنوات . . [1]

الانتفاضة وأثرها

إن استمرار الانتفاضة وانجازاتها يجب أن لا يصرف عن أذهاننا حقيقة المصاعب والظروف القاسية التى تواجهها ولا السلبيات والثغرات التى تعيشها ولا حقيقة المؤامرة

---

(١) فلسطين المسلمة – أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م

الكبرى التى تنفذها أطراف عديدة أقليمية ودولية ضدها .

إن خمس سنوات الانتفاضة (بالرغم من كل السلبيات) فعلت ما لم تتمكن عشرون سنه من النضال أن تفعله في عقلية الاسرائيليين .

ففي العام الأول للانتفاضة أمر رابين جنوده بأن يكسروا عظام الفلسطينيين حتى لا يتمكنوا من حمل الحجارة . . وفي العام الثاني أقرّ رابين بان هناك حدوداً لفرض سياسات القمع بحق الشعوب . . وفي العام الثالث اعترف رابين بعدم جدوى الحل العسكري للانتفاضة . . وفي العام الرابع نادى رابين بضرورة التفاوض مع الفلسطينيين . . وفي العام الخامس لم يجد رابين بداً من التسليم بالحقائق ومنها حق الفلسطينيين في اقامة دولة لهم .

توصل رابين إلى قناعاته هذه بعد أن تبين أن شهادة وفاة الانتفاضة التي أصدرها أكثر من سياسي أو جنرال لا تزيد أن تكون وهماً .

مع بداية العام ١٩٩٢م واجهت الانتفاضه العديد من التحديات على المستويين الداخلي والخارجي والتى تؤثر على قوة الانتفاضة سلباً وايجاباً .

(فقطاع غزه يشهد وضعيه جديده تجمع الاطراف الشعبية على أنها تختلف عما كانت عليه في الاعوام السابقة من عمر الانتفاضة ، سواء من جهة التكتيك في المواجهة ضد قوات الاحتلال ، أو من جهة العلاقة بين فصائل الانتفاضة ذاتها أو من جهة الأوضاع الداخليه للمجتمع والشعب في الجوانب الاقتصادية والصحيه والتعليمية والسياسية)[١] .

ومن أبرز السلبيات على المستوى الداخلي هو تباين الأهداف والاستراتيجيات بين الأطراف المشاركة في الانتفاضه ،، ففى حين ترى

---

(١) قضايا دولية ١٩٩٢/٧/٢٧م .

بعض فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها (فتح) أن الانتفاضه وسيله **أساسية لتحقيق التسوية السياسية** ، فان حركة (حماس) والقوى الاسلامية الأخرى ترى أن الانتفاضه **حلقة من حلقات الجهاد المتواصل ضد الكيان الصهيوني .**

هذا التباين في الاهداف والبرامج السياسية وتنامي النزعة الفصائلية والفئوية على حساب المصالح العامة للانتفاضة بالأضافة إلى استخدام قوات الاحتلال مختلف الوسائل والاساليب لتغذية هذه الخلافات وشق الوحدة الوطنية . . الأمر الذي أدّى إلى تصادم فصائل المقاومة والذى كان أهمها الصدام بين حركة فتح وحركة حماس الاسلامية.

أما على **المستوى الخارجي** فمن الأخطار التى تواجهها الانتفاضه هو انتقال العالم من سياسة توازن القوى إلى سياسة توازن المصالح ، ومن حالة القطبين إلى حالة القطب الأوحد . . فبعد حرب الخليج دخل النظام العالمي عصر الهيمنة الامريكية على العالم وعلى مقاليد السلطة والقرار في السياسة الدولية . . كل ذلك في ظل تدفق الهجرة اليهودية . . وفي ظل انتشار واتساع السرطان الاستطياني في الضفه والقطاع بحيث استولى العدو على أكثر من ٦٥٪ من أراضي الضفة والقطاع بما فيها القدس .

فبعد أن حققت أمريكا انتصاراً عسكرياً في الخليج تسعى إلى تحقيق انتصار سياسي على جبهة الصراع العربي – الصهيوني لأن أية ترتيبات أمنية في المنطقة لا يمكن أن ترى النور بدون حل مشكلة الصراع العربي – الصهيوني وجوهرها القضية الفلسطينية . . فكانت مفاوضات السلام بين العرب واسرائيل لإنهاء هذا الصراع في المنطقة على حساب إجهاض وايقاف الانتفاضه الفلسطينية المستمرة .

ومع نهاية عام ١٩٩٢ قامت السلطات الاسرائيلية بابعاد ٤١٨ من نشطاء (حماس) في الضفة والقطاع في محاولة لتحجيم دور الحركة الاسلامية في الاراضي المحتله بعد

تناميه وبروز مظاهره على الساحة سواءً سياسياً أو اجتماعياً أو علمياً ولإضعاف الانتفاضه تمهيداً لإجهاضها بعد أن استطاعت الحركة الاسلامية في الآونة الأخيرة من تصعيدها لتشمل العمليات العسكرية النوعية والذي جاء انسجاماً مع استراتيجية حركة حماس للمرحلة القادمة بتصعيد المواجهة مع قوات الاحتلال الصهيوني والذي أعلنته في مجموعة بياناتها والتى كان منها عملية اختطاف وقتل الملازم " نسيم توليدانو " من قبل حماس والتى تم على أثرها عملية الابعاد الأخيرة .

وقد جاءت نتيجة عملية الإبعاد على عكس ما توقعته قوات الاحتلال ، فقد شهدت الانتفاضة تصعيداً جماهيرياً جديداً لم تشهده من قبل وتصعيداً عسكرياً كان بمثابة صفعة شديدة للحكومة الاسرائيلية بمقتل أحد أفراد جهاز المخابرات المعروف بالشين بيت .

فتحْ وحماس :إشكاليات العلاقة وحتميات اللقاء

نستعير في هذا الموضوع العنوان الذي وضعه السيد خالد الحروب (نائب رئيس تحرير مجلة فلسطين المسلمة) للمقالة التي نشرتها له جريدة الحياة بتاريخ ١٩٩٢/٨/٤م والذي ذكر النقاط التالية :

(١) إن هناك اختلافاً في الرؤية السياسية للقضية الفلسطينية . . تطوراتها وأساليب معالجتها . . وهو خلاف قائم ليس من الحكمة تجاهله .. وفي الوقت نفسه لابد لكل طرف من الاعتراف بوجود الطرف الآخر . . كما لابد من التنازل عن أسلوب الاتهامات المتبادلة . وإذا كانت فتح تستند إلى شرعية وجودها المبكر على الساحة الفلسطينية . . فليس من حقها ولا من حق غيرها . . مصادرة وجود الآخرين . . خاصة إذا كان الأمر يختص بحركة حماس . فحركة حماس الإسلامية هي شعلة الجهاد التى بقيت مستمرة منذ الفتح الإسلامي للأرض المباركة التي قال عنها رسول الله صلى الله

عليه وسلم إنها أرض رباط إلى يوم القيامة . . هي امتداد العهد العمري . . والرباط الإسلامي . . والفاتح صلاح الدين الذي طهر القدس من دنس الاحتلال الصليبي . . والسلطان المسلم عبدالحميد خان الذي دفع عرشه ثمناً ولم يتنازل عن شبر من أرض الإسراء . . وعزالدين القسام . . وكتائب الاخوان المسلمين تزحف من مصر وسوريا والأردن . . كل ذلك يجعل العروة وثقى بين الأرض المباركة ، والإسلام الذي باسمه فتحت الأرض ، والمسلمون الذين مازالوا يرابطون تنفيذا لتعليمات نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في أرض المقدسات . فإذا قال السياسيون بأن فلسطين هي القضية المركزية . . فإننا نقول هي أولى القبلتين وثالث الحرمين . . باركها الله وبارك ماحولها حين قال : "سُبحانَ الذي أسرَى بِعَبدِه لَيلاً مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى الذي بَاركنا حَولَهُ . ."

(٢) وإذا كان البحث في الماضي مفيداً للعبرة فالعبرة الأهم هي كيف نحوّل الحاضر من ميدان صراع . . إلى ميدان وفاق . . ليس عند الإسلاميين مانع من الاعتراف بأنهم لم يبادروا منذ وقت مبكر . . قد تكون لهم أسبابهم . . ولكنه الواقع على كل حال . وينبغي أن يكون لدى فتح بالذات الشجاعة للاعتراف بأن جميع الأساليب السابقة والرهانات على أفكار أو زعامات في المنطقة . . إنما كان من قبيل الأوهام . في هذا الجو من الاعتراف والاعتراف المقابل . . يتبادل الفريقان الأدوار . . شعلة جهاد لاتعترف باحتلال مهما كان نوعه تعليها حماس . . ودور سياسي ومؤتمرات تتقن لغتها فتح . . خطان متوازيان غير متقاطعين يصبان أخيراً في مصلحة القضية المقدسة . أو كما قال أخونا خالد الحروب في نهاية مقاله : "فإذا تعذر توزيع الأدوار كما هو حادث داخل بنية كيان عدونا ، فلا أقل من الاعتقاد الذي يجب أن يسود كل طرف بأن الطرف الآخر يؤدي دوراً لايستطيع هو تأديته ، ونتائج هذه الأدوار يفترض أن تصبّ في هدف واحد ولصالح واحد" .

وليس هناك من بديل لهذا الطرح العاقل سوى الصدام المؤلم والدم الزكي يراق على مذبح الأنانيات والتحزبات . . كما حدث في أوائل يوليو (تموز) من عام ١٩٩٢م ، عندما وصلت معلومات شبه مؤكدة إلى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بوجود توجهات في القيادة الفلسطينية العليا بتحجيمها والعمل على الحدّ من نفوذها داخل الأرض المحتلة لصالح العملية السلمية ، خاصة وإن الانتخابات المهنية التي جرتْ عام ١٩٩٢م دلت على أن حماس هي المنافس الأقوى لمنظمة التحرير في أية انتخابات قادمة . (١)

والسؤال هل المنطقة مقبلة على حرب أهلية . . . تُتهم فيها حماس بتصفية من تتهمهم بالعمالة لإسرائيل أو المتعاونين معها . . وتُتهم فتح بتصفية حماس وكل من يرفض حلول السلام الهزيل . . .؟ سؤال حائر ينتظر الأجابة .

ونحن بالطبع لا نؤيد منطق التصفيات ، فهي سياسة ثبت إخفاقها . . وأن المتضرر الوحيد فيها هو الشعب وقضيته . . والكاسب الوحيد هو العدو وأنصاره . .

حماس تتصدر الأحداث

شهدت الأرض المحتلة تصعيداً خطيراً حوّلها إلى ما يشبه ساحة حرب كان أبرز معالمها اعلان " حركة المقاومة الاسلامية " (حماس) خطف ضابط من " حرس الحدود الاسرائيليين يدعى نسيم توليدانو والتهديد بقتله ما لم تطلق اسرائيل مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين . (٢)

---

(١) كما حدث في انتخابات غرف التجارة والصناعة حيث فازت حماس في الخليل ورام الله ، وفي انتخابات الاتحادات الطلابية حيث فازت حماس في جامعة الخليل وكلية الأمة في القدس (٩٢/٥/٢٣) .

(٢)١٩٩٢/١٢/١٥م

حاولت اسرائيل كسب الوقت ، ولكن حماس نفذت تهديدها . . وقتلت الضابط المخطوف . وعلى أثر ذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ابعاد ٤١٨ فلسطينياً من عناصر وزعماء حركة " حماس " من أصل (١٦٠٠) اعتقلتهم في الايام الأخيرة ، رداً علي اختطاف الرقيب الاسرائيلي من " حرس الحدود " نسيم توليدانو وقتله على يد الوحدة المسلحة لحركة " حماس " " كتائب عز الدين القسام " .

وجاء في بيان الحكومة أنه " أمام الارهاب الاعمى الذي يهدف إلى تهديد المواطنين الاسرائيليين وإلى تخريب عملية السلام تقرر تنفيذ الابعاد الفوري لاعضاء من المنظمتين الاسلاميتين الأصوليتين حماس والجهاد الاسلامي لفترة زمنية لا تتعدى السنتين " وأضاف البيان " يحق لكل شخص أن يرفع استئنافاً خلال ستين يوماً عن طريق أحد افراد عائلته أو عن طريق محام " .

وكان الجيش الاسرائيلي بدأ عملية نقل المعتقلين الذين تقرر إبعادهم من معتقلات " كتسعوت – انصار ٣ " في صحراء النقب وغزة وعسقلان والضفة الغربية في باصات إلى الحدود اللبنانية .(١)

ولقد نقلت هآرتس الاسرائيلية خبراً مفاده : أن الجيش الاسرائيلي وجهاز الاستخبارات قدما اقتراحاً يهدف إلى " القضاء على حركة حماس مرة وإلى الأبد " .

وقالت الصحيفة إن الاقتراح يدعو إلى اغلاق الجامعات والمدارس ورياض الأطفال والنوادي والجمعيات التي ترعاها حركة " حماس" اضافة إلى " الحد من نشاطات " جميع المؤسسات الأخرى التي ترعاها خصوصاً الجمعيات الخيرية .(٢)

---

(١)،(٢)١٨/١٢/١٩٩٢م

المبعدون يصدرون بيانهم الأول

في بيان هو الأول من نوعه حمل عنوان " نداء المبعدين " قالت " حماس " و "القيادة الموحدة للانتفاضة " انه تم التنسيق بين الطرفين " لتوحيد الخطوات وتصعيد الجهاد بكل اشكاله من أجل إعادة الأخوة المبعدين ومقاومة البطش الاحتلالي .

ودعا البيان " القوات الضاربة " التابعة للقيادة الموحدة للانتفاضه " انه تم التنسيق بين الطرفين " لتوحيد الخطوات وتصعيد الجهاد بكل أشكاله من أجل إعادة الأخوة المبعدين ومقاومة البطش الاحتلالي " .

ودعا البيان " القوات الضاربة " التابعة للقيادة الموحدة و " السواعد الرامية "التابعة لحركة " حماس " إلى " التنسيق الميداني تتويجا للعمل الموحد من أجل حرق الأرض تحت أقدام جنود الاحتلال الغاشم " .(١)

قرار مجلس الأمن رقم ٧٩٩

في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٢ اتخذ مجلس الأمن القرار ٧٩٩ والذي ينص على مطالبة اسرائيل بأن تكفل عودة جميع المبعدين بأمان وعلى الفور إلى الأراضي المحتلة .

وقد أوفد الأمين العام ممثله السياسي أكثر من مرة إلى اسرائيل . . ومع ذلك فقد اكتفت اسرائيل بالموافقة على عودة ١٠٠ شخص من المبعدين ، واستطاعت أمريكا أن تقنع مجلس الأمن ان ذلك يعتبر خطوة في طريق الحل . . .!

---

(١)٢١/١٢/١٩٩٢م

هل يحتاج الأمر إلى تفسير . . ؟

* هل كانت اسرائيل تدرك أن إبعاد أكثر من أربعمائة ناشط من قيادات حماس . . سيصعّد الانتفاضة . . ويقوي حمّاس . . ويوحد الجبهة الداخلية الفسطينية . . ؟!

* وهل تصدّر حماس الواجهة سيغريها بالدخول في اللعبة السياسية . . فلا تتفرد فيها منظمة ياسر عرفات على قاعدة إن اسرائيل تريد من الجميع أن يوقعوا . . . ؟

* وهل يتوقع أحد استجابة منظمة التحرير لمطالب حماس بايقاف مفاوضات السلام . أم يتوقعون العكس فتنضم حماس الي مجموعة المفاوضين . . ؟

أسئلة يقبلها البعض ويرفضها البعض، والزمن وحده صاحب الإجابة.

المستوطنات

من أكثر القضايا التي يدور حولها الجدل هي قضية الاستيطان . فبينما يعلن تكتل الليكود أن لليهود الحق في أن يقيموا مستوطناتهم على أي جزء من أرض إسرائيل (ا) ، فإن حزب العمل يعلن أنه لاضرورة لإقامة المستوطنات السياسية . . . ولكن المستوطنات الأمنية هي من الضرورات لأمن إسرائيل . . والخلاف أكثره في الألفاظ . . وسنتبين الموضوع بهذا الاستعراض . يمكن تقسيم المراحل الزمنية والمكانية المتعلقة بإنشاء المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية ، إلى ثلاثة أطوار ، مع ملاحظة تداخل هذه الأطوار فيما بينها :

* **الطور الأول** : يمتد زمنياً نحو عشر سنوات (١٩٦٧–١٩٧٧م) ، وفيه وضعت حكومات حزب العمل خطتين للاستيطان (تم تطبيق خطوطهما العريضة) استناداً إلى اعتبارات وصفت بانها ملحة من النواحي الاستراتيجية والعسكرية والديموغرافية . . . .الخ ، وذلك في ضوء توجهات حكومة اشكول وإجراءات وزير الدفاع دايان ومشروع ألون ومخططات قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية (برئاسة رعنان فايتس) . تضمنت **الخطة الأولى** استيطان شريط وادي الأردن ، الذي ترتب عليها ربط الجليل

بالنقب ، وفصل الضفة الغربية عن شرق الأردن . حيث رسم للاستيطان في هذه المنطقة أن يحولها إلى حزام أمني يتحكم بمحاور العبور في جميع الاتجاهات ، وإيجاد وقائع ثابتة لضم المنطقة إلى إسرائيل مستقبلاً .

وتضمنت **الخطة الثانية** توسيع" ممر القدس" الذي كان قائماً منذ العام ١٩٤٨م ، والقيام بحركة استيطانية في ضواحي المدينة . وقد رسم للمستوطنات في هذه المنطقة أن تشكل جزءاً من طوق يتصل بمستوطنات غوش عنسيون (بين بيت لحم والخليل) لقطع الاتصال العربي في القسم الجنوبي من الضفة .

* **الطور الثاني** : بدأ بصورة تمهيدية منذ أواسط السبعينات ، ويسمى "طور غوش ايمونيم" لأنه جاء أثر ظهور هذه الحركة التي حددت لنفسها نهجاً صنف إسرائيلياً بأنه"خط أيديولوجي –ديني– وطني" . واعتباراً من العام ١٩٧٦م شرعت "غوش ايمونيم" بتحويل هذا النهج وترجمته إلى نشاط استيطاني ، حتى العام ١٩٨٨م ، كان عدد المستوطنات التي تسيطر عليها " غوش ايمونيم " نحو ٦٠ مستوطنة من أصل ١٢٥ مستوطنة هو العدد الكلي للمستوطنات التي كانت قائمة آنذاك . وتعد مستوطنة كريات أربع (المتاخمة للخليل) المصدر الرئيسي لتزويد مستعمرات هذه الحركة بالمستوطنين بعد استقبالهم وتأهيلهم جزئياً لنمط الاستيطان الذي تقوم به .

* **الطور الثالث** : بدأ منذ أوائل الثمانينات ، ويسمى "طور الضواحي" نظراً لتزامنه مع شدة الطلب على مناطق جديدة ، ومن اتجاه الابتعاد عن المدن (وخصوصاً تل أبيب والقدس) بعملية سميت "الطرد المركزي" . وتذكر معلومات إسرائيلية أن نحو ٨٠ في المئة من المستوطنين في هذه المناطق جاؤوا بعد صعود الليكود إلى السلطة (عام ١٩٧٧م).

في مطلع العام ١٩٩٢م أعلن مايسمى "مجلس مستوطنات يهودا والسامرة" أن عدد المستوطنات الواقعة في الضفة الغربية بلغ ١٤٢ مستوطنة يقيم فيها نحو ١١٢ ألف

مستوطن و ١١٣ مستوطنة في عمق المنطقة يقيم فيها نحو ٤٧ ألف مستوطن و ٢٩ مستوطنة تحيط بالمدن يقيم فيها نحو ٦٥ ألف مستوطن . تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الذي قدم إلى الكونغرس في مطلع أيار (مايو) الماضي ، قدر عدد التجمعات السكنية اليهودية ، بما في ذلك المستوطنات في الأماكن الريفية والحضرية ، بنحو ١٨٠ تجمعاً يقيم فيها ٩٧ ألف مستوطن .

أما خطة رابين الجديدة . . فتقوم على خطة ألون أساساً وتضيف إليها أجزاء من خطة الليكود . . فقد قسّم الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق هي :

(١) مناطق استيطان أمني ستضمها إسرائيل وفقاً لمشروع ألون .

(٢) مناطق استيطان أمني خارج مشروع ألون أقرّ رابين ضمها إلى إسرائيل وهي من مخلفات الليكود .

(٣) مناطق استيطان سياسي ستسلم إلى الفلسطينيين وفقاً لمشروع ألون ورابين . . . (انظر الجدول) .

جدول يبين توزيع المستوطنات:

التصنيف / العناصر	منطقة " الاستيطان الأمني	منطقة " الاستيطانالسياسي"
مساحة المنطقة	٢٨٠٠كم٢	٢٧٠٠كم٢
نسبتها إلى مساحة الضفة	٥١ في المئة	٤٩ في المئة
الرقعة الجغرافية التي تغطيها	غور الأردن والشريط الطولاني المنتفخ المحاذي للبحر الميت على امتداد خط القدس الخليل حتى خط الهدنة جنوباً . منطقة القدس الكبرى . مستوطنات ضاحية تل أبيب في الضفة . - جزء من منطقة رام الله وشمال غربي القدس . غوش عتسيون (في منطقة بيت لحم) . - أقصى الجنوب الغربي لمنطقة الخليل .	- أكثر من نصف مناطق جنين ونابلس وطولكرم . شريط أو ممر في منطقة أريحا يصل بين الغرب وحدود النهر . - رقعة مستطيلة الشكل ضمن النصف الغربي من منطقة الخليل .
- العدد التقريبي للمستوطنات	٨٥	٥٥
- العدد التقريبي للمستوطنين - أبرز المستوطنات	٨٠٫٠٠٠ معاليه افرايم - معاليه أدوميم - إفرات - كريات أربع - عوفرا - جفعات زئيف - ارئيل - الكنا	٢٥٫٠٠٠ - ايلون موريه - كدوميم - براخا - عمنوئيل - كرني شمرون عيناف - شفي شمرون - كفار تبواح - ادورا .
- أبرز المدن والقرى	رام الله - بيت لحم	- جنين - نابلس - طولكرم - أريحا - الخليل .
- عدد السكان العرب	٤٠٠٫٠٠٠	٧٠٠٫٠٠٠

هل المباحثات في طريق مسدود

عندما وجهت الولايات المتحدة الأمريكية الدعوة لمؤتمر السلام حددت ٣١ أكتوبر ١٩٩٢م موعداً أقصى للتوصل إلى اتفاق بشأن ترتيبات الحكم الذاتي بين إسرائيل والفلسطينيين . الأخبار الواردة من واشنطن ومن فلسطين المحتلة متضاربة ومتناقضة . . بعضها يقول إن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود . . وأن البون شاسع بين ماتقبله إسرائيل وما يريده الفلسطينيون . . وبعضهم يؤكد أن الأمر متفق عليه مسبقاً . . وماجلسات الحوار إلاّ مجرد إخراج لمسرحية الحكم الذاتي . بعض المنظمات التي تعارض المفاوضات تدّعي أن فريقاً من مستشاري عرفات برئاسة سرّي نسيبة ، يعقد منذ أكثر من سنة لقاءات منتظمة مع فريق إسرائيلي برئاسة مارك هيللر الباحث في مركز الدراسات الإستراتيجية التابع لجامعة تل أبيب ، وأن الفريقان توصلا إلى مشروع سلام مشترك . ويزعم هؤلاء أن المشروع المتفق عليه نشر في كتاب صدر أخيراً بعنوان "إسرائيليون وفلسطينيون – اقتسام الأرض" .

المعارضون للمفاوضات يزعمون أن منظمة فتح تعد حالياً كادراً كاملاً لتسلم مهام الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة . . وإن الصدام الحالي الشرس الذي تقوده فتح ضد منظمة حماس الإسلامية ومحاولة إطفاء الشعلة الانتفاضية وتفريغها من محتواها إنما يصبان في هذا الهدف . . والمستقبل سيكشف ولاريب صحة هذه المزاعم من عدمه . . .

الفصل الثالث والأربعون

اتفاق غزّة- أريحا أولاً

في الوقت الذي خاض الاسرائيليون مع الوفود العربيّة عشر جولات من المفاوضات المباشرة في واشنطن دون التوصل إلى نتيجة .. تفاجأ العالم باتفاق المبادئ الفلسطيني – الإسرائيلي الذي توصل إليه الطرفان في مفاوضات سرية عقدت في أوسلو عاصمة النرويج .

نص إعلان المبادئ الفلسطيني - الاسرائيلي

فيما يأتي ترجمة من الانكليزيّة للنص الرسمي لمسودّة إعلان المبادئ الخاص بترتيبات الحكومة الذاتيّة الانتقاليّة الفلسطينيّة في الأراضي المحتلة .[1]

تتفق حكومة اسرائيل وممثل الشعب الفلسطيني ، أنه آن الأوان لوضع حد لعقود من المواجهات والصراع ، والاعتراف المتبادل لحقوقهما السياسيّة والشرعيّة ، ولتحقيق تعايش سلمي وكرامة وأمن متبادلين ، والوصول إلى تسوية سلميّة عادلة وشاملة ودائمة ، ومصالحة تاريخيّة من خلال العمليّة السياسية المتفق عليها . وعليه يتفق الطرفان على المبادئ الآتية :

* البند الأول - هدف المفاوضات :

إن هدف المفاوضات الإسرائيليّة – الفلسطينيّة ضمن إطار عمليّة السلام الشرق أوسطيّة هو ، إلى جانب أمور أخرى ، تشكيل سلطة فلسطينيّة انتقاليّة ذاتيّة ، المجلس المنتخب للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزّة لمرحلة انتقاليّة لا

---

(١) بتاريخ ١٩٩٣/٨/١٩م

تتعدى خمس سنوات وتؤدي إلى تسوية نهائية مبنيّة على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢و ٣٣٨ . من المفهوم أن الترتيبات الانتقاليّة هي جزء لا يتجزأ من العملية السلمية الشاملة ، وان المفاوضات على الوضع النهائي ستؤدي إلى تطبيق قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

* البند الثاني - اطار عمل للمرحلة الانتقاليّة :

إن إطار العمل المتفق عليه للمرحلة الانتقاليّة منصوص عليه في إعلان المبادئ هذا .

* البند الثالث - الانتخابات :

١- كي يتمكّن الفلسطينيون في الضفة الغربيّة وقطاع غزّة من حكم أنفسهم وفق المبادئ الديمقراطيّة ، ستجري انتخابات سياسيّة عامّة مباشرة وحرّة لانتخاب المجلس في ظل إشراف متفق عليه تحت رقابة دوليّة في الوقت الذي ستحافظ فيه الشرطة الفلسطينيّة على النظام العام .

٢- سيصار إلى اتفاق على روح الانتخابات وشروطها حسب البروتوكول المرفق كالملحق الرقم واحد ، بهدف إجراء انتخابات ضمن فترة لا تتعدى تسعة أشهر بعد دخول إعلان المبادئ حيّز التنفيذ .

٣- ستشكّل هذه الانتخابات خطوة أوليّة انتقاليّة مهمّة باتجاه الاعتراف بالحقوق الشرعيّة والمطالب العادلة للشعب الفلسطيني .

* البند الرابع - الولاية :

ستشمل ولاية المجلس منطقة الضفة الغربيّة وقطاع غزّة باستثناء قضايا سيتم التفاوض عليها في مفاوضات للوضع النهائي . ينظر الطرفان إلى الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة كوحدة جغرافيّة واحدة سيحافظ على وحدتها خلال الفترة الانتقاليّة.

* البند الخامس - الفترة الانتقاليّة ومفاوضات الوضع النهائي :

١- ستبدأ مرحلة خمس السنوات الانتقاليّة فور الانسحاب من قطاع غزّة ومنطقة أريحا .

٢- ستنطلق مفاوضات الوضع النهائي في أقرب وقت ممكن ، على ألاّ يتعدّى ذلك بداية السنة الثالثة للفترة الانتقاليّة ، بين حكومة اسرائيل وممثلي الشعب الفلسطيني .

٣- من المفهوم أن هذه المفاوضات ستغطي قضايا متبقية تشمل : القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنيّة ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيران آخرين وقضايا أخرى ذات أهميّة مشتركة .

٤- يتفق الطرفان على أن نتيجة مفاوضات الوضع النهائي لن تكون محكومة ومتأثرة باتفاقات تم التوصل إليها للمرحلة الانتقاليّة .

* البند السادس - نقل الصلاحيات والمسؤوليات التمهيديّة :

١- مع دخول إعلان المبادئ هذا حيّز التنفيذ والانسحاب من قطاع غزّة ومنطقة أريحا سيبدأ نقل للسلطة من الحكومة العسكرية الاسرائيليّة وإدارتها المدنيّة للفلسطينيين المخولين هذه المهمّة ، كما هو موضح هنا ، وستكون طبيعة هذا النقل أوليّة حتى إنشاء المجلس .

٢- فوراً بعد دخول إعلان المبادئ هذا حيّز التنفيذ والانسحاب من قطاع غزّة ومنطقة أريحا ، آخذين بالاعتبار ترويج التطوير الاقتصادي لقطاع غزة ومنطقة أريحا ، ستنتقل السلطة إلى الفلسطينيين في المجالات الآتية : التعليم والثقافة ، الصحة ، الشؤون الاجتماعيّة ، الضرائب المباشرة والسياحة . وسيشرع الجانب الفلسطيني في بناء قوّة الشرطة الفلسطينيّة حسبما هو متفق عليه . وبانتظار إنشاء

المجلس يمكن للجانبين التفاوض على نقل صلاحيات ومسؤوليات إضافيّة حسبما هو متفق عليه .

* البند السابع :

١- سيتفاوض الوفدان الفلسطيني والاسرائيلي على اتفاق للمرحلة الانتقاليّة "الاتفاقيّة الانتقاليّة" .

٢- سيحدد الاتفاق الانتقالي ، ضمن أمور أخرى ، تركيبة المجلس وعدد أعضائه ونقل الصلاحيات والمسؤوليات من الحكومة الإسرائيليّة العسكريّة وإدارتها المدنيّة إلى المجلس . وسيحدد الاتفاق الانتقالي أيضا سلطة المجلس التنفيذيّة والسلطات التشريعيّة ، وفقا للبند التاسع المبين أدناه ، والأجهزة القضائية الفلسطينيّة المستقلّة .

٣- سيشمل الاتفاق الانتقالي ترتيبات تطبق فور تشكيل المجلس لتولية الصلاحيات والمسؤوليات المنقولة مسبقا حسب البند السادس .

٤- من أجل مساعدة المجلس على تشجيع النمو الاقتصادي فور انشائه سيشكّل المجلس ، ضمن أمور أخرى ، سلطة إدارة كهرباء فلسطينيّة ، سلطة ميناء بحري في غزّة ، بنك تنمية فلسطيني ، هيئة تشجيع صادرات فلسطينيّة ، سلطة بيئة فلسطينيّة ، وسلطة أراض فلسطينيّة ، وسلطة إدارة مياه فلسطينيّة ، وأي سلطات يتفق عليها وفقا للاتفاق الانتقالي الذي سيحدد صلاحيتها ومسؤوليتها .

٥- بعد إنشاء المجلس ستحل الأدارة المدنيّة وتنسحب الحكومة العسكريّة الاسرائيليّة .

البند الثامن - النظام العام والأمن :

من أجل ضمان النظام العام والأمن الداخلي لفلسطينيي الضفة الغربيّة وقطاع غزّة ، سيشكل المجلس قوّة شرطة فلسطينيّة قويّة ، بينما تواصل اسرائيل تحمل

مسؤولية الدفاع ضد الأخطار الخارجيّة وكذلك مسؤولية الأمن العام للاسرائيليين من أجل حماية أمنهم الداخلي والنظام العام .

* البند التاسع - القوانين والأوامر العسكريّة :

١- سيخوّل إلى المجلس التشريعي ، وفقا للاتفاق الانتقالي ، في كل الصلاحيات المنقولة إليه .

٢- سينظر الطرفان معا في القوانين والأوامر العسكريّة المتداولة في المجالات المتبقية .

* البند العاشر - لجنة الارتباط الفلسطينيّة - الاسرائيليّة المشتركة :

من أجل تأمين تطبيق سهل لإعلان المبادئ هذا وأي اتفاق لاحق متعلّق بالفترة الانتقاليّة ، وفور دخول اعلان المبادئ حيّز التنفيذ ، سيتم تشكيل لجنة ارتباط فلسطينيّة – اسرائيليّة مشتركة لمعالجة قضايا تتطلب التعاون ، وقضايا أخرى ذات اهتمام مشترك ونزاعات .

* البند الحادي عشر - التعاون الاسرائيلي - الفلسطيني في المجالات الاقتصاديّة :

اعترافا بالمنفعة المتبادلة للتعاون بتشجيع تطوير الضفة الغربيّة وقطاع غزّة وإسرائيل ، وفور دخول اعلان المبادئ هذا حيّز التنفيذ ، سيتم تشكيل لجنة تعاون اقتصادية فلسطينيّة – اسرائيليّة من أجل تطوير وتطبيق – ضمن روح تعاونيّة – البرامج المشار إليها في البروتوكولات المرفقة كالملحقين الثالث والرابع .

* البند الثاني عشر - الارتباط والتعاون مع مصر والأردن :

سيقوم الطرفان بدعوة كل من الأردن ومصر للمشاركة في تشكيل مزيد من

ترتيبات التعاون والارتباط بين حكومة اسرائيل والممثلين الفلسطينيين من جهة ، وحكومتي الأردن ومصر من جهة أخرى ، لتشجيع التعاون بينهم ، وستشتمل هذه الترتيبات على تكوين لجنة متابعة ستقرر ، من خلال اتفاق ، ماهيّة صيغة دخول ، لاشخاص شردوا من الضفة الغربيّة وقطاع غزّة في عام ١٩٦٧م ، ومعا ، بواسطة الإجراءات الضروريّة ، لمنع الفوضى والخلل . وستعالج هذه اللجنة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك .

* البند الثالث عشر - إعادة انتشار القوات الاسرائيليّة :

١- بعد دخول اعلان المبادئ حيّز التنفيذ ، وليس أبعد من عشيّة انتخابات المجلس ، ستتم إعادة انتشار القوات الاسرائيليّة في الضفة الغربيّة وقطاع غزّة ، إضافة إلى انسحاب القوات الإسرائيليّة المنصوص عليه وفقا للبند الرابع عشر .

٢- وبإعادة انتشار قواتها العسكرية ستتبع اسرائيل المبادئ التي تفيد أنه يجب إعادة نشر قواتها العسكريّة خارج المناطق السكانيّة .

٣- سيتم تطبيق تدريجي لعمليات إعادة انتشار أخرى إلى مواقع محددة وفقا لتولي مسؤوليات تجاه النظام العام والأمن الداخلي من قبل قوّة الشرطة الفلسطينيّة ، المنصوص عليها في البند الثامن .

* البند الرابع عشر - الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزّة ومنطقة أريحا:

ستنسحب اسرائيل من قطاع غزّة ومنطقة أريحا حسبما هو مفصّل في البرتوكول المرفق بالملحق رقم ٢ .

* البند الخامس عشر - حلّ النزاعات :

١- سيتم حلّ النزاعات الناجمة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ هذا ، أو أية اتفاقات متعلّقة بالفترة الانتقاليّة بواسطة التفاوض من خلال لجنة الارتباط المشتركة التي ستشكل وفقا للبند العاشر .

٢- يمكن حل النزاعات التي لا يمكن للمفاوضات تسويتها من خلال آليّة توفيق يتفق الأطراف عليها .

٣- يمكن للأطراف اللجوء إلى التحكيم في نزاعات متعلّقة بالفترة الانتقاليّة ، والتي لا يمكن حلّها بواسطة التوفيق . وإلى هذا الحد ، وفور موافقة الطرفين ، يشكلان لجنة تحكيم .

* البند السادس عشر - التعاون الفلسطيني - الاسرائيلي المتعلّق بالبرامج الإقليميّة .

ينظر الطرفان إلى مجموعات عمل المحادثات المتعددة الأطراف كأداة ملائمة لترويج " خطّة مارشال" : برامج إقليميّة وأخرى تشتمل على برامج خاصّة للضفّة الغربيّة وقطاع غزّة ، كما هو مشار إليه في البرتوكول المرفق بالملحق رقم ٤ .

* البند السابع عشر - فقرات مختلفة :

١- يدخل إعلان المبادئ حيّز التنفيذ بعد شهر على توقيعه .

٢- كل البروتوكولات الملحقة بإعلان المبادئ هذا والتفاصيل المتفق عليها المتعلّقة به يجب أن تعتبر كجزء واحد منه .

حرر في واشنطن دي . سي يوم ١٩٩٣م

عن حكومة اسرائيل

عن الفلسطينيين

شهد عليه

الولايات المتحدة

الاتحاد الروسي

وبعد ثلاثة أيام من النقاشات الحادّة في شأن الاتفاق الذي وقّع في واشنطن يوم (٢٠/٩/١٩٩٣م) وافق الكنيست الاسرائيلي بأغلبيّة ٦١ صوتا مقابل خمسين صوتا على الاتفاق ، بينما اعتبر اليمين الاسرائيلي الاتفاق بداية تخلي اسرائيل عن كامل المناطق المحتلّة وإقامة دولة فلسطينيّة مستقلّة .

كما استطاع ياسر عرفات أن يحصل على موافقة المجلس المركزي لمنظمة التحرير بإقرار الاتفاق . وعلى الرغم من حصول عرفات على هذه الموافقة فإن المعارضة الفلسطينيّة التي تمثلها حماس الاسلامية والمنظمات الوطنيّة الأخرى التي اتخذت من دمشق مركزا لها تقلقه ، فاتحة في جبهته الداخليّة ثغرة لا يستهان بها ولا يعرف على وجه الدقة كيف يمكن سدّها أو الحيلولة دون اتساعها .

رسائل الاعتراف بين منظمة التحرير
وقادة إسرائيل

الرسالة الأولى من عرفات إلى رابين

في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣م

السيد رئيس الوزراء :

إن توقيع إعلان المبادئ ينبئ بعهد جديد في تاريخ الشرق الأوسط . وإنني بدافع الاقتناع الجازم بذلك أود أن أوكد التعهدات التالية لمنظمة التحرير الفلسطينيّة :

إن منظمة التحرير الفلسطينيّة تعترف بحقّ دولة إسرائيل في العيش في سلام وأمن . وتوافق منظمة التحرير الفلسطينيّة على القرار الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ لمجلس الأمن الدولي .

إن منظمة التحرير الفلسطينيّة تلتزم بمسيرة السلام في الشرق الأوسط وبالمشاركة في إيجاد حل سلمي ينهي النزاع بين الطرفين وتعلن أن جميع المسائل المعلّقة التي ترتبط بالوضع الدائم سيتم تسويتها عن طريق التفاوض .

وتعتقد منظمة التحرير الفلسطينيّة أن توقيع إعلان المبادئ يعد حدثا تاريخيّا ينبئ ببدء عهد جديد من التعايش السلمي يكون خاليا من العنف وأي عمل آخر يمكن أن يعرض للخطر والسلام والاستقرار . ومن ثمّ فإن منظمة التحرير تتخلّى عن الإرهاب وعن أي عمل من أعمال العنف وستتحمّل المسؤوليّة بالنسبة إلى كل عناصر وموظفي منظمة التحرير الفلسطينيّة . وتتعهد بتدارك أي انتهاك لهذه التعهدات وباتخاذ إجراءات تأديبيّة ضدّ أي مخالف لها .

ومنظمة التحرير الفلسطينيّة إذ تستقبل عهدا جديدا وتوشك أن توقّع إعلان المبادئ في إطار الموافقة الفلسطينيّة على القرار ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ لمجلس الأمن تؤكّد أن مواد ونقاط الميثاق الفلسطيني التي تنكر حق إسرائيل في الوجود وأيضا نقاط الميثاق التي

تتعارض مع التعـهدات الواردة بهذه الرسالة أصبحت عديمة الأثر وغـير سارية المفعول ، وبالتالىْ ستعرض مـنظمة التحرير الفلسطينـية على المجلس الوطنى الفلسطيـنى التغييرات الضرورية فى الميثاق الفلسطينى للموافقة عليها.

المخلص ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينيّة

الرسالة الثـانيـة مـن عـرفـات إلى وزيـر الخـارجيّة النـرويـجي جـوهـان هولست

" في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣م

سعادة وزير خارجيّة النرويج

جوهان جورغن هولست

أود أن أؤكّد لكم أن تصريـحاتي العلنيّة ستتضـمن المواقف التالية عنـد توقيع إعلان المبادئ :

على ضـوء العهد الجـديد الذي ينـبئ به توقـيع إعلان المبـادئ فإن منظـمة التحـرير الفـلسطيـنية تشـجع الشـعب الفلـسطينـي في الضـفّة الغربيّة وقـطاع غزّة وتدعـوه إلى المشاركة في التدابير التى تؤدي إلى التطبيع ورفض العنف والإرهاب والإسهام في تحقيق السلام والاستقرار والمشاركة الإيجابيّة في التعمير والتنمية الإقتصاديّة والتعاون .

المخلص ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينيّة

الرسالة الثالثة من رابين إلى عرفات

السيد ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينيّة

ردّاً على رسالتكم المؤرّخة ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣م أود أن أعلن لكم أنه على ضوء تعهدات منظمة التحرير الفلسطينيّة الواردة في هذه الرسالة فقد قررت الحكومة الإسرائيليّة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل للشعب الفلسطيني وبدء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينيّة في إطار مسيرة السلام في الشرق الأوسط .

اسحق رابين

رئيس وزراء إسرائيل

دوافع اتفاق السلام

يتسائل المراقبون السياسيون عن دوافع هذا الاتفاق ، وما الذي سيحققه الطرفان من مكاسب ..؟

تجيب النيويورك تايمز على هذا التساءل ، فتنقل تصريحا لوزير خارجيّة إسرائيل السابق أبا ايبان حيث يقول :

" لم يتوصل الاسرائيليون والفلسطينيون إلى تفاهمهم الجديد إلاّ لأنهم غير راضين عن أوضاعهم الراهنة " . ومن المؤكّد أن الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينيّة ليسوا راضين عن وضعهم الراهن ، فقد ظل الفلسطينيون يعيشون سنوات إما في أوضاع بائسة في غزّة أو الضفة الغربيّة باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية في إسرائيل ، أو مشردين في كل أرجاء العالم . كما أن المنظمة أضحت تفتقر إلى المال تماما . وسببت الخلافات داخل المنظمة وبين الفلسطينيين تصدّعات رهيبة . ولهذا يمكن القول إن منظمة التحرير كان دافعها إلى الإتفاق مع إسرائيل حاجتها إلى التوصّل إلى اتفاق ما قبل فوات الأوان .

وعلى الجانب الآخر فإن إسرائيل وإن لم تكن راضية عن استمرار قوة المقاومة الفلسطينيّة وبقائها فهي تتعامل معها من موضع القوي . ولم تكن تتعرض لضغوط خارجيّة تذكر لتغيير مجرى الأحداث خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية . وكان الدليل على ذلك عدم إحراز أي تقدّم حقيقي خلال الجولات العشر الأول من المحادثات " الرسميّة " لإحلال السلام في الشرق الأوسط .

لماذا إذن اختار رئيس وزراء حكومة حزب العمل الإسرائيلي اسحق رابين إجراء مفاوضات سريّة مع منظمة التحرير الفلسطينيّة أدّت إلى الإعتراف بالمنظمة واتفاق غزّة - أريحا ؟

ويجيب آبا إيبان على ذلك فيقول :

إن إسرائيل الكبرى في نظر حزب العمل تختلف عن مفهومها عند الليكود . كانت

استراتيجيّة حزب العمل أن يُبقي على الهيمنة الإسرائيليّة على الأراضي المحتلّة من دون أن يطلب منه ضم الفلسطينيين إلى استراتيجيّته . ومن شأن الاتفاق الأخير أن يحقق ذلك . إذ أن منطقة قطاع غزّة التي تعد أكثر المناطق المحتلّة كثافة سكّانيّة ستحصل على وضع منفصل . وذلك كفيل بأن يوفّر لإسرائيل الأسباب التي تحتاج إليها لتحاشي دمج الفلسطينيين في إسرائيل ، في حين تظل محتفظة بالسيطرة على الأرض والمياه والموارد الأخرى .

ولكن لماذا الآن ، والتنظيم الفلسطيني يبدو في أخفض درجاته ؟

ربما تحركت إسرائيل الآن بالذات لهذا السبب . فلا تواجه منظمة التحرير الفلسطينيّة متاعب مالية وحسب ، بل إن الفلسطينيين يزداد تململهم كل يوم .

كما وأن الانتفاضة تحقق كل يوم المزيد من النجاح .. ويصب ذلك كله في مصلحة المتشددين .

ونحن نعتقد أن العامل الأخير الذي ذكره أبا إيبان بتواضع شديد .. هو السبب في حرص اسرائيل على توقيع هذا الاتفاق مع منظمة التحرير .. فعامل الزمن لم يعد في صالح إسرائيل مع تنامي الانتفاضة وارتفاع أسهم منظمة حماس التي تنظر إلى مجمل القضيّة نظرة مختلفة تماما عن نظرة منظمة التحرير .

بل إن أحد الشروط الاسرائيليّة القاسية من أجل الاعتراف بمنظمة التحرير كان تعهد الأخيرة بتصفية الانتفاضة (ميد ٢٢/٩/١٩٩٣م) .

ردود الفعل المختلفة على إعلان المبادئ الإسرائيلي - الفلسطيني

١- في إسرائيل كانت ردود الفعل عنيفة ضد الإعلان وخاصّة من قبل حزب الليكود بزعامة شامير الذي وصف الاتفاق بأنه بداية تخلي إسرائيل

عن أهدافــهــا في إقــامــة إســرائـيل التــوراتـيّة . ومن قــبل المســتــوطـنيين الذين شعروا بأن الاتفاق يهدد وجودهم عاجلا أم آجلا .

٢- في الأردن صـرّح مسـؤولوه بأن بلادهم مستـاءة من عـدم إحـاطتـهـا علمـا وبشكل مـسـبق بالاتفـاق الذي توصلت إليـه إسـرائيـل ومنظمـة التحـريـر . واعـتـبـرت الصـحف الأردنيّة الاتفـاق ضـربة جـديدة وقـاسـيـة للعـلاقـات الأخويّة ولحلم التسوية العادلة .

٣- أمـا دمشق فـقـد شعـرت بـالمرارة حيـال المنظمـة التي فـضّلـت العمل السـرّي للتـــوصّل إلى اتفــاق مـع إســرائيل دون أن تـعـيــر التـنسـيق بـين دول الطوق العـــربي أي اهـتـمـــام بـالرغم من أن الجـــانـب الفلسـطيـنـي كــان أكـــثـــر المطالـبين بالتنسـيق وأكـثـر الخـائفين من تجـاوزه . ولـربما كـانت عـلاقـات الأسـد – عـرفـات سببـا في مـثل هذا الموقف . كـانت دمشق تفـضّل دومـا أن تفــاوض إسـرائـيـل باعـتــبـارها الـقـوّة الرئـيـسـيّة التي تملك مـعظم الأوراق .. أمـا الـيـوم وفي ظلّ التـأييـد الغـربي الكـبـيـر لاتـفـاق غـزّة – أريحـا .. فـقـد أصـبـحت سـوريا في الزاوية ، لا يسـعـها الانطـلاق إلاّ في حدود خيـار الاتفـاق الاسرائيلي – الفلسطيني .

٤- حـركـة الأخـوان المسلمين أصـدرت بيـانـا اسـتنكرت فـيـه اتفـاق غـزّة – أريحـا أولا ، وأكـدت الثـوابت العـقـائديّة التي تنـطلق منهـا بالنـسـبـة للـقـضـيـة الفلسطينيّة وهي :

إن قضـية فلسطين لا تخص الشعب الفلسطيـنـي وحده وإنّما هي قضـيّة كل العرب والمسلمين ، والعمـل على تحرير فلسطين فريضـة على كل مسلم ومـسلمة . إن الطريق الوحيد للـتحرير والاستقـلال هو الجهاد في سبيـل الله بكل صوره وأشكاله ، والأولويّة في ذلك أن تتخذ الدول الاسلاميّة شعوبا وحكومـات طريقا نحو تطوير نفسها لتواكب

حريّة التقدم الحضاري العالميّة مع تمسكها بعقيدتها ودينها . إن المفاوضات الجارية الآن تمت في وقت اختلت فيه الموازين وبالتالي فكل ما ينتج عنها سيكون في صالح العدو الصهيوني . وختم الإخوان بيانهم بالقول : إن الإخوان المسلمين لعلى يقين أن هذا الاتفاق لن تكتب له الحياة ، وسيقبر تحت أقدام المجاهدين في سبيل الله من أبناء فلسطين وإخوانهم في كل أنحاء العالم .. فالظلم لا يدوم ولا يبقى وإن طالت به الحياة ..

٥- أما حركة حماس فقد أصدرت بيانا مفصّلا أوضحت فيه موقفها جاء فيه :

إن مشروع غزّة - أريحا لا يمثّل إلاّ حفنة من القيادات المنتفعة والمستسلمة لإرادة العدو ، وهو مؤامرة كبرى تستهدف شعبنا وقضيّتنا وأمّتنا ، وهو ليس إلاّ إدارة ذاتيّة على أقل من ٢٪ من أرض فلسطين . إن المشروع يهدف إلى إيقاف الانتفاضة المباركة وهو ليس أكثر من حزام أمني جديد يخدم العدو الصهيوني .. وعليه فإن منظمة حماس تعلن : استمرارها في المعركة الطويلة ضدّ الاحتلال .. وهي تدعو جميع القوى والفصائل والشخصيّات المخلصة للتعاون معها لإسقاط هذا الاتفاق الهزيل والاستمرار في طريق التحرير والجهاد .

٦- أما في الغرب فقد حذّرت الصنداي تلغراف (٣/١٠/١٩٩٣م) الدول الغربيّة من أن تنسى أن وجود الدولة العبرية كان بقرار من الغرب ، باعتبارها ضرورة في هذه المنطقة الحساسة والحيويّة ، للتصدي للأصوليّة الاسلامية المقلقة .. وعلى دول الغرب أن تتأكد من أن هذه الاتفاقيّة أو غيرها يجب أن توفّر الأمن للدولة اليهوديّة فإسرائيل تتألّف من أرض وفكرة وما زال كلاهما بحاجة إلى من يدافع عنهما .

ملاحظات حول الاتفاق

السيطرة على المياة في الأرض المحتلّة

أكد تقرير سرّي أعدّه مركز الدراسات الاستراتيجيّة في جامعة تل أبيب ونشرت صحيفة هاآرتز مقتطفات منه أنه على إسرائيل مهما تكن الاتفاقات التي تعقدها مع جيرانها أن تحتفظ بسيطرتها على مصادر المياه في الأراضي المحتلّة في حال انسحاب جيشها بما فيها الآبار الجوفيّة في شمال السامرة (!) عند تقاطع الحدود الاسرائيليّة السوريّة الأردنيّة وبين إسرائيل ولبنان (١٩/١٠/١٩٩٣م).

تعديل ميثاق منظمة التحرير

المواد التي تطالب اسرائيل بحذفها من الميثاق الوطني الفلسطيني هي:

المادّة ٢ : فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليميّة لا تتجزأ.

المادة ٩ : الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجيّة وليس تكتيكا.

المادة ١٠ : العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبيّة الفلسطينيّة وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته.

المادة ١٩ : تقسيم فلسطين الذي جرى عام ١٩٤٧م وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقّه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تحرير المصير.

المادة ٢٠ : يعتبر باطلا كل من تصريح بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما.

المادّة ٢١ : الشعب العربي الفلسطيني معبرا عن ذاته بالثورة الفلسطينيّة المسلّحة يرفض كل الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرا كاملاً.

المادّة ٢٢ : الصهيونيّة حركة سياسيّة مرتبطة ارتباطا عضويّا بالامبرياليّة العالميّة ومعادية لجميع حركات التحرر والتقدم في العالم ، وهي حركة عنصريّة تعصبيّة في تكوينها ، عدوانيّة توسعيّة استيطانيّة في أهدافها ، وفاشيّة نازيّة في وسائلها ، وأن إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونيّة وقاعدة بشريّة جغرافيّة للامبرياليّة العالميّة ونقطة ارتكاز ووثوب لها في قلب الوطن العربي لضرب أماني الأمّة العربيّة في التحرير والوحدة والتقدّم .

المادّة ٢٣ : دواعي الأمن والسلم ومقتضيات الحقّ والعدل تتطلّب من الدول جميعها حفظا لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لأوطانهم أن تعتبر الصهيونيّة حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها .

موضوع اللاجئين

ولقد أثار الذين يعارضون اتفاق غزّة – أريحا قضيّة اللاجئين الفلسطينيين ، وأن الاتفاق لم يتناول أصلا قضيّة مهاجري عام ١٩٤٨م ، وأنّه ذكر مهجّري عام ١٩٦٧م على استحياء .. وأن هذا الأمر يخالف كل المواثيق الدوليّة وأماني الشعب الفلسطيني بالعودة إلى وطنه .

وأخيرا

فإن اتفاق غزّة أريحا هو مقامرة قام بها زعماء منظمة التحرير بعد أن وصلوا إلى مرحلة اليأس .. واستقبلها الشعب الفلسطيني المقهور اليائس باستنكار شديد .. وإن كانت ظروفه لا تمكنه إلاّ من الاستسلام .

ولربما اعتقد هذا الشعب أن إرادة التحرير عندما تتوفّر لا تقف في وجهها اتفاقات اللحظة الأخيرة على طاولة المقامرة واليأس .

أحداث فلسطين حسب التاريخ

التاريخ	الأحداث
٦٣٦ م	جيوش المسلمين تحاصر بيت المقدس .
١٠٩٩م	الحملة الصليبية الأولى .
١١٤٧م	الحملة الصليبية الثانية .
١١٦٤م	(نور الدين محمود) يلحق هزيمة بالفرنجة في عسقلان .
١١٦٩م	(نور الدين محمود) يغزو مصر .
١١٧١م	(صلاح الدين الأيوبي) يخلف أسد الدين شيركوه .
١١٨٧م	خروج الفرنجة من بيت المقدس .
١١٩٠م	معركة حطين .
١١٩١م	(الحملة الصليبية الثالثة) .
١١٩٢م	صلاح الدين الأيوبي يعقد صلحا مع الفرنجة .
١٢٠٢م	الحملة الصليبية الرابعة
١٢١٥م	الحملة الصليبية الخامسة .
١٢٢٩م	الحملة الصليبية السادسة .
١٢٣٩م	الحملة الصليبية السابعة .
١٢٤٤م	المغول يهاجمون سوريا .
١٢٤٨م	الحملة الصليبية الثامنة .
١٢٧٠م	الحملة الصليبية التاسعة .
١٢٧١م	ملك بريطانيا (ادوارد) يحتل عكا .
١٢٩٠م	الملك (إدوارد الأول) يطرد اليهود من بريطانيا .
١٣٠٦م	الملك (فيليب) يطرد اليهود من فرنسا .
١٣٥٩م	نهاية الحروب الصليبية .
١٤٩٣م	السلطان العثماني(بايزيد الثاني)يصدر مرسوما يقضي بحسن معاملة اليهود .
١٤٩٨م	ملك فرنسا (لويس الثاني عشر) يخيِّر اليهود بين النفي أو التنصير .
١٧٩١م	قادة الثورة الفرنسية يساوون بين اليهود والفرنسيين .
١٧٩٨م	انشاء المجلس اليهودي العالمي .
١٧٩٩م	وعد (نابليون) لليهود .

التاريخ	الأحداث
١٨٤٠م	تدخل بريطانيا عسكريا في سوريا .
١٨٤٥م	بريطانيا تطالب الدولة العثمانية بطرد سكان فلسطين واسكان اليهود مكانهم .
١٨٥٥م	(مونتفيوري) رئيس المجلس اليهودي في بريطانيا يمول شراء بعض الأراضي قرب مدينة حيفا .
١٨٦٠م	قيام حركة الاتحاد الاسرائيلي العالمي (الاليانس) في فرنسا .
١٨٧٤م	نال اليهود كامل حقوقهم السياسية والدينية في كل من بلجيكا والدنمارك والنرويج وانكلترا وهولندا وألمانيا .
١٨٧٥م	اشترت الحكومة البريطانية أسهم قناة السويس بأموال اليهود .
١٨٧٦م	غورديلا الصهيوني يفاوض الحكومة العثمانية على شراء مساحات من أرض فلسطين لاقامة مستعمرات زراعية لليهود .
١٨٨٢م	استيلاء انكلترا على مصر .
١٨٨٢م	جمعية احباء صهيون تحاول الحصول على إذن لهجرة اليهود إلى فلسطين والدولة العثمانية ترفض الطلب .
١٨٨٢م	الباب العالي يمنع اليهود الذين يحملون الجنسيات الروسية أوالرومانية أوالبلغارية من دخول القدس .
١٨٨٥م	اتصل هرتزل برجل المال اليهودي (البارون مورتيز دي هيرش) ليقنعه بالحاجة إلى حركة سياسية لا إلى مساعدات خيرية .
١٨٨٨م	الباب العالي يصدر قوانين جديدة تمنع تسرب اليهود إلى فلسطين تحت اسم رعايا البلاد الأخرى .
١٨٩٤م	تيودور هرتزل أول من بدأ الحركة الصيهيونية بنشره كتاب (الدولة اليهودية) .
١٨٩٧م	مؤتمر (بال) في سويسرا .
١٨٩٨م	المؤتمر الصهيوني الثاني وتأسيس الأمانة الإستعمارية والصندوق القومي .
١٨٩٨م	هرتزل في فلسطين على رأس وفد رسمي .

التاريخ	الأحداث
١٨٩٨م	لقاء قيصر ألمانيا وهرتزل في مدينة القدس .
١٨٩٩م	المؤتمر الصهيوني الثالث في بال (بسويسرا) .
١٩٠٠م	المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن .
١٩٠١م	المؤتمر الصهيوني الخامس في بال بسويسرا وإنشاء الصندوق القومي اليهودي لشراء الأراضي .
١٩٠٣م	أول مؤتمر صهيوني (سري) في فلسطين .
١٩٠٣م	المؤتمر الصهيوني السادس في (بال) بسويسرا .
١٩٠٥م	المؤتمر الصهيوني السابع في (بال) بسويسرا .
١٩٠٥م	الصندوق القومي اليهودي يشتري ١٥ ألف دونم من الأراضي في يافا والجليل .
١٩٠٥م	جلسات المؤتمر المنعقد في لندن بصورة رسمية وسرية للتخطيط للسيطرة على العالم الاسلامي .
١٩٠٧م	المؤتمر الصهيوني الثامن في (لاهاي) .
١٩٠٧م	اجتماع اللجنة العليا المختصة في الشؤون الاستعمارية في لندن
١٩٠٩م	الانقلاب على السلطان عبدالحميد .
١٩١٤م	التآمر على إدخال الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى .
١٩١٤م	لقاءات (كتشنر) مع الأمير عبد الله في القاهرة .
١٩١٤م	هربرت صموئيل يتحدث مع مستر جراي (وزير خارجية بريطانيا) حول مستقبل فلسطين .
١٩١٦م	تولى الصهاينة : لويد جورج رئاسة الوزراء وبلفور وزارة الخارجية في بريطانيا .
١٩١٦م	بريطانيا تخطط مع فرنسا مستقبل البلاد العربية .
١٩١٧م	الثورة البلشفية .
١٩١٧م	سايكس الانكليزي وريجنالد وينجت يقترحان شكل العلم العربي الجديد .
١٩١٧م	وعد (بلفور) .
١٩١٧م	رئيس البلدية يسلم مدينة القدس رسميا لضابط بريطاني .

التاريخ	الأحداث
١٩١٧م	الفيلد مارشال اللنبي يدخل مدينة القدس .
١٩١٧م	الولايات المتحدة توافق على صيغة وعد بلفور .
١٩١٨م	لقاء بين الجمعية الاسلامية المسيحية والدكتور (وايزمن) زعيم الصهيونية .
١٩١٨م	ايطاليا توافق على وعد بلفور .
١٩١٨م	حضور لجنة صهيونية برئاسة وايزمن إلى فلسطين .
١٩١٨م	المؤتمر التأسيسي لجمعيات الشبان المسلمين في فلسطين .
١٩١٨م	أول لقاء بين زعيم الصهيونية (وايزمن) وزعيم القومية العربية فيصل بن الشريف حسين .
١٩١٨م	اللنبي يوجه إنذاراً إلى الملك فيصل في دمشق .
١٩١٨م	الانكليز يسيطرون على الحكم في العراق .
١٩١٨م	نهاية الحرب العالمية الأولى .
١٩١٨م	التايمز تنشر تصريحات الملك (فيصل) عن لقائه مع وايزمن .
١٩١٨م	سيطر الانكليز على جميع أجزاء فلسطين وفصلوها عن بقية أجزاء سوريا .
١٩١٩م	توقيع اتفاقية الصداقة العربية اليهودية (فيصل - وايزمن) .
١٩١٩م	المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في القدس .
١٩١٩م	الأمير فيصل في مؤتمر السلام في باريس .
١٩١٩م	الملك فيصل يؤكد لفرانكفورتر (الزعيم الصهيوني) ضرورة التقارب العربي - اليهودي .
١٩١٩م	الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس تدعو إلى تظاهرات شعبية .
١٩١٩م	لجنة التحقيق الدولية (كينغ - كرين) .
١٩٢٠م	هربرت صموئيل في فلسطين ...
١٩٢٠م	اعلان وعد بلفور ودمجه مع معاهدة الصلح مع تركيا .
١٩٢٠م	ثورة القدس الأولى .
١٩٢٠م	المؤتمر العربي الثالث .

التاريخ	الأحداث
١٩٢١م	ونستون تشرشل (وزير المستعمرات البريطاني) يضع حجر الأساس في بناء الجامعة العبرية .
١٩٢١م	مذكرة السكان العرب لتشرشل .
١٩٢١م	انتخاب الحاج أمين الحسيني مفتيا للقدس .
١٩٢١م	ثورة فلسطين الثانية .
١٩٢١م	المؤتمر العربي الرابع .
١٩٢٢م	الكتاب الأبيض والمشروع البريطاني لحل قضية فلسطين .
١٩٢٢م	ابرام صك الانتداب البريطاني في فلسطين .
١٩٢٢م	المؤتمر العربي الخامس .
١٩٢٣م	المؤتمر العربي السادس .
١٩٢٤م	المؤتمر التبشيري الثالث في القدس .
١٩٢٨م	المؤتمر التبشيري الرابع في القدس .
١٩٢٨م	المؤتمر العربي السابع والأخير .
١٩٢٨م	اجتماع عام للمسلمين في المسجد الأقصى .
١٩٢٨م	المؤتمر الاسلامي في القدس .
١٩٢٩م	الأوقاف الاسلامية تجري بعض الاصلاحات في حائط البراق .
١٩٢٩م	مظاهرات اليهود بمناسبة تدمير هيكل سليمان .
١٩٢٩م	ثورة البراق .
١٩٢٩م	(لجنة شو) للتحقيق في أحداث البراق .
١٩٣٠م	وفد فلسطيني يزور لندن برئاسة موسى الحسيني .
١٩٣٠م	اعدام المناضلين الثلاثة في ثورة البراق .
١٩٣٠م	الحكومة البريطانية تصدر (الكتاب الأبيض) .
١٩٣٠م	رسالة (ماكدونالد) إلى وايزمن تنسخ ما جاء في الكتاب الأبيض .
١٩٣١م	تشكيل حزب الاستقلال العربي .
١٩٣١م	اصدار قرار " لجنة البراق الدولية " .
١٩٣١م	انعقاد مؤتمر التسليح في نابلس .
١٩٣١م	افتتاح المؤتمر الاسلامي رسميا .

التاريخ	الأحداث
١٩٣٢م	انعقاد المؤتمر الأول للشباب في يافا .
١٩٣٢م	تأسيس فرع المؤتمر الاسلامي في الهند .
١٩٣٢م	اقامة المعرض الصناعي الصهيوني في تل أبيب .
١٩٣٢م	حزب الاستقلال في فلسطين يعلن عن قيام المؤتمر العربي العام .
١٩٣٣م	المفتي يلقي خطبته التاريخية في يافا خلال المؤتمر ويدعو إلى (اللاتعاون مع سلطات الانتداب) .
١٩٣٣م	اقامة معرض عربي بديل في القدس .
١٩٣٣م	المظاهرة الأولى في القدس (قرارات المؤتمر الفلسطيني السابع) .
١٩٩٣م	المظاهرة الثانية في يافا .
١٩٣٣م	اضراب في كامل فلسطين لمدة اسبوع .
١٩٣٤م	خطة تهويد فلسطين .
١٩٣٤م	عبد القادر الحسيني يقود التنظيم الجهادي .
١٩٣٤م	لقاء قيادة (الجهاد المقدس) بالمفتي .
١٩٣٤م	اندلاع المظاهرات في جميع مدن فلسطين .
١٩٣٤م	المفتي يدعو لمؤتمر عام في القدس .
١٩٣٤م	انعقاد مؤتمر الكهنة الأرثوذكس في القدس .
١٩٣٤م	الانتخابات البلدية .
١٩٣٥م	زيادة الضرائب والرسوم إلى ثلاثة أضعاف .
١٩٣٥م	تشكيل الحزب العربي الفلسطيني .
١٩٣٥م	انعقاد المؤتمر الثاني للشباب في حيفا .
١٩٣٥م	الحزب يدعو الشعب إلى الإضراب .
١٩٣٥م	قيام مظاهرات عنيفة في أنحاء فلسطين .
١٩٣٥م	رئيس المؤتمر التبشيري يصدر كتابا بعنوان (خمسة عقود ونظرة إلى المستقبل)
١٩٣٥م	استشهاد القائد عز الدين القسّام .
١٩٣٦م	الشرارة الأولى لثورة " ١٩٣٦ " .
١٩٣٦م	الشرارة الثانية في يافا .
١٩٣٦م	تشكيل اللجنة العربية العليا .

الأحداث	التاريخ
معركة عصيرة الشمالية .	١٩٣٦م
معركة وادي عرعرة .	١٩٣٦م
انضمام مجموعة من المجاهدين العرب إلى الثورة في فلسطين .	١٩٣٦م
معركة بلعا .	١٩٣٦م
معركة نابلس .	١٩٣٦م
معركة بيت امرين .	١٩٣٦م
حكام العرب يطالبون بوقف الاضراب العام .	١٩٣٦م
زعماء العرب يعقدون اجتماعا في سوريا .	١٩٣٧م
الحاج أمين الحسيني يلجأ إلى الحرم المقدسي الشريف .	١٩٣٧م
القسّاميون يغتالون أندروز (حاكم الجليل) .	١٩٣٧م
الحاج أمين الحسيني يتسلل إلى لبنان .	١٩٣٧م
المفتــي يرفض التقسيم .	١٩٣٧م
منظمة الجهاد المقدس تستأنف نشاطها .	١٩٣٧م
استئناف الثورة .	١٩٣٧م
تنفيذ حكم الاعدام بالشيخ فرحان السعدي .	١٩٣٧م
معركة اليامون .	١٩٣٧م
معركة عرابة البطون .	١٩٣٧م
معركة جبل الجرمق .	١٩٣٨م
معركة الليات الكبرى .	١٩٣٨م
معركة ترشيحات الكبرى .	١٩٣٨م
معركة باب الواد .	١٩٣٨م
تقرير لجنة وودهيد .	١٩٣٨م
مؤتمر المائدة المستديرة في لندن .	١٩٣٩م
الحرب العالمية الثانية .	١٩٣٩م
استشهاد القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد .	١٩٣٩م
معركة حيفا الكبرى .	١٩٣٩م
أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض .	١٩٣٩م
معركة جرن حلاوة .	١٩٣٩م

التاريخ	الأحداث
١٩٣٩م	المؤتمر الصهيوني يجتمع في نيويورك ويرفض الكتاب الأبيض .
١٩٣٩م	وايزمن يؤكد لبريطانيا وقوف اليهود إلى جانبها في الحرب العالمية .
١٩٤١م	نزول القوات البريطانية في العراق .
١٩٤١م	فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني .
١٩٤١م	وصول المفتي إلى روما .
١٩٤١م	وصول المفتي إلى برلين .
١٩٤٢م	مؤتمر بلتيمور .
١٩٤٤م	نسف اليهود دوائر الهجرة في القدس وتل أبيب وحيفا .
١٩٤٤م	انتزع اليهود في موتمرهم الصهيوني تصريحا رسميا بمطالبهم من رئيس الجمهورية الأمريكية .
١٩٤٤م	خطاب بن غوريون : إن للشعب اليهودي خريطة (غير خريطة الانتداب) وهي خريطة التوراة .
١٩٤٤م	الفرقة اليهودية تشارك في الحرب إلى جانب الحلفاء .
١٩٤٤م	قتل اليهود اللورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة .
١٩٤٥م	ميثاق الجامعة العربية .
١٩٤٥م	وصل المفتي إلى فرنسا .
١٩٤٥م	لجنة مشتركة أمريكيّة-بريطانيّة لدراسة أحوال اليهود .
١٩٤٦م	ترومان يرى ضرورة السماح الفوري لدخول ١٠٠..... يهودي إلى فلسطن .
١٩٤٦م	المندوب السامي في فلسطين يطالب باستمرار الهجرة .
١٩٤٦م	اللجنة المشتركة تصدر تقريرها .
١٩٤٦م	لقاء أنشاص ورفْض قرارات لجنة التحقيق .
١٩٤٦م	غادر المفتي إلى مصر .
١٩٤٦م	اللجنة العربية تعقد اجتماعها في بلودان .
١٩٤٦م	آخر مؤتمر يعقد في بريطانيا لمناقشة القضية الفلسطينية .

التاريخ	الأحداث
١٩٤٧م	بيفن يعلن رسميا إحالة القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم .
١٩٤٧م	عرض القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة .
١٩٤٧م	إرسال لجنة الأونسكوب إلى فلسطين للتحقيق .
١٩٤٧م	اجتماع لجنة التحقيق الدولية بممثلي الحكومات العربية في لبنان .
١٩٤٧م	الهيئة العربية العليا تصدر بيانا حول لجنة التحقيق .
١٩٤٧م	تقرير لجنة التحقيق الدولية .
١٩٤٧م	اجتماع صوفر للجامعة العربية .
١٩٤٧م	اجتماع عالية للجامعة العربية .
١٩٤٧م	صدور قرار التقسيم .
١٩٤٧م	عبد القادر الحسيني يقود منظمة الجهاد المقدس .
١٩٤٧م	معركة سوريك .
١٩٤٨م	معركة القدس .
١٩٤٨م	معركة عين ماهل .
١٩٤٨م	محادثات توفيق باشا أبو الهدى السرية مع وزير الخارجية البريطاني .
١٩٤٨م	وصول فوزي القاوقجي إلى فلسطين .
١٩٤٨م	نسف الوكالة اليهودية .
١٩٤٨م	الرئيس الأمريكي يطالب بوضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة .
١٩٤٨م	معركة شعفاط .
١٩٤٨م	معركة الدهيشة .
١٩٤٨م	معركة القسطل .
١٩٤٨م	مجزرة دير ياسين .
١٩٤٨م	سقوط حيفا .
١٩٤٨م	سقوط صفد .
١٩٤٨م	سقوط يافا .
١٩٤٨م	محاولة المفتي السفر إلى فلسطين .
١٩٤٨م	بريطانيا تسحب قواتها العسكرية وجهازها الإداري .

التاريخ	الأحداث
١٩٤٨م	أعلان اليهود قيام دولتهم .
١٩٤٨م	انسحاب بريطانيا من فلسطين .
١٩٤٨م	زحف جيوش الدول العربية نحو فلسطين .
١٩٤٨م	سقوط عكا .
١٩٤٨م	انسحاب القاوقجي من فلسطين .
١٩٤٨م	استشهاد حسن سلامة .
١٩٤٨م	اعلان الهدنة الأولى .
١٩٤٨م	الكونت فولك برنادوت يضع مقترحات لتسوية القضية الفلسطينية .
١٩٤٨م	استئناف القتال بعد الهدنة .
١٩٤٨م	الهدنة الثانية .
١٩٤٨م	قتل اليهود برنادوت الوسيط الدولي في القدس .
١٩٤٨م	سفر المفتي إلى غزة سرا .
١٩٤٨م	اليهود يشنون هجمات شديدة على الجبهة المصرية .
١٩٤٨م	سقوط بئر السبع .
١٩٤٨م	سقوط المجدل وعسقلان .
١٩٤٨م	تأليف لجنة التوفيق الدولية .
١٩٤٩م	لجنة التوفيق تعقد اجتماعها الأول في جنيف .
١٩٤٩م	مباحثات رودس مع مصر .
١٩٤٩م	مباحثات مع لبنان في رأس الناقورة .
١٩٤٩م	الاجتماع الثاني للجنة التوفيق في لوزان .
١٩٤٩م	انقلاب حسني الزعيم .
١٩٤٩م	مباحثات مع الأردن في جزيرة رودس .
١٩٥٠م	أمريكا وانكلترا وفرنسا تصدر البيان الثلاثي .
١٩٥٢م	مذبحة بيت جالا .
١٩٥٢م	انقلاب في مصر .
١٩٥٢م	نسف اليهود قرية (أقرت) قرب الحدود اللبنانية .
١٩٥٣م	دمّر اليهود قرية كفر برعم وقرية الريحانية .
١٩٥٣م	مذبحة قبية .
١٩٥٤م	مذبحة نحّالين .

التاريخ	الأحداث
١٩٥٥م	مذبحة في قطاع غزة .
١٩٥٥م	حلف بغداد .
١٩٥٦م	قصف اليهود مدينة غزة .
١٩٥٦م	تأميم قناة السويس .
١٩٥٦م	مذبحة قرى حوسان في الاردن .
١٩٥٦م	العدوان الثلاثي على مصر .
١٩٥٦م	القضاء على القوة المصرية في سيناء .
١٩٦٤م	بدأت فتح أولى عملياتها الفدائيّة .
١٩٦٧م	الجنرال رابين رئيس الأركان يهدد النظام في دمشق .
١٩٦٧م	اسرائيل تعلن التعبئة .
١٩٦٧م	القوات المصرية تحتل مواقع القوات الدولية .
١٩٦٧م	مصر طلبت رسميا سحب القوات الدولية من أراضيها .
١٩٦٧م	أصدر يوثانت أمرا للقوات الدولية بالإنسحاب .
١٩٦٧م	اقفلت مصر مضائق تيران .
١٩٦٧م	أعلن أشكول في الكينيست أن إغلاق المضائق يعتبر عملا عسكريا .
١٩٦٧م	أمريكا وبريطانيا تطالبان بفتح المضائق ولو بالقوة
١٩٦٧م	هدد عبد الناصر باغلاق قناة السويس وتم توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والأردن .
١٩٦٧م	وصل الملك حسين فجأة إلى القاهرة .
١٩٦٧م	أعلنت اسرائيل التعبئة العامة وموشى ديان يُعين وزيرا للدفاع .
١٩٦٧م	وصول كتيبة كوماندوس عراقية إلى عمّان .
١٩٦٧م	السفير العراقي يؤكد أن اسرائيل ستشن هجومها صباح الخامس من حزيران .
١٩٦٧م	بدأ الهجوم على الجبهة المصرية .
١٩٦٧م	المكالمة الشهيرة بين عبد الناصر والملك حسين .
١٩٦٧م	أصدرت اسرائيل قانونا بضم القدس القديمة .
١٩٦٨م	معركة الكرامة .
١٩٦٩م	اتفاقيّة القاهرة .

التاريخ	الأحداث
١٩٦٩م	معسكرات الشيوخ في الأردن .
١٩٧٠م	أيلول الأسود .
١٩٧٣م	توتر على الحدود مع سوريا .
١٩٧٣م	استدعاء الاحتياطي في مصر وسوريا .
١٩٧٣م	تدفق الأسلحة الروسية إلى مصر وسوريا .. والأمريكية إلى اسرائيل .
١٩٧٣م	الأيام الصعبة في اسرائيل في حرب رمضان .
١٩٧٣م	اسرائيل تحتل القنيطرة .
١٩٧٣م	الجيش الاسرائيلي يركزعلى الجبهة السورية .
١٩٧٣م	توحيد الجبهات في مصر وسوريا ضد اسرائيل .. ووقوف اللواء الأردني بالمواجهة ضد الجيش الاسرائيلي .
١٩٧٣م	بدأ الهجوم المصري .
١٩٧٣م	محاولات يائسة لتركيز رأس جسر من قوات اسرائيلية على الطرف الغربي للقنال .
١٩٧٣م	السادات يلقي خطابا في مجلس الشعب .
١٩٧٣م	الروس يلحّون على مجلس الأمن لوقف اطلاق النار .
١٩٧٣م	قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ .
١٩٧٣م	مؤتمر جنيف .
١٩٧٣م	جريمة الفردان .
١٩٧٤م	اتفاقيّة فك الاشتباك بين مصر وإسرائيل .
١٩٧٥م	الحرب الأهليّة اللبنانيّة .
١٩٧٦م	سقوط تل الزعتر .
١٩٧٧م	السادات في القدس .
١٩٧٨م	اجتياح جنوب لبنان .
١٩٧٨م	القرار ٤٢٥ .
١٩٧٩م	معاهدة كامب ديفيد .
١٩٧٩م	أسرة الجهاد في فلسطين .
١٩٨٠م	حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين .
١٩٨٢م	معركة اجتياح لبنان .
١٩٨٢م	جريمة صبرا وشاتيلا .

التاريخ	الأحداث
١٩٨٧م	الانتفاضة .
١٩٨٧م	قيام حماس .
١٩٩١م	مؤتمر مدريد .
١٩٩٢م	قرار مجلس الأمن ٧٩٩ .
١٩٩٣م	اتفاق غزّة – أريحا .

مراجع البحث

١- خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية - عبد الله التل .

٢- تاريخ فلسطين القديم - ظفر الاسلام خان .

٣- صلاح الدين الأيوبي - عبد الله علوان .

٤- الإدارة العثمانية في ولاية سوريا - عبد العزيز عوض .

٥- بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا - اندره موروا .

٦- صراخ البري في بوق الحرية - حبيب فارس .

٧- الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية - قسطنطين خمّار .

٨- تاريخ فلسطين - لوران غاسبار (ترجمة ابراهيم خوري) .

٩- جذور الصهيونية - ضياء اويفور (ترجمة إبراهيم الداقوقي) .

١٠- موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية - حسّان على حلاق .

١١- يقظة العالم اليهودي - إيلي ليفي أبو عسل .

١٢- الصهيونية والنازية - معين أحمد محمود .

١٣- القضية الفلسطينية في الواقع العربي - عودة بطرس عودة .

١٤- اسرائيل الكبرى - أسعد رزق .

١٥- القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - عزة دروزة .

١٦- حول الحركة العربية الحديثة - عزة دروزة .

١٧- فلسطين وجهاد الفلسطينيين - عزة دروزة .

١٨- فلسطين - جفري بطرس غالي .

١٩- دراسات في تاريخ مصر الحديث - عمر عبد العزيز .

٢٠- تاريخ القدس - عارف العارف .

٢١- ملف وثائق فلسطينية .

٢٢– همجية التعاليم الصهيونية – بولس حنا مسعد .
٢٣– مؤامرة اليهود على المسيحية – أميل الخوري .
٢٤– يوميات هرتزل .
٢٥– الاسلام وبنو اسرائيل – جواد رفعت اتلخان .
٢٦–الخطر المحيط بالاسلام ، الصهيونية وبروتوكولاتها – جواد رفعت اتلخان .
٢٧– بين أمريكا وفلسطين – فرانك مانويل .
٢٨– الصهيونية واسرائيل وآسيا – ج . جانسن .
٢٩– تركيا الفتاة وثورة عام ١٩٠٨م – ارنست رامزور .
٣٠– هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود – يوسف الحاج .
٣١– مجلة العربي ديسمبر ١٩٧٢م العدد /١٦٩ – سعيد الافغاني .
٣٢– الامبراطورية العثمانية – لورد أفيرسلي .
٣٣– سورية والعهد العثماني – يوسف الحكيم
٣٤– السر المصون في شيعة الفرمسون – لويس شيخو .
٣٥– العصر الجديد – ٩تموز ١٩٠٩ العدد ٣٧ .
٣٦– التيار الاسلامي في فلسطين – محسن محمد صالح .
٣٧– مجلة المشرق ١٨٩٩/١٢/١م .
٣٨– جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن – صالح مسعود أبو يصير .
٣٩– المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي – د. محمد حافظ غانم .
٤٠– فلسطين عبر ٦٠ عاما – أميل الغوري (ثلاث مجلدات) .
٤١– القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين .

٤٢– تاريخ فلسطين الحديث – عبد الوهاب الكيالي .
٤٣– وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني – جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي .
٤٤– حقائق عن قضية فلسطين – محمد أمين الحسيني .
٤٥– عرب معاصرون – مجيد خدوري .
٤٦– مذكرات خاصة – يوسف العلمي .
٤٧– كذا أنا يا دنيا – خليل السكاكيني .
٤٨– رجال من فلسطين – عجاج نويهض .
٤٩– فلسطين والانتداب البريطاني – كامل محمود خلّة .
٥٠– التبشير الاستعمار – مصطفى الخالدي وعمر فروخ .
٥١– التيار الاسلامي في فلسطين – علي سعود عطية .
٥٢– القيادة في العمل الاسلامي – مصطفى الطحان .
٥٣– ثورة الشهيد عز الدين القسام – عوني العبيدي .
٥٤– أرض الثورات – عرفات حجازي .
٥٥– الثورة العربية الكبرى في فلسطين – صبحي الياسين .
٥٦– حرب العصابات في فلسطين – صبحي الياسين .
٥٧– عز الدين القسّام – عبد العزيز السيد أحمد .
٥٨– الاسلام بين العلماء والحكام – عبد العزيز البدري .
٥٩– شؤون فلسطينية .
٦٠– الحركة الوطنية الفلسطينية – أكرم زعيتر .
٦١– أوراق خاصة – أكرم زعيتر .
٦٢– المرأة العربية والقضية الفلسطينية – المؤتمر النسائي الشرقي عام ١٩٣٨ .

٦٣- فلسطين بين الانتداب والصهيونية .
٦٤- طريق النكبة - سامي الحكيم .
٦٥- كتاب حرب فلسطين (الرواية الرسمية الاسرائيلية) .
٦٦- نكبة بيت المقدس .
٦٧- مذكرات وايزمان .
٦٨- كارثة فلسطين .
٦٩- جريدة النهار اللبنانية - ١٩٥١/٥/٣٠م .
٧٠- المؤامرة ومعركة المصير - سعد جمعة .
٧١- ملف مباحثات الوحدة الثلاثية في القاهرة - أبريل (نيسان) ١٩٦٣م.
٧٢- حرب الأيام الستة - ونستون تشرشل .
٧٣- هتلر والمفتي - وبشختمان .
٧٤- أهي ميونخ ثانية - - ريتشارد كروسمان .
٧٥- مذكرات غلوب باشا (جندي مع العرب) .
٧٦- من رودس إلى جينيف - عادل مالك .
٧٧- تاريخ العرب الحديث - د. أحمد عزت عبد الكريم .
٧٨- لعبة الأمم - مايلز كوبلند .
٧٩- المؤامرة على الإسلام مستمرّة - جابر رزق .
٨٠- لعبة السوفيات بمصر وخروجهم منها - بشير العوف .
٨١- حرب السويس - محمد حسنين هيكل .
٨٢- مصدر الأزمة الخطيرة - لاديكين .
٨٣- إسرائيل خنجر أمريكا - جيب مهتوجي .

٨٤- كيف يفكّر زعماء الصهيونيّة - أمين هويدي .

٨٥- الإخوان في البلاد العربيّة - عبد الله أبو عزّة .

٨٦- المنظمة تحت المجهر - هيلينا كوبان .

٨٧- مذكرات كيسينجر .

٨٨- إنّي أتهم - أحمد الشقيري .

٨٩- الوثائق الدوليّة - ١٩٧٤م .

٩٠- المخيمات الفلسطينيّة : معاناة وصمود - الرابطة الإسلاميّة لطلبة فلسطين .

٩١- سقوط الجولان - خليل مصطفى .

٩٢- حرب أكتوبر - سعد الدين الشاذلي .

٩٣- زلزال في أكتوبر - زئيف شيف .

٩٤- النار والدمار في فلسطين - الإخوان المسلمون .

٩٥- الإخوان المسلمون في حرب فلسطين - كامل الشريف .

٩٦- الحركة الإسلاميّة في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة - د. زياد أبو عمرو .

٩٧- حماس الجذور التاريخيّة والميثاق - د. عبد الله عزام .

٩٨- الاتجاهات الدينيّة ودورها في العمل الوطني - سلامة أمين .

٩٩- الخميني : الحلّ الإسلامي والبديل - فتحي الشقاقي .

١٠٠- الثورة الفلسطينيّة - جلال كشك .

١٠١- مجلّة فلسطين المسلمة .

١٠٢- مجلّة قضايا دوليّة .

١٠٣- .... B . Lazard , L' Antisemitisme.

١٠٤- .... N . Mandil, Op . Cit .

E . Golomb , ...١٠٥

Dickson to Bunsen ١٠٦

A . Hyamson , Vol.2 ....١٠٧

S . Mardin . The Gensis of young ottoman Thought ١٠٨

Revue du Nonde musulman ١٠٩

Sykes , op , ...١١٠

الفهرست

الفصل السادس عشـــــر

الفصل السابع عشـــــر

الفصـــل الثامن عشـــر

الفصـــل التاسع عشـــر

الفصـــل العشـــــرون

الفصـــل الحادى والعشرون

الفصـــل الثاني والعشرون

الفصل الثالث والعشرون

الفصـــــل الرابع والعشرون

الفصـــــل الخامس والعشرون

الفصـــــل السادس والعشرون

الفصـــــل السابـع والعشرون

الفصـــــل الثامن والعشرون

الفصل التاسع والعشرون

الفصـــــل الثـــلاثـــــون

الفصـــــل الحادى والثـلاثون

الفصــــل الأربعــــــــون

الفصــــل الحادى والأربعــون

الفصــــل الثاني والأربعــون

الفصـــــل الثالث والأربعـون

تم بحمد الله

إصدارات المركز العالمى للكتاب الإسلامى

أولا: دار الوثائق

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الفكر الحركى بين الأصالة والانحراف	مصطفى محمد طحان
٢	سعيد النورسى (رجل الإيمان فى محنة الكفر والإيمان)	أديب إبراهيم الدباغ
٣	دارون ونظرية التطور	شمس الدين بلوت
٤	الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا	مصطفى محمد طحان
٥	موقف الدين من العلم	د. على فؤاد باشكيل
٦	السلطان عبد الحميد الثانى (حياته وأحداث عمره)	أورخان محمد على
٧	تجربة الصحافة الإسلامية فى الخمسينات	زياد أبو غنيمة
٨	يهود الدونمة	د. محمد عمر
٩	حقوق أهل الذمة فى الدولة الإسلامية	أبو الأعلى المودودى
١٠	مذكرات السلطان عبد الحميد	ترجمة د. محمد حرب
١١	شهود يهوه	د. محمد حرب
١٢	رحلة إلى الله	نجيب الكيلانى
١٣	أضواء على العقيدة الدرزية	أحمد فوزان
١٤	الشعوبية الجديدة	محمد مصطفى رمضان
١٥	التبشير المسيحى فى الخليج	أحمد فون دنفر
١٦	القيادة فى العمل الإسلامى	مصطفى محمد طحان
١٧	بستان الأناشيد	عبد القادر أحمد
١٨	المجزرة فى يوغسلافيا	
١٩	إنجيل برنابا	
٢٠	نظرات فى واقع المسلمين السياسى	عبد الله الكوشى
٢١	نظرات فى واقع الدعوة والدعاه (١)	مصطفى محمد طحان
٢٢	سيكلوجية المراهق المسلم المعاصر	عبد الرحمن العيسوى
٢٣	فى التدريب التربوى	مصطفى محمد طحان
٢٤	فى التدريب التربوى (إنجليزى)	مصطفى محمد طحان

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٥	صفحات من التاريخ (الجزء الأول)	صلاح شادى
٢٦	صفحات من التاريخ (الجزء الثانى)	صلاح شادى
٢٧	المرأة صانعة الأبطال	د. نشأت محمد ظبيان
٢٨	منهج القرآن فى إثبات وجود الله (إنجليزى)	د. سيد أبو بكر
٢٩	آية الكرسى فضلها ومعناها (إنجليزى)	زينب حسن
٣٠	القومية بين النظرية والتطبيق	مصطفى محمد طحان
٣١	حاضر العالم الإسلامى ١٩٩١	مصطفى محمد طحان
٣٢	حاضر العالم الإسلامى ١٩٩٢	مصطفى محمد طحان
٣٣	فلسطين والمؤامرة الكبرى	مصطفى محمد طحان

ثانيا المنتدى الفكرى

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	دور الشاب المسلم فى إعادة بناء الأمة	مصطفى محمد طحان
٢	الانتفاضة طريق التحرير	محمد يونس عمر
٣	الآيات الشيطانية	مصطفى محمد طحان
٤	النظام الإسلامى (منهاج متفرد)	مصطفى محمد طحان

رقم الإيداع ٧٨٨٠ / ١٩٩٤ م



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسي ت ٠ ٦١٨١٣٧

حاضر العالم الإسلامى

يقدم **المركز العالمى للكتاب الإسلامى** .. للقراء فى أنحاء العالم كتابه الجديد:

«فلسطين ... والمؤامرة الكبرى»

وهو كتاب شامل يتضمن أهم مراحل المؤامرة الكبرى التى تعرضت لها المنطقة العربية والإسلامية عامة وفلسطين بصورة خاصة.

ولقد دأب **المركز العالمى للكتاب الإسلامى** على تقديم كتاب سنوى يتضمن أهم الأحداث فى سنة.

فى عام ١٩٩١ أصدر الكتاب الأول.

وفى عام ١٩٩٢ أصدر الكتاب الثانى عن حاضر العالم الإسلامى.

واليوم يصدر المركز كتابه الثالث **فلسطين والمؤامرة الكبرى**.

وقضية فلسطين هى أهم حدث خلال عام ١٩٩٣م ، حيث بدأت مراحل تصفية القضية ومازالت مستمرة.

ودور النشر العالمية الأخرى تقدم للقراء مثل هذا الإنتاج السنوى. كل من وجهة نظره. ونحن نعتقد أن هذه التجربة الرائدة فى المنطقة العربية والإسلامية، تحتاج من قرائنا التصويب والتسديد، فكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم. ونحن على ثقة بأن تكامل العمل بين إنتاج المركز وتسديد القارئ سيوصل المشروع ـ بإذن الله ـ إلى شاطئ الأمان.

والحمد لله رب العالمين

المركز العالمى للكتاب الإسلامى

ص.ب ٨٦٣١ السالمية ـ ٢٢٠٥٧

ت : ٢٤٤٢٣٨٠ / ٢٤٤٢٣٨١ ـ فاكس : ٢٤٤٢٣٨٢

الكويت